ساحر الكتب

سلسلة بناء العبد الرباني

مصطفى حسني

ما خدعوك فقالوا

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا

sa7eralkutub.com

خدعوك فقالوا... مثلك ليس له توبة؟!

ومن المفاهيم الخطأ التي غيرها الإسلام كذلك ظنُّ المسيء أنه لا توبة له، وأن الله - عز وجل - غضب عليه ولن يرضى أبدًا، يزين له الشيطان ذلك بأن يذكره دائمًا بألوان المعاصي وصنوف المآثم التي ارتكبها، ليسد طريق التوبة عليه فيتمادى في أخطائه ويعكف على معصيته ويظل قائمًا على جُرمه، لأن مثله بعيد عن الله، وبالتالي

فإن الله بعيد عنه، وهذا دأب الشيطان إذا رأى الإنسان مقبلًا على ربه، حتى لو كان ذلك الإنسان كافرًا وأراد أن يسلم، فإنه يعمي عينيه عن الجائزة الكبيرة المعدة لمن يسلم وهي أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، بل يبدل الله سيئات من أسلم حسنات، فيروى أن جماعة أرادوا الدخول في الإسلام، فجاءوا إلى النبي ﷺ مخبرين إياه أنهم زنوا فأكثروا، وقتلوا فأكثروا؛ فينزل جبريل عليه السلام مخبرًا النبي أن هذه الجرائم عظيمة إلا أن يتوبوا، فإن الله يبدلها حسنات، وقد أثبت القرآن ذلك في آيات تتلى إلى يوم القيامة، حتى يطمئن كل الخلق ويقبلوا على الله - عز وجل - يقول سبحانه: { وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثامًا (68) يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهانًا (69) إِلاَّ مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحًا فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَكانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)}[الفرقان 68 -70].

وتتعدد المواضع التي تدعو إلى التوبة والعودة إلى الله وسؤاله ودعائه لأنه قريب منهم مهما اقترفوا من الذنوب، فيقول سبحانه: } وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي

لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]، ويقول سبحانه: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر:35]، ويبين الرسول الكريم ﷺ أن الله لا يبغض عبده الذى أذنب ذنوبًا كثيرة إذا أراد أن يتوب ويعود إليه عز وجل، بل على العكس تمامًا، فإنه - عز وجل - يفرح به، يقول ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها - قد أيس من راحلته - فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح». فالله - عز وجل - قريب من عباده ولكن عليهم أن يتقربوا إليه، فإنه رءوف رحيم.

* * *

خدعوك فقالوا... اسعَ أن تكون قويًّا ولو على حساب غيرك

من المعتقدات الخطأ السالبة أن الأقوى بنية أو الأكثر مالًا، أو الأعلى منصبًا وجاهًا، يكون صاحب غلبة في كل الأمور، وأن غيره لا مكان له في هذه الدنيا، وأن على الضعيف أن يستأسد ويتقوى حتى لو كان ذلك على حساب غيره، فإذا استقام له ذلك وأصبح ذا شوكة وغلبة،

أخذ يظلم بكل مستويات الظلم؛ يظلم نفسه ويظلم أهله، ويظلم مجتمعه، وهذه طبيعة الإنسان منذ القدم؛ لذا جاء الإسلام ليعالج ذلك.

لقد كان الواقع قبل الإسلام قائمًا على هذه الفكرة؛ فكرة أن القوي يأكل حق الضعيف، يقول زهير بن أبي سلمى أحد الشعراء الجاهليين:

ومن لم يَذُدْ عن حوضه بسلاحه يُهدَّمْ ومن لا يظلِمِ الناسَ يُظلم

يعني الشاعر بكلامه هذا أن من لم يدافع عن نفسه بيده فإنه لا مكان له بين الناس، وأنه لا بد أن يَظْلم حتى لا يُظْلم، فإن القوي ذا الغلبة يكون آمنًا ولا يستطيع أحد أن يعتدي عليه، لذلك وقف أحد الشعراء قائلًا وقد استُبيحت إبله لأنه من قبيلة ضعيفة:

لو كنتُ من مازن لم تَسْتَبِحْ إبليبنو اللقيطة من ذُهْلِ بن شيبان

فهو يقول إنه لو كان من قبيلة مازن القوية ما استطاع أحد من بني ذُهْل بن شيبان أن يتعدى على إبله أو أن يسلبه شيئًا من ماله.

وبينما كانت الحال هكذا جاء الإسلام ليغير تلك المفاهيم، ويبين أن الله الرحمن الرحيم لا يرضى من عباده ذلك، بل يريد أن يكونوا مسالمين لجميع الناس، لا كِبْر في تصرفاتهم، بل يمشون في هدوء وسكينة وتواضع، وفوق ذلك كله لا يردون بالإساءة على من أساء إليهم، يقول - عز وجل -: } وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا {[الفرقان: 36]، فانظر كيف غيَّر الإسلام المفاهيم من الظلم إلى العفو ابتغاء مرضاة الله - عز وجل - بل حرَّم صنوف الظلم كلها؛ من شرك بالله وقتل، وزنى، يقول سبحانه: } وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا { [الفرقان: 86]، ودعا الرسول الكريم ﷺ إلى الرحمة في كل شيء حين يقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، ويقول: «من لا يَرحم لا يُرحم»،

فيقول ﷺ: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النار» قال: فقال - والله أعلم - «لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض»(1).

ويخبرنا ﷺ أنه: «بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي. فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»(2).

ويقول: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح». يعني أن من أراد أن يقاتل في غزوة أو يخرج في جهاد دفاعًا عن وطن فحرام عليه أن يمثِّل بالمقتول، أو يقتل امرأة أو طفلًا، بل عليه أن يحسن إلى المقتول، وكذا إذا ذبح شاة مثلًا فعليه أن يحسن الذبح.

ويخبرنا الرسول ﷺ أن تعذيب الحيوان يُدخل النار وأن رحمته تُدخل الجنة.

والخف هو النعل أو الحذاء. فقد غفر الله - سبحانه وتعالى - لهذا الرجل لأنه رحم الكلب وسقاه ولم يترفَّع ولم يستكبر، وأنه تصدق بقدرته وبقوته على هذا الكلب، فأكرمه الله - عز وجل - بأن تصدق عليه بعفوه ومغفرته.

* * *

خدعوك فقالوا... كثرة الإنفاق تذهب المال

يظن كثير منا أن الإنفاق ينقص المال، ويحسب المسألة حسابات عقلية، فلو أن معه مائة جنيه مثلًا، فأنفق منها عشرين جنيهًا، تبقى معه ثمانون جنيهًا فقط فتدفعه نفسه للبخل، لتبقى المائة كما هي، فجاء الإسلام ليبين خطأ هذا المفهوم ويبشر بأن المال يزيد أضعافًا كثيرة، يقول - عز وجل -: } مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ { [البقرة: 261]، ويقول - سبحانه وتعالى -: } مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ{ [البقرة: 245]، ويطمئننا الرسول الكريم ﷺ أن المال لا ينقص بسبب الإنفاق، فيقسم على ذلك.

فيقول ﷺ: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه, قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (أو كلمة نحوها)»(1).

سنن الترمذي برقم 2303 .

فما أجمل هذا الحديث حين تنظر إلى قوله ﷺ: «فاحفظوه»! لما له من أهمية لأنه غير ثلاثة مفاهيم:

الأول: ما نقص المال بسبب الصدقة.

والثاني: أن من عفا لوجه الله أعزه الله، على عكس ما يظن كثير منا أنه لو ترك حقه بإرادته فسوف يستهين به كل الناس فيما بعد.

والثالث: أن التواضع لله يورث الرفعة، على غير ما يفهم بعضنا أن المتواضع يظنه الناس ضعيفًا، وبالتالي لا يقيمون له وزنًا، لكن الله - عز وجل - يرفع قدره في الدنيا والآخرة ويرضيه.

قد يكون مقبولًا بالحسابات العقلية أن يبخل الإنسان على غيره، أما أن يبخل على بيته فهذا أمر عجيب، فإن بعض الناس يُضيق أو يبخل على أهل بيته ولا ينفق إلا أقل القليل، لذلك يُعالج النبي ﷺ هذا الداء، ويغير مفهوم نقْص المال بسبب النفقة، فيقول ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»[1].

للأسف الشديد هناك من يظن أن النفقة على البنت ضائعة، وأن ما يبقى له هو إنفاقه على الولد، لأن الولد سيخلد ذكره، أما البنت فإنها ستتزوج ويكون ولاؤها لزوجها وأهله! لهذا تجده إذا رزق بنتًا استاء جدًّا، بل ربما عَدَّ ذلك عارًا، وأصبح في قومه خجلًا، كما كانت العرب قديمًا، فقد صور القرآن الكريم هذا الموقف أبدع تصوير، حيث قال الله - عز وجل -: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن

ويخبرنا ﷺ أنه: «بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي. فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»(2).

ويقول: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح». يعني أن من أراد أن يقاتل في غزوة أو يخرج في جهاد دفاعًا عن وطن فحرام عليه أن يمثّل بالمقتول، أو يقتل امرأة أو طفلًا، بل عليه أن يحسن إلى المقتول، وكذا إذا ذبح شاة مثلًا فعليه أن يحسن الذبح.

ويخبرنا الرسول ﷺ أن تعذيب الحيوان يُدخل النار وأن رحمته تُدخل الجنة.

والخف هو النعل أو الحذاء. فقد غفر الله - سبحانه وتعالى - لهذا الرجل لأنه رحم الكلب وسقاه ولم يترفَّع ولم يستكبر، وأنه تصدق بقدرته وبقوته على هذا الكلب، فأكرمه الله - عز وجل - بأن تصدق عليه بعفوه ومغفرته.

* * *

خدعوك فقالوا... كثرة الإنفاق تذهب المال

يظن كثير منا أن الإنفاق ينقص المال، ويحسب المسألة حسابات عقلية، فلو أن معه مائة جنيه مثلًا، فأنفق منها عشرين جنيهًا، تبقى معه ثمانون جنيهًا فقط فتدفعه نفسه للبخل، لتبقى المائة كما هي، فجاء الإسلام ليبين خطأ هذا المفهوم ويبشر بأن المال يزيد أضعافًا كثيرة، يقول - عز وجل -: } مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ { [البقرة: 261]، ويقول - سبحانه وتعالى -: } مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ{ [البقرة: 245]، ويطمئننا الرسول الكريم ﷺ أن المال لا ينقص بسبب الإنفاق، فيقسم على ذلك.

فيقول ﷺ: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه, قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (أو كلمة نحوها)»(1).

سنن الترمذي برقم 2303 .

فما أجمل هذا الحديث حين تنظر إلى قوله ﷺ: «فاحفظوه»! لما له من أهمية لأنه غير ثلاثة مفاهيم:

الأول: ما نقص المال بسبب الصدقة.

والثاني: أن من عفا لوجه الله أعزه الله، على عكس ما يظن كثير منا أنه لو ترك حقه بإرادته فسوف يستهين به كل الناس فيما بعد.

والثالث: أن التواضع لله يورث الرفعة، على غير ما يفهم بعضنا أن المتواضع يظنه الناس ضعيفًا، وبالتالي لا يقيمون له وزنًا، لكن الله - عز وجل - يرفع قدره في الدنيا والآخرة ويرضيه.

قد يكون مقبولًا بالحسابات العقلية أن يبخل الإنسان على غيره، أما أن يبخل على بيته فهذا أمر عجيب، فإن بعض الناس يُضيق أو يبخل على أهل بيته ولا ينفق إلا أقل القليل، لذلك يُعالج النبي ﷺ هذا الداء، ويغير مفهوم نقْص المال بسبب النفقة، فيقول ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»[1].

للأسف الشديد هناك من يظن أن النفقة على البنت ضائعة، وأن ما يبقى له هو إنفاقه على الولد، لأن الولد سيخلد ذكره، أما البنت فإنها ستتزوج ويكون ولاؤها لزوجها وأهله! لهذا تجده إذا رزق بنتًا استاء جدًّا، بل ربما عَدَّ ذلك عارًا، وأصبح في قومه خجلًا، كما كانت العرب قديمًا، فقد صور القرآن الكريم هذا الموقف أبدع تصوير، حيث قال الله - عز وجل -: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن

سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) [النحل: 58، 59]، ويبشر النبي ﷺ بأن البنات باب من أبواب الجنة وفوز بصحبته في الآخرة.

يقول: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو (وضم أصابعه)»(1).

وقال ﷺ: «ما من مسلم عال ثلاث بنات حتى يبن أو يمتن إلا كن له حجابًا من النار». فقالت له امرأة: يا رسول الله، أو اثنتين ؟ قال: «أو اثنتين». فقال رجل: وثلاث يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «وثلاث». فقيل: واثنتان يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «واثنتان»، حتى قيل: وواحدة يا رسول الله؟ فابتسم النبي ﷺ وقال: «وواحدة». فالإسلام قد غير النظر وبدل المفاهيم فيما يخص الإنفاق، خاصة على البيت والبنت، وبين أنه يزيد المال والبركة، ويكون سببًا في دخول الجنة ورفقة المصطفى ﷺ.

* * *

خدعوك فقالوا... بلا حسب ولا نسب لست ذا قيمة

للأسف الشديد نجد كثيرًا من الناس يتعامل من هذا المنطلق: أن الناس عائلات، ويتفاضلون بالنسب، فمن أنا؟ وابن مَن؟ وجدي مَن؟ وخالي مَن؟ لا بد أن يعرف كل الناس ذلك، وأن يعاملوني من هذا المنطلق، إن من يفكر بهذه الطريقة يُتعب من يتعامل معه، بل يكرهه أكثر

الناس؛ لذلك حرص الإسلام على تغيير مفهوم لا تكون الأفضلية للنسب بل للتقوى، فيقول - عز وجل -: } يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ { [الحجرات: 13]، ويقول النبي ﷺ: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى». فلنترك هذه التقسيمات ولا نشتغل بها؛ لأن الله - عز وجل - هو الذي يعلم قدر كل عبد، وهو - عز وجل - يجازي كل إنسان بما كسب، وكل الناس سواء عند الله لا تمايز إلا بالعمل الصالح.

* * *

خدعوك فقالوا... لقد ماتت الأمة.. ولا أمل فيها!

هل الأمة ماتت؟ يرى كثير من الناس - بكل أسف - أن الأمة الإسلامية قد ماتت ولا أمل فيها، خاصة بعد مشاهدة تقدم الأمم الأخرى وتخاذل أمتنا، فضلًا عما يحل بها من أزمات ونكبات قد تكون متتالية وقد تتزامن كالذي حدث في العراق وفي سوريا ولبنان متزامنًا مع ما يحدث في فلسطين على سبيل المثال، وفي ظل هذه

الروح المنكسرة تجد بعض الناس يتساءل: إذا لم يكن هذا المفهوم صحيحًا فلماذا يحدث بنا كل هذا؟ وتجد بعضهم يقول: أنا المهم عندي مصلحتي وحياتي ودنياي وجنتي وصلاح حالي وبالي، لا شأن لي بأحد، ولا دخل لي بحال الأمة، وقد نسي أن النبي ﷺ جاء لإصلاح الأمة كلها وليؤكد على روح الجماعة، بل إنه يدخر دعوته للأمة جميعها يوم القيامة، يقول ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة»، وقد أخبر ﷺ أنه سيقول لربه يوم القيامة: «أمتي أمتي»، ولعل القرآن الكريم قد أكد على هذا المعنى من خلال سورة «الفاتحة» فاتحة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكلنا ندعو الله - عز وجل -: } إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6){ [الفاتحة: 5، 6] ولم يقل أحدنا: إياك أعبد، ولم يقل: اهدني الصراط المستقيم، فكان ذلك تأكيدًا على ضرورة اهتمام الفرد بالجماعة وبشأن الأمة كلها.

لا نزال إزاء تحليل مواقف الناس من وحدة الأمة، حيث يرى بعضهم أن ما يحيط بنا من المِحن إنما هو انتقام من الله - عز وجل - ودلالة على أن الأمة تنحدر

انحدارًا شديدًا لا رجعة فيه، مع أن الأمر على خلاف ذلك؛ لأن المحن التي تنزل بنا سبب في دعوة كثير منا إلى الله - عز وجل - وصدق الله العظيم إذ يقول: } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا{ [النساء: 19] فكم من مسلم عاد إلى الله - عز وجل - بسبب ما رأى من محن ونوازل وأصبح يراقب الله - عز وجل - في كل شيء، فأتقن العمل، بل تحرى أن يكون كسبه من حلال، فتجد كثيرًا من الشباب يسأل: هذا العمل حرام أم حلال؟ فأكثر من يصلون الفجر شباب والحمد لله، بعد أن كانت الأغلبية شيوخًا، وتحجب عدد كبير من الفتيات في الجامعة وخارجها، وزاد عدد البرامج الدينية والإقبال عليها، فكانت هذه المحن مفتاحًا للهداية والحمد لله رب العالمين.

الجواد هو الحصان، والكبوة أي العثرة، فقد يتعثر الحصان لكنه يكمل، فلا ينبغي أن نيئس منه إذا عثر فسقط في حفرة، حتى لو كانت العثرة شديدة جدًّا، أو بما يساوي السقوط؛ إذ يُحكى أن رجلًا كان له حصان

قوي سريع، وذات مرة عثر، فسقط في بئر، حتى يئس الرجل أن يخرجه، وقال: لقد فقدت حصاني للأبد. فأخذ يُهيل التراب في البئر حتى يدفنه فيه، ولكن الحصان كان ذكيًا فكلما نزل عليه شيء من التراب نفضه عن رأسه، وأخذ يقف فوق التراب، حتى اقترب من فوهة البئر فقفز، وعاد إلى سابق عهده من القوة والسرعة، وكذا أمتنا، تمر بها المحن الشديدة ويخيل للكثير منا أنه لا عودة لها، لكنها توظف هذه المحن حتى لكأنها نِعَم، وتعود إلى الله على بصيرة!

من أكثر البلاد التزامًا وقربًا إلى الله - عز وجل - والتي أثبتت أن المحن والابتلاءات تعين أمة محمد ﷺ على العودة إلى ربها - مهما كثر بلاؤها واشتدت محنتها وعظمت كربتها - فلسطين، فإنها الآن مرابطة تجاهد وتدافع عن دين الله - عز وجل. إن أهل فلسطين يقومون الآن بدور كدور الصحابة الذين تحملوا الصعاب وجادوا بأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الله حتى يفيق كل غافل، وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير، ولا يزالون يجاهدون، ولتنظر إلى شبابها، بل إلى فتياتها، بل إلى فتاة واحدة تبعث برسالة إلى الأمة، وما أجملها من رسالة تدل على

مدى صحوة هذا الشعب وارتباط تلك الصحوة بالابتلاءات التي مر بها. تقول الشابة الفلسطينية خلود:

فلسطيني:

أنا اسمي فلسطينِي..

نقشت اسمي على كل الميادينِ.

بخط بارز يسمو على كل العناوينِ.

حروف اسمي تلاحقني

تعيشني تغذيني

تبث النار في روحي

وتنبض في شراييني

جبال النهر تعرفني..

مغاورها وتدريني

بذلت الطاقة الكبرى

وقلت لأمتي كوني

صلاح الدين في أعماقي يناديني

وكل عروبتي للثأرِ..

للتحرير تدعوني

وراياتي التي طويت
على ربَوات حطينِ
وصوت مؤذن الأقصى
يهيب بنا: أغيثوني
وآلاف من الأسرى
وآلاف المساجينِ
تنادي الأمة الكبرى
وتهتف بالملايينِ
تقول لهم إلى القدس
إليها قبلة الدينِ
إلى حرب تدك الظلم
تزهق روح صهيوني
وترفع في سماء الكون أعلام الفلسطيني
وتهدر كِلْمتي تمضي
فلسطيني فلسطيني

تحية لأرض فلسطين وأهلها الذين لم يرهبوا أعداءهم، ولا تحالف القوى ضدهم، فهم يحاكون آباءهم من

الصحابة الذين قال الله - عز وجل - فيهم: } الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ{ [آل عمران: 173]، ما أجمل هذه الآية! إنها تؤكد ما ذهبنا إليه منذ قليل من أن أكثر البلاد ابتلاءً أكثرها أملًا في النهوض، فإن الصحابة الأوائل ابتلوا بتحالف أعدائهم ضدهم، فكانوا أكثر ثباتًا وثقة بالله - عز وجل - فقالوا بكل إيمان: حسبنا الله ونعم الوكيل.

إذا كنا منزعجين لواقع الأمة الإسلامية فإن علينا أن نعمل على تغيير هذا الواقع، وأن نتحمل مسئوليتنا كاملة دون أن ننقص منها شيئًا، فإن الأمة في أشد كبواتها ومِحَنها ما نهضت إلا بمن تصدى بإخلاص وعزم على الإسهام في نهضة ثانية، وما أسهل ذلك علينا الآن، خاصة أن الأمة ليست في أسوأ حالاتها كما يُقال، بل هي أفضل حالًا منها حين غزاها التتار، فلقد اجتاحوا الأمة الإسلامية لأكثر من عقد من الزمان بدءًا من سنة 616 ه، وهدفهم - كما يقول المؤرخ ابن العماد - إفْنَاءُ المسلمين، حتى قتلوا من بُخارى (بلد الإمام البخاري) 200.000 مسلم، ومن مَرْو 700.000 مسلم في يوم واحد، ثم قتلوا من بغداد 1000.000 أي مليون مسلم، وقيل:

مليونان؛ مليون بأيديهم، وآخر قتل بسبب تعفن الجثث وفساد الهواء وتشبعه بالجراثيم وتفشي الوباء من جراء ذلك، وقد عم البلاء بسبب التتار وهوان الأمة عليهم وعلى أعدائها، ولا أحد يستطيع أن يتفوه بكلمة واحدة، يقول ابن الأثير: لقد شهدت كل ما أحدثه التتار من جرم وسفك للدماء ولم أستطع أن أكتب عن ذلك شيئًا. ثم يقول: كيف يستطيع المرء أن يكتب بيده نعْيَ المسلمين؟! ثم أخذ بعد ذلك يؤرخ ما صنع التتار بالأمة، حتى كان التتري يمر بالجماعة من المسلمين وليس معه سلاح فيأمرهم أن يأتوا له بسلاح لكي يقتلهم، أو أن يظلوا مكانهم حتى يحضر سلاحه ويعود إليهم، وكانوا يفعلون خشية أن يمثل بهم أو يبالغ في إيذائهم.

بل بلغ من جرمهم أن وصلوا إلى نهر جيحون، وحاولوا اقتحام مدينة أورجاندة على ضفاف النهر، وكان أهلها قد بنوا سدًّا بينهم وبينه حتى لا يغرقهم فيضانه، فلما حاصروها خمسة أشهر ولم يفلحوا في دخولها هدموا السور وغرقت المدينة بأكملها ولم يعد هناك مدينة تسمى أورجاندة، غرق المسلمون ببيوتهم وأمتعتهم، أصبحوا جزءًا من نهر جيحون، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وظلوا هكذا حتى وصلوا إلى غزة، وأرسلوا رسلهم إلى مصر، وكان حاكمها حينذاك الأمير قطز، والطلب واحد؛ إمَّا أن تسلم مصر، وإما أن نذبِّحكم كما ذبحنا من سبقكم من البلاد التي تركناها خاوية، فالعالم كله يشهد بقوة التتار وبطشهم، فرفض قطز، وهنا ظهرت قوة وحكمة قطز في إدارة المعركة وقرر الجهاد في سبيل الله - عز وجل - والدفاع عن أمة الإسلام الكبيرة الجريحة، وقال: من للإسلام إن لم نكن نحن؟! فوصل إلى غزة بجيش مصر، وقاتل التتار وانتصر عليهم ومحاهم إلى الأبد، وغَيَّر وجه التاريخ، فقد كان التتار أمة ذات غلبة وقهر قبل المعركة بيوم واحد، ثم انمحت تمامًا في اليوم التالي يوم الخامس والعشرين من رمضان سنة 658هـ.

فالأمة الآن أفضل حالًا منها أيام التتار، والصورة لا تزال مضيئة، بل نحن أفضل حالًا من غيرنا من أصحاب الفوضى والتفلت من كل القيم، ففي العالم الذي يقال إنه متحضر ويشار إليه بالبنان تجد حالات الانتحار والاغتصاب والفواحش وغيرها منتشرة بكثرة؛ فالأمل كبير في النهوض بلا تخاذل، ولنسرع في الإقبال على الله - عز وجل - فمن للإسلام إن لم نكن نحن؟!

إن مظاهر رجوع الناس إلى الله -والحمد لله - تتزايد بصورة غير عادية، فإنك إذا نظرت إلى الحرم والمسجد النبوي على سبيل المثال رأيت أن أغلب أهله من الشباب، وكذلك إذا نظرت إلى الواقع العملي وعلى المستوى الاجتماعي مثلًا رأيت أن الشباب يحدث طفرة كبيرة جدًّا، فلدينا في مصر الآن الآلاف من الجمعيات الخيرية التي يقوم عليها ملايين الشباب يقدمون الخدمات إلى الجميع، ولا ينتظرون نفعًا شخصيًّا، بل النفع والخير لإخوانهم الذين يستحقون المساعدة، وكل هذا خير سنرى ثمرته قريبًا بعون الله في هذه الأمة.

ومما يشرح الصدر ويطمئن على مستقبل هذه الأمة أن عدد المسلمين يتزايد كل يوم، فقد نشرت أشهر المجلات والجرائد العالمية أن عدد الذين يدخلون في الإسلام في أمريكا سنويًّا 52 ألفًا أي حوالي 3 كل ساعة، سبحان الله! إن معنى هذا أن أحدنا لو نام 8 ساعات ثم استيقظ لوجد أن عدد المسلمين زاد في أمريكا فقط 24 مسلمًا!! فالناس مقبلون على الإسلام وعلى تعلمه، حتى كان المصحف الشريف أكثر الكتب مبيعًا، فلنقبل على الله جميعًا، وليأخذ كل منَّا دوره وموقعه حسب قدراته وحسب أحواله الخاصة به، ليس ضروريًّا أن تكون عالمًا

من علماء الدين حتى تدعو إلى الله وتنهض بأمة الإسلام، ولكن إذا حاولت أن تخشع في صلاتك وتتقن عملك وتتفوق في دراستك فقد أديت ما عليك ما دام ذلك في مقدورك واستطاعتك، فالعبادة وإعمار الأرض هما دور الإنسان في هذه الحياة، يقول عز جل: } وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ{ [الذاريات: 56] ويقول - سبحانه وتعالى -:
} وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ{ [هود: 61] فلنعمل لتحقيق هاتين الغايتين حتى ترقى أمتنا وتستعيد مكانتها بين الأمم.

هذه بعض الوصايا التي تساعدك في طريقك إلى الالتزام بالدين والعمل على نهوض أمتك حتى تحقق الغاية المرجوة وتثبت أن الأمة لا تزال بخير.

 الوصية الأولى: الثقة بالله - عز وجل -:

ثق أن الله - عز وجل - معك ومع هذه الأمة، أمة النبي محمد ﷺ، وأنه سيمحق كيد أعداء الإسلام، وأنه سيمكر بهم من حيث لا يشعرون، يقول - عز وجل -: } وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51)} [النمل: 50، 51].

 الوصية الثانية: أن تكون عبدًا لله - عز وجل -:

كيف تُحقِّق ذلك؟ بأن تصير عبدًا له حقيقة لا مجرد كلام، وهذا لا يكون إلا إذا رجعت إليه في كل شيء، وتوقفت عند كل فعل تقوم به، لتعرف حُكم الله - عز وجل - فيه، وهدْيَ رسوله ﷺ ورأى الشريعة التي ارتضاها لك رب العالمين - سبحانه وتعالى -.

 الوصية الثالثة: الوحدة:

لن تتأتى الوحدة بين الشعوب العربية والإسلامية إلا بالحب، فينبغي أن نحب بلادنا حتى نحسن إليها، وأن يحب بعضنا بعضًا حتى نتحد ونتماسك فنحقق الوحدة التي نكون بها أقوى الأمم، وهذا الحب يتأتى بشيء بسيط ألا وهو المسالمة والسلام، كما يقول النبي ﷺ: «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟» قالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: «أفشوا السلام بينكم». وإفشاء السلام يشمل التحية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكذلك يشمل المسالمة في المعاملة، فبهذا تصير مسلمًا

حقًّا كما قال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». فبهذا نفشي السلام؛ ومن ثمَّ ينتشر بيننا الحب، فتتحقق الوحدة المنشودة التي تعيد إلى الأمة عزتها ومكانتها بين الأمم، ونحقق قول ربنا عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 92].

الوصية الرابعة: النصر الأخلاقي:

ينبغي ألا ننتظر النصر دون أن نقدم شيئًا لهذه الأمة، فلِمَ لا يبدأ النصر مني ومنك، وهذا أمر يسير على من يسَّره الله عليه، فغاية ما هنالك أن نلتزم بديننا ونتخلق بأخلاق الإسلام في علاقتنا بالله - عز وجل - وعلاقتنا بكل من يحيط بنا، وأن نقدم كل ما نستطيع لله - عز وجل - فحياتنا ومماتنا له سبحانه، يقول عز من قائل:
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) ﴾ [الأنعام: 162، 163]، فتردد في نفسك: أنا أول من يلتزم؛ لن أكذب، ولن أغش، ولن أسيء إلى أحد، وسأتخلق بأخلاق الإسلام، أخلاق سيد المرسلين محمد ﷺ، وعندها ستجد كرم الله - عز وجل - وتوفيقه وتكون نورًا لغيرك من الناس فسيقتدون بك

قولًا وعملًا، وبذلك تكون قد نصرت دين الله - عز وجل - في نفسك وفي بيتك وفي مجتمعك، وتكون قد قدمت شيئًا لهذه الأمة فيعود إليها مجدها؛ لأن الله - عز وجل - أراد ذلك وجعل لأفرادها نورًا يعيشون به ويحيون فتحيا به قلوبهم، هو القائل سبحانه:

} أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ { [الأنعام: 122]. وقد بشَّرنا النبي ﷺ أن أمة الإسلام باقية وأن لها الغلبة بإذن الله، وأن ملكها سيتسع، يقول ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»فلتسهم في الإصلاح وليكن لك دور إيجابي في نصرة دينك، وابدأ بنفسك حتى يعم الخير وينصلح حال هذه الأمة، أمة الحبيب محمد ﷺ.

★ ★ ★

خدعوك فقالوا... كان زواجه ﷺ شهوانيًّا.. حاشاه ﷺ

خاض الكثيرون في سيرة سيدنا النبي محمد ﷺ وحاولوا النيل منه؛ ومن أبرز ما تناولوه زواجه ﷺ، ولماذا تزوج تسعًا، ولماذا تزوج السيدة عائشة وقد كانت في التاسعة من عمرها، مدعين أن ذلك كان شهوانية منه ﷺ، ولذلك جمع من النساء فوق الأربع، بل تزوج بنتًا في

التاسعة، وحاشاه سيدي ونور عيني أن يكون كما يظنون، ونسوق الرد على تلك الشبهة في النقاط التالية:

- أنه لم يتزوج حتى بلغ الخامسة والعشرين، مع أن العرب كانوا يتزوجون في سن مبكرة، فسيدنا عمرو بن العاص مثلًا تزوج وسِنّه 13 سنة ولم يكن قد أسلم بعد.

- أنه ﷺ رفض ما عرض عليه الوليد بن المغيرة في بداية الدعوة، عندما قال له: إن كان الذي بك جنون أتيناك بالطبيب، وإن كنت تريد مالًا جمعنا لك من بيوتنا حتى تصير أغنانا، وإن كنت تريد الجاه جعلناك سيدنا فلا نقطع أمرًا حتى نرجع إليك، وإن كنت تريد النساء زوجناك أجمل نسائنا. فقال النبي ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد؟». قال: نعم. قال: «فاسمع مني». قال: أفعل.

فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون»(1).

فقد رفض النبي ﷺ المال والسلطة والجاه والنساء، وذلك كله من الشهوات، فقد رفض ما عُرض عليه من ملذات ومغريات، فكيف يكون شهوانيًا ﷺ؟!

- أنه ﷺ تزوج أول ما تزوج ثيبًا تكبره بخمس عشرة سنة، ألا وهي أم المؤمنين السيدة خديجة ، ولو شاء لتزوج بكرًا، وقضى مع السيدة خديجة ☐ نحو عشرين سنة، ثم لما ماتت لم يتزوج بل ذهب إلى الطائف يدعو إلى الله - عز وجل - فلقي من أهلها عنتًا وجحودًا حتى إنهم سلطوا عليه صبيانهم يقذفونه بالحجارة، وناله الأذى منهم في دعوته ﷺ، وظل بلا زواج حتى هاجر إلى المدينة بعد وفاتها بثلاث سنوات، ثم تزوج امرأة أكبر من خديجة ؛ إنها السيدة سَوْدة بنت زَمْعَة وكانت أرملة، فاختارها ليساعدها ويقوم على شأنها مع أنه لو شاء لتزوج من بنات أصحابه الذين كانوا يجلونه ويفدونه بالنفس والنفيس، وكانوا يعتبرون مصاهرته شرفًا عظيمًا لهم؛ لأن زوجته ستكون أمًّا للمؤمنين وزوجة لخير خلق الله محمد ﷺ.

- أنه ﷺ كان عفيفًا حتى في المنام، لما رأى في المنام جارية لعمر في الجنة أعرض عنها. يقول ﷺ محدثًا عمر بن الخطاب: «فرأيت قصرًا كبيرًا جميلًا فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب. قال: ثم رأيت جارية تتوضأ ثم ذكرت غيرتك يا عمر فوليت مدبرًا». فبكى سيدنا عمر ، وقال: أو منك أغار يا رسول الله؟!

- أنه ﷺ كان يتحكم في شهوته مع زوجاته، تقول السيدة عائشة: «كان رسول الله ﷺ أملككم لإربه»، مع أنها كانت أحب زوجاته إليه ﷺ.

- أنه ﷺ اختار أن يكون بسيطًا، وأن تعيش زوجاته حياة الفقراء، تقول السيدة عائشة: ما شبع آل محمد من خبز الشعير قط حتى قُبض ﷺ، بل بلغ الحال بهن أن طلبن منه أن يزيد النفقة عليهن فوق طاقته، فأنزل الله - عز وجل - عليه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة: } يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا { [الأحزاب: 28].

فقد كانت أمواله ﷺ تنفق على الفقراء والمحتاجين، مثل أهل الصُّفَّة الذين بلغ عددهم 400 صحابي، ولو شاء لأنفق على زوجاته وعاش معهن في سعة ورغد من العيش.

- أنه ﷺ كان يقضي أغلب وقته في شئون الدعوة، وإلا فكيف دخل الناس في دين الله أفواجًا؟! فلو كان يتمتع بنسائه اللاتي أحلَّهن الله له أغلب الوقت ما وجد وقتًا للدعوة إلى دين الله - عز وجل -.

- أنه ﷺ غزا وهو في المدينة 28 غزوة في عشر سنوات، أي بمعدل ثلاث غزوات في كل سنة تقريبًا، فهل يكون شهوانيًّا من يجاهد في سبيل الله - عز وجل - بهذه الصورة؟!

وبَعْدُ .. فإني أريد أن أحذركم من المواقع التي تثير مثل هذه الشُّبه حول حياة الرسول ﷺ، فابتعدوا عنها، ولكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حين نهى عمر بن الخطاب عن القراءة في التوراة، فيُذكر أنه رآه يقرأ في صفحات منها، فقال له: «ما هذا يا عمر؟» فقال: يا رسول الله، إنها صفحات من التوراة أعطانيها أحد اليهود. فغضب النبي ﷺ وقال: «أمتهوكون فيها يابن الخطاب، فوالذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»، فما بالك بنا نحن، فهل يجوز لنا أن نتصفح تلك المواقع ونحن لا دراية لنا بحياة النبي ﷺ وسيرته، وليس لدينا القدرة على رد تلك الشبهات؟! فكأنك دخلت معركة وليس معك سلاح... لأن سلاحك هو العلم.

من الأفضل إذن ألا نقرأ ما يسيء إلى نبينا، بل علينا أن نقرأ ما يفيدنا ويؤكد فكرتنا عنه ﷺ، فهناك عشرات الكتب تحدثت عن حياته وعبقريته ﷺ، بل من الأجانب

من ألَّف فيه كتبًا، أو تناوله في كتاباته بصورة منصفة، من ذلك مثلًا ما قاله مايكل هارت في كتابه «الخالدون مائة وأعظمهم محمد ﷺ»، حيث قال:

«لقد اخترت محمدًا في أول هذه القائمة ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار، لكنه هو الإنسان الوحيد الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستويين الديني والدنيوي ودعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدًا سياسيًّا وعسكريًّا ودينيًّا، وبعد ثلاثة عشر قرنًا من وفاته لا يزال أثره قويًّا متجددًا».

ويقول الكاتب الهندوسي راما كريشما:

«إن محمدًا هو النموذج المثالي للحياة الإنسانية».

ويقول غاندي وهو من أشهر الزعماء في العالم:

«أردت أن أعرف من هو أفضل من يمكن أن يكون له الحكم المطلق على قلوب الملايين من البشر فأصبحت مقتنعًا بأن الإسلام ما اكتسب مكانه في دائرة الحياة

بالسيف وإنما بالبساطة والسماحة المطلقة للنبي محمد واحترامه الشديد لعهوده ....».

قد يقول قائل: ولِمَ لمْ يسلم كل هؤلاء؟! الإجابة يسيرة جدًّا، وهي في قوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]، فلتحمد الله سبحانه أنك ممن شاء أن يهديهم إلى الإيمان به وبنبيه محمد ﷺ.

وأخيرًا فلتعلم أيها الأخ الكريم المؤمن بنبيه أنه كان أعفَّ الناس، وأن تعدد زوجاته لم يكن إلا لحكمة؛ فلكل زيجة من زيجاته سبب، فالسيدة عائشة مثلًا تزوجها صغيرة حتى تتعلم منه أحكام الشريعة وتعلِّمَها فيما بعد، لأنها صُغرى نسائه سنًّا، وبالتالي فهي أكثرهن وعيًا، وأطولهن عمرًا بعده ﷺ؛ فقد عنه (2210 أحاديث). وقد كانت قبله مخطوبة؛ وهذا يدل على أن هذه سنٌّ طبيعية لزواج النساء.. أضف إلى ذلك أنه لم يرد في التاريخ أي انتقاص من أعداء رسول الله ﷺ له حينها لكونه تزوج فتاة صغيرة؛ نظرًا لطبيعة هذا الأمر اجتماعيًّا وقبول الطبائع السوية له. والسيدة جويرية بنت الحارث تزوجها فدخلت قبيلتها كلها في دين الله - عز وجل. وغيرها من زوجاته، كان لكلٍّ منهن سبب، كزينب بنت

جحش تزوجها النبي ﷺ بأمر من الله - عز وجل - بعد أن طلقها خادمه سيدنا زيد بن حارثة الذي كان يلقب بزيد بن محمد لأنه قد تبنّاه، فلما حرم الله التَّبنِّي أراد أن يغلق هذا الباب نهائيًّا، فأمر النبي ﷺ أن يتزوجها، يقول - سبحانه وتعالى -: } وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا{ [الأحزاب: 37]. وهكذا فإن نبينا المعصوم ﷺ لم يكن شهوانيًّا - كما يزعم مَن لم يعرفه - بل كان عبدًا ربانيًّا يطيع ربه - عز وجل - ويدعو إليه على بصيرة، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم إلى يوم الدين.

وأوصيكم بقراءة السيرة العطرة، فهناك كتب كثيرة تناولتها، مثل كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي رحمه الله، وأوصيكم كذلك بكثرة الصلاة والتسليم عليه ﷺ.

* * *

خدعوك فقالوا... لن تغيِّر الكون

كثيرًا ما نسمع هذه العبارات: «لن أغيِّر الكون» أو «ماذا عسى أن أصنع؟» أو «وما دوري؟» أو «أنا أضعف من أن أغير» وللأسف مثل هذه العبارات تدل على أن صاحبها يحتاج لمراجعة أمور كثيرة في حياته، منها ما هو متعلق بذاته، ومنها ما هو متعلق بعلاقاته بالآخرين، بل أحيانًا بربه عز وجل، ويدل أيضًا على أنه يحتاج لمراجعة ثقته

بنفسه حتى لا تؤدي هذه الفكرة إلى انهزاميته التي ينطلق منها في أغلب تصرفاته إزاء مواقفه اليومية وربما الحياتية أو المصيرية، فتجده في حال غير الذي يرجو لنفسه لكن لا حيلة له في تغييره، تجده يسأل الله أن يرزقه بعمل، ثم إذا به متكاسل لا ينشط للخروج إلى هذا العمل، أو لا يجتهد ليحقق أعلى عائد مثلًا، لأنه محبط بسبب المفهوم الخطأ الذي نشأ عليه أو سمعه فصدقه أو خدعوه فقالوا له «لن تغير الكون» والذي يبعث على فقدان الأمل بدوره في أي تغير حتى التغير الشخصي والتطور الذاتي للشخص، وبالتالي فإن علينا أن نغير هذا المفهوم السلبي، ولنثق أن الله - عز وجل - قد يستخدمنا فيما فيه نفعنا أو نفع الآخرين، وبهذا نتغلب على انهزاميتنا، وعدم ثقتنا بأنفسنا التي من أهم أسبابها:

وسنحاول فيما يلي الوقوف عند كلٍّ منها بالتفصيل محاولين طرح العلاج:

1- ضعف الثقة بالله - عز وجل -:

بعض الناس للأسف الشديد يسيء الظن بالله - عز وجل - ويخشى أن يضيعه إن هو عاد إليه وأناب، فيظل على ما هو عليه من خوف وضياع، ولا يرى إلا السلبيات في نفسه وفي الآخرين، وبإمكانه أن يتخلص من ذلك

كله إذا تذكر أنه خليفة الله في أرضه، ولن يضيع الله خليفته، فقد خلق أباك آدم وأمر الملائكة أن تسجد له.

يقول - عز وجل -: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30]، ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 34]، كما جعل من الملائكة من يستغفر لك أيها المؤمن فكيف يضيعك إن رجعت إليه؟! يقول سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: 7]، ويبشرك - سبحانه وتعالى - بأنه يقبل منك كل ما تقدمه ويشكر لك تقواك وصبرك على الطاعة وصبرك عن المعصية، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: 90]، فأحسن الظن بالله - عز وجل - فإنه يدعمك على طريق الخير، وأكثر من فعل الخيرات، واثقًا

بالله - عز وجل - وأنه سيوفقك، ولن يضيعك أبدًا، فالكريم لا يخيب فيه الآمال، واذكر دائمًا أنه هو الموفق، وهو القائل عز وجل: { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ }[الطور: 48]، فأنت فعلت وهو - سبحانه وتعالى - وفّق، فثق بالله دائمًا حتى تنجح في حياتك الدنيا وتفوز في الآخرة بالجنة.

2- النظر إلى التجارب السابقة نظرة سلبية دون تعلم:

قد تؤثر علينا تجاربنا التي لم نوفَّق فيها تأثيرًا سلبيًا، فتعوقنا عن الأعمال النافعة الناجحة بدعوى أننا فشلنا كثيرًا قبل ذلك ويمكننا التخلص من هذا الأثر السيئ بأن نعتبر الفشل مجرد تجربة، وهناك فارق كبير بين من ينظر إلى تجاربه السابقة على أنها فشل، ومن ينظر إلى فشله السابق على أنه تجربة، مجرد تجربة قد فشلت، لكن بإمكاني أن أعيدها، أو أحاول بتجارب أخرى، قد تبدأ بسيطة، لكن سيفتح الله عليك فيما بعد، وستخطو بمعدل أفضل وليكن لك في رسول الله أسوة حسنة، فإنه مكث في مكة 13 سنة يدعو الناس إلى دين الله الواحد الأحد فما أسلم معه غير 130 من مكة كلها، لكنه بعد أن هاجر إلى المدينة أسلم معه في عشر سنوات فقط 120.000، وصدق الله العظيم إذ يقول:

}قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ{ [يوسف: 90]، فقد تعمل كثيرًا، ولا تحصّل ما كنت ترغب في تحصيله من مال، ثم يفتح الله عليك بعمل يسير وعائد كبير. فعليك ببذل الجهد، وانتظر التوفيق من الله - عز وجل - واعلم أن معدنك كريم وأصيل رغم ما غطّاه من تجارب قد فشلت، تمامًا كقطعة ذهب مشغولة كأفخم ما يكون قد غطّاها الطين، لكنها من الداخل ذهب خالص، ومتى أزلنا الطين عنها عادت إليها قيمتها؛ فلتُزل ما خلّفته التجارب السابقة على معدنك النفيس لتعود إليك قيمتك وتشعر بوجودك، وتعمل ما يرضي ربك ويرضيك عن نفسك.

3- الجهل بالإمكانيات المتاحة لنا:

قد يخفى على بعضنا ما أودع الله فيه من صفات وما أتاح له من إمكانيات، وبالتالي يظل بعيدًا عن إنجاز ما هو نافع، أو يسيطر عليه ذلك المفهوم الخطأ «لن أغير الكون» - أو حتى نفسي - أكثر وأكثر، فليثق كل منا بأن الله جعل له موهبة تميزه عن الآخرين، وأن بإمكانه أن يوظفها، لا تظن في نفسك الخذلان والتقاعس، ولتذكر دائمًا قول سيدنا النبي محمد ﷺ:

«لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست نفسي» بل عليك أن تستعين بالله - عز وجل - وتبحث عمَّا ميزك به - سبحانه وتعالى - فعسى أن تُفِيدَ منه وتستخدمه استخدامًا نافعًا لك ولغيرك، فالبخاري مثلًا كان يتمتع بحسن الحفظ وقوته، ولذلك استخدم هذه الميزة عندما كان جالسًا إلى شيخه الذي قال: «هل يخرج لنا أحد من الناس يجمع صحيح سنة النبي ﷺ؟» يقول البخاري: «فوقع ذلك في صدري» وأخذ يجمع الحديث الشريف لمدة 16 سنة، وعانى كثيرًا، حتى إنه أكل الحشائش لمدة ثلاثة أيام حتى رزقه الله - عز وجل - بالطعام، فهذا اجتهاده، ونتيجة لذلك فقد وفقه الله - سبحانه وتعالى - حتى أصبح اسمه مقترنًا باسم الرسول ﷺ، وأصبح من أشهر رجال الأمة، وذلك بسبب توظيف كل ما يتمتع به من مميزات استطاع اكتشافها في نفسه، فقد يستطيع أحدنا أن يساعد المحتاج بماله، وقد يستطيع آخر أن يعلم الناس العلم، وثالث يستطيع أن ينضم إلى جمعية خيرية، والكل واقف على ثغور الإسلام وطرق الخير بحسب إمكانياته التي أودعها الله - عز وجل - فيه، ووفْق مراد الله سبحانه من كل فرد في هذه الأمة.

كثير من الناس يحاول تبرير أخطائه أو تكاسله بأعذار يلقيها على الآخرين أو على الظروف وما إلى ذلك هربًا من مواجهة نفسه، لكنه إذا نظر بعين الإنصاف إلى ما يقوله وجد أنه كان مستعدًّا للتجاوب مع ما يسميه أعذارًا، فإنه لم يتأخر عن العمل لأن المواصلات صعبة، بل لأنه لم يخرج مبكرًا بحيث يتغلب على أحوال المواصلات مهما كانت، وأنه لم يسئ إلى الآخرين لأنهم أثاروه، بل لأنه لم يستطع التحلي بأخلاق الصبر وضبط النفس والعفو عن الآخرين، وهكذا.

بعد تصحيح النية والثقة بالله - عز وجل - والاعتماد عليه تستطيع أن تغير الكون؛ وذلك بتغييرك لنفسك أنت التي هي جزء من الكون، بأن توظف صفاتك الإيجابية التي أودعها الله - عز وجل - إياك، ولكن في أي شيء؟

لقد وصف المتخصصون الأشياء المفيدة النافعة التي نستطيع أن نفرغ فيها مجهودنا بأنها تشتمل على أربعة أمور:

1 - أن تكون محبًّا لهذا الشيء.

2 - أن يكون لديك مهارة أو تستطيع أن تنمي نفسك فيها أو تتعلم المزيد من هذا الشيء.

3 - أن تكون مما تحتاج إليه أو يحتاج إليه الناس.

4 - أن تكون أشياء ذات قيمة.

فإذا توافر في عمل من الأعمال هذه الخصال الأربع ورأيت الله قد يسّر لك أسبابه ووفقك إليه، فاعلم أنه باب خير قد فتحه الله لك لعله يكون مراده منك ورسالتك الحقيقية في الدنيا؛ لأننا خلفاء الله في أرضه، فلا بد أن نصل بها إلى أفضل حال حتى نكون قد حققنا الخلافة فيباهي بنا الله - عز وجل - ملائكته ويباهي بنا الرسول ﷺ كل الأمم يوم القيامة لأننا أمة عاملة لا متكاسلة، أمة واثقة بتوفيق ربها لا منهزمة ولا متخاذلة؛ تعمل ما يرضي ربها - عز وجل - ويسرُّ نبيها أشرف الخلق محمدًا ﷺ.

* * *

خدعوك فقالوا... يجب أن يستجيب الله لدعواتك كما تريد ووقتما تريد

هل دعوت الله - عز وجل - من قبل فلم يستجب لك؟ ماذا كان شعورك حينها؟ ماذا فعلت بعد ذلك؟ هل دعوته أم كففت عن الدعاء؟

بعضنا إذا دعا الله - عز وجل - تعجَّل الإجابة، بل انتظر أن يعطيه الله سبحانه ما طلبه تمامًا على ما يحب وعلى

الوجه الذي يريده، فإذا لم يكن ذلك ظَنَّ بالله أنه أعرض عنه، ووسوس إليه الشيطان بأن الله غضب عليه لذلك لم يسمع لدعائه. لكن اعلم أن الله - عز وجل - يعلم ما يُصلح عبده وما يفسده فإذا أعطاه كان ذلك بقدر منه سبحانه، فهو يقول: } وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ{ [الشورى: 27]، ويقول - سبحانه وتعالى -:
{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } [البقرة: 216].

فما يدريك أن الذي تسأله فيه مصلحتك بل ربما لو أجابك الله - سبحانه وتعالى - لفسد حالك، فأنت لا تعرف أين صالحك، وهذا شأن الإنسان الذي قد يدعو بالشر وهو يريد الخير، أو يلح بالشر إلحاحه بالخير، يقول - عز وجل -: } وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا{ [الإسراء: 11]. ولتعلم أن الله قد يعطيك ويوسع عليك اختبارًا لك، كما أنه قد يمنعك ويضيق عليك اختبارًا لك، فلنفهم كل ذلك عندما نتعامل مع الله - عز وجل -.

لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار..

ابن عطاء الله

هذا شأن الإنسان في الحياة الدنيا، فهي دار ابتلاء، يقول - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز: } تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2){ [الملك: 1، 2]، فهذا حالك ما دمت حيًّا؛ تُبْتلى وتُعَافى ثم تبتلى ثم تعافى، ولا تتعجب فهذا حال الدنيا، كما قال ابن

عطاء الله: «لا تستغرب وقوع الأكدار مادمت في هذه الدار». أما يوم القيامة فلا شيء من ذلك كما يبشرنا النبي محمد ﷺ: «ينادي يوم القيامة منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا، وإن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا، وإن لكم أن تنعموا فلا تحزنوا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا».

لأن الدنيا دار عمل ولا حساب والآخرة دار حساب ولا عمل.

اعرف ربك جيدًا حتى تقبل أقداره وترضى بها فتحبه عز وجل، فإنه يحب منك التقوى ويحب منك الصبر، ويحب منك الشكر، إن نصف الإيمان في الشكر ونصفه

الآخر في الصبر، يقول - عز وجل -: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: 19] ففي هذا وصف للمؤمن بالصبر والشكر.

عليك أن تعلم الحكمة من عطائه ومنعه، فإنه قد يريد أن يعرفك به وبصفاته من عطاء ومنع وبر وقهر، لكن برفق، فهو يتودد إليك وأنت عبده،

يقول ابن عطاء الله: «متى أعطاك أشهدك برَّه، ومتى منعك أشهدك قهرَه، وهو في كل ذلك متعرف إليك، ومقبل بلطفه عليك».

فلا ينبغي أن تنسى نعمه أو تظن أنها حق مكتسب لك، بل هي رزق منه سبحانه، ولكن لأنه كريم يعدد النعم وينوعها ويمتعنا بها وقتًا طويلًا فقد ننسى أنه المنعم، بل قد غفلنا عن نعم كثيرة، منها السمع والبصر والقوة والشعور وغير ذلك، بل هناك نعمة الأرض المستوية الممهدة، وقد ذكرنا الله - عز وجل - بها بعد أول نداء في القرآن الكريم، في سورة «البقرة»، حيث قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)} [البقرة: 21، 22]. فهو الذي جعل الأرض فِراشًا؛ أي ممهدة لنا، ورفع السماء فلم تسقط علينا، وأنزل الماء الذي تحيا به الأرض وتنبت الزرع والثمر فنأكل من رزقه - سبحانه وتعالى. يعرِّفنا الله - عز وجل - بنعمه حتى نشكره ونحبه ونرضى بقضائه وقدره فنفوز برضاه في الدنيا وبجنته في الآخرة.

لا تقل دعوت الله فلم يستجب لي، أو تقل أعطاني الله لأني أستحق لأني أحسن من غيري، وليكن لك في أنبيائه عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام قدوة وأسوة حسنة، فهذا أيوب ابتلاه الله بالمرض لمدة 18 سنة فصبر، بل عندما سأل الله - عز وجل - لم ينسب إليه الضرر بل نسبه إلى نفسه، ونسب إلى الله - عز وجل - الرحمة، فقال: } وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ{ [الأنبياء: 38]، فلم يقل مسستني يارب بضر، بل قال مسَّني الضر؛ تأدبًا مع الله - عز وجل -.

وهذا يونس عندما ابتلعه الحوت، سأل ربه تائبًا إليه مستغفرًا، فقال: } وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ { [الأنبياء: 87] فاستجاب الله له

وأنجاه، يقول سبحانه: } فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ{ [الأنبياء: 88].

وهذا سيدنا سليمان أعطاه الله مُلكًا لم يعطه أحدًا من العالمين، حتى إنه ذات يوم أراد أن ينقل عرش بلقيس من مملكة سبأ إلى حيث يجلس على عرشه فلما حقق الله له ما أراد شكر، تقول الآيات:

{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)} [النمل: 40]. فلم يقل إنني أهل لهذا الفضل أو أستحق هذا العطاء، بل نسب الفضل إلى الله - عز وجل - وشكره، وعرف حقه، فهذا تأدب مع الله سبحانه في حال المنع والبلاء.

قد يسأل سائل: ألم يقل الله - عز وجل -: } وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ{ [غافر: 60]؟ فها قد دعوت فلِمَ لمْ يستجب! ويقول آخر: لقد قال عز وجل: } فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ

يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) { [الطلاق: 2، 3]، فها قد اتقيت الله فأين المخرج؟ قد يرى الله - عز وجل - أن العطاء الآن ليس مناسبًا لك، وأنه إن أعطاك لم تشكر فكان ذلك هلاكًا لك؛ لأن الإنسان قد يطغى إذا أنعم الله عليه، يقول - عز وجل -: } كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى (6) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى{ [العلق: 6، 7]، فإنه يطغى لأنه استغنى بما لديه من نعم الله - عز وجل - فكان المنع هنا عطاءً، حتى لا يطغى.

أما من يسأل أين المخرج فسيأتي المخرج في وقته.. اطمئن.. وعلامة اقتراب المخرج والفرج أن الله جعل لجوءك إليه هو، وهو الغني القادر، وهو أرحم الراحمين.

* * *

خدعوك فقالوا... الشيطان شاطر

يعبر كثير منا عن كيد الشيطان وبراعة حيله التي يوقع بها ابن آدم في المعاصي أو يبعده بها عن الأفضل من الأعمال، بأن الشيطان «شاطر»، وبالتالي فإننا نهابه أو تقل ثقتنا بأنفسنا إزاءه، ونعتقد أنه سينتصر علينا لأننا ضعفاء قليلو الحيلة وهو «شاطر» عليم بأسباب وقوعنا في الزلات، لكن الإسلام غير هذا المفهوم الخطأ الذي

خدع به كثير منا، وأقر مفهومًا آخر هو الصحيح يدلنا على أن الشيطان لا يقوى على إيقاعنا بسهولة كما نظن لأنه ضعيف، يقول - عز وجل -:
}إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا{ [النساء: 76] . فلنستعد ثقتنا بأنفسنا ونحاول الانتصار عليه مستعينين بالله - عز وجل -.

صحيح أن كيد الشيطان ضعيف، لكنه عندما يفلح في إيقاع ابن آدم فإنه يكون في هذه اللحظة قويًّا، ترى ما سر قوته؟! تكمن قوته في أمرين:

الأول: الخبرة الطويلة، فإنه منذ بدء الخليقة يتعامل مع بني آدم ويعرف سبل إيقاعهم، ويعرف من أين يأتي إليهم ويدخل إلى قلوبهم ويصور لهم المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، فقد طال عمره وتنوعت غواياته بتنوع من أغواهم.

الثاني: أنه يرانا ولا نراه كما يقول - عز وجل -: }إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ{ [الأعراف: 27] . فهو مطلع على كثير من أسرارنا ويعلم بسبب رؤيته إيانا ما نخفي عن كثير من الناس خاصة أنه قريب جدًّا منا ولو كنا لا نراه، يقول رسول الله ﷺ: «.. فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». فهذا سبب يقويه علينا

ويعينه على غوايتنا، لكن مع قوته هذه ما زال ضعيفًا إذا ما واجهه الإنسان بالطريقة الربانية الموصوفة في الكتاب والسنة.

الاستعاذة:

رغم ما يبدو عليه الشيطان من قوة بسبب خبرته وقربه منا، فإن التغلب عليه يسير جدًا، وهو اللجوء إلى الله - عز وجل - الذي أمرنا في كتابه بالاستعاذة به من الشيطان الرجيم حتى نكون في كنف الله سبحانه فلا يقدر علينا ذلك الشيطان، يقول - سبحانه وتعالى -: } وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{ [فصلت: 36] . فمن استعاذ بالله أعاذه، ومن لجأ إلى مولاه حماه، فما خبرة الشيطان أمام علم الله ؟! وما قرب الشيطان أمام قرب الله الذي صوره – جل شأنه – في قوله } ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} [ق: 16]. فالاستعاذة سبب قوي في الحماية من الوقوع في حبائل الشيطان.

إذا عرفت الشيطان على حقيقته عرفت ضعفه وهوانه، وأنه لا ذكاء له ولا عقل غالب لمن يلجأ إلى ربه، ويكفي للدلالة على ذلك أنه لم ير حكمة الله - عز وجل - في

اختيار سيدنا آدم عليه السلام ليكون خليفة، ولم يسلم له حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام ، بل عندما أدرك خطأه وأن الله قد غضب عليه لم يسرع بالتوبة، بل لم يرجع عن حماقته حتى عادى الله - عز وجل - وقد أثبت القرآن الكريم ذلك، يقول - عز وجل -:

} وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ { [البقرة: 43]، فقد عصى أمر الله - عز وجل - فكفر، فلما سأله الله سبحانه: } قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13){ [الأعراف: 12، 13]، الآن أدرك الشيطان خطأه وأن الله - عز وجل - غضب عليه، فماذا صنع؟ إنه طلب أن يُنظره الله - سبحانه وتعالى - إلى يوم البعث {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14)} [الأعراف: 14]، ترى لِمَ طلب من الله أن يؤجله؟! أيريد أن يحسن فيما بقي من عمره؟! لا بل ساقته الحماقة القاتلة إلى أن يناصب ربه العداء، ويتوعد عباده ليخرجهم عن طريق الله المستقيم، تكمل الآيات الحوار: } قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ

وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)} [الأعراف: 15-17]، هكذا كان صنيع الشيطان، في حين أن سيدنا آدم عليه السلام لما أخطأ عرف خطأه وأناب، ويقص القرآن الكريم ذلك، يقول - سبحانه وتعالى - مخاطبًا سيدنا آدم وزوجه حواء - عليهما السلام - معاتبًا إياهما على مخالفة أمره بأن أكلا من الشجرة: { فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) } [الأعراف: 22، 23]، فهذا آدم عليه السلام أبو البشر قريب الرجوع إلى الله - عز وجل - ولم يصر على ما فعل، بل ندم واعترف بأنه ظلم نفسه، ثم طلب المغفرة من الله - عز وجل - والرحمة منه - سبحانه وتعالى -.

ثم يسوق القرآن الكريم إلينا نتيجة حوار إبليس مع ربه عز وجل، ونتيجة حوار آدم عليه السلام مع ربه - سبحانه وتعالى - ليعلمنا أن الاعتراف بالخطأ والتوبة منه أمر يرضي الله - عز وجل - وأن الإصرار على المعصية يستوجب غضبه - سبحانه وتعالى - يقول تعالى في

كتابه: {قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)} [الإسراء: 63، 65]، في حين أن الله - عز وجل - تاب على آدم عندما أناب إليه - سبحانه وتعالى - ويخبرنا القرآن الكريم بذلك، يقول - سبحانه وتعالى : { فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 37]، إذا عرفت الشيطان وأنه لا ذكاء له ولا حيلة إلا بابتعادك عن الله - عز وجل - أدركت أن كيده ضعيف وأنك متى استعذت بالله نجوت، وعلمت أيضًا أن عنصر البشر أذكى وأكثر عقلًا من عنصر الشياطين، وبالتالي فلا تضعف أمام مغريات الشيطان واعلم أنك قادر على التغلب عليها بإذن الله رب العالمين الذي أمرك بالاستعاذة به - سبحانه وتعالى - وما كان الله ليأمرك بالاستعاذة ثم يتركك ولا يجيب مسألتك.

للشيطان مداخل كثيرة يوقع بها عباد الله - عز وجل - في المعاصي والذنوب، وهي متدرجة على مراحل؛ منها أن يدعو الإنسان إلى الكفر بالله - عز وجل - فإذا لم يجبه

دعاه إلى الكبائر، فإذا استعصم بالله - سبحانه وتعالى - دعاه إلى اقتراف صغائر كثيرة، فإذا استوثق بحبل الله المتين شغله الشيطان بالمباحات عن المستحبات والفرائض، فإذا لم يستطع أغرى به الناس يؤذونه، فتجد المتقين مضطهدين من بعض الناس، أو تجدهم قد استهزأ بهم بعض من حولهم، وهكذا فإن ذلك كله من فعل الشيطان الرجيم.

من أخطر المداخل التي يدخل بها الشيطان إلى ابن آدم أن يزين له المعاصي حتى يرى الحرام حلالًا، ويرى المنكر معروفًا، فقديمًا قد زين الشيطان لأهل مكة أن يطوفوا بالبيت عرايا؛ لأن ملابسهم قد عصوا الله فيها، وحديثًا زين الشيطان لنا الغش في الامتحانات ومصاحبة

الشباب والفتيات وغير ذلك من تزييناته المشهورة،

ولكن المخرج من هذا بأن يحاول أن يلتزم الحلال والمعروف.

قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه»(1).

قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه»(1).

وفي هذا الحديث يدلنا ﷺ على طريقة نعرف بها الخير من الشر والحلال من الحرام والمعروف من المنكر والبر من الإثم، يقول ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس». فلا تنخدع بالتزيين والتزم ما تستبرئ به لدينك وعرضك.

ومن المداخل التي يدخل بها الشيطان إلى الإنسان أنه إذا فشل في تزيين المنكرات ورأى أن العبد قد أقبل على ربه، دخل إليه من باب الكآبة وأن الالتزام قد جعله كئيبًا يعيش في كآبة، ويخيل إليه أن الناس ينفرون منه، أنت بأدبك هذا لن تتزوج، وأنتِ بحجابك هذا صرت أكبر من سنك الحقيقية بعشر سنوات وهكذا، فتلك نزغة شيطان، فدعها واركن إلى ما تجد في نفسك من ميل للخير فإنه لمة ملك من الملائكة.

فقد بين النبي ﷺ لنا ذلك حيث قال: «إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق،

فمن وجد ذلك فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ من الشيطان»(3).

اللمة: الشعور، أي أن الشيطان يقذف في قلبك شعورًا سيئًا كالكآبة مثلًا والقلق على المستقبل حتى تدع ما أنت عليه من الهدى وتتبع سبيل الشيطان فتجد الخسران في الآخرة ليكون بذلك قد حقق غايته من المكث في الحياة الدنيا.

يدخل الشيطان إلى من لم يكتئب بأنه متشدد، وأن النبي ﷺ قد نهى عن التشدد..

حيث قال ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»(1).

هذا كلام صحيح ولا ينبغي للمسلم أن يكون متشددًا، لكن لمن يقال هذا الكلام؟ أيقال لمن لم يكن يصلي ثم صلى؟ أيقال لمن لم يكن ملتزمًا بأوامر الله - عز وجل - وأخلاق رسوله ﷺ ثم التزم؟ إنما يقال لمن غالى في الدين بأن فعل ما لم يكن رسول الله ﷺ يفعل، أما أن نترك الغش والكذب والفحش والعري وما إلى ذلك فليس من التشدد؛ لأن النبي ﷺ لم يكن متشددًا، إذ فعل ذلك، فكيف يكون متشددًا من يتبع هدي النبي ﷺ؟ فعلى

المؤمن ألا يظن نفسه متشددًا لمجرد اتباعه للحبيب النبي ﷺ، وكذلك على الأهل ألا يعتبروا ذلك تشددًا من أبنائهم إن هم التزموا أخلاق النبي ﷺ.

يأتي الشيطان ابن آدم الذي أخطأ أو وقع في معصية من باب التيئيس, وله في ذلك طريقة خبيثة جدًّا ؛ وهي أن يطمعه في رحمة الله التي وسعت كل شيء، فيخطئ ويقع في المعاصي ويتمادى ثم يأتيه الشيطان ليضيق عليه حياته وييئسه من رحمة الله التي وسعت كل شيء، ويوهمه أن الله - عز وجل - لا يريد له الخير وإلا لاستعمله وهداه، لكن بما أنك أيها العبد كنت طائعًا فعصيت فإن الله - عز وجل - لا يحبك ولا يريدك، لكن دع ذلك كله وذكر نفسك بقول الله - سبحانه وتعالى -: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)} [طه: 82] فلتتب إلى الله الغفور الرحيم الذي قال في كتابه الكريم: } وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ{ [الأعراف: 156]، واعلم أن كلمة إبليس جاءت من «أبلس»، ومعناها يئس، فإبليس يائس، لذلك يريد أن ييئس كل الخلق من ربهم عز وجل.

قال ﷺ:«يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»(1).

فتلك وسوسة الشيطان في صدر ابن آدم ليجعله يفكر في ذات الله - سبحانه وتعالى - وقد نهينا عن ذلك، وصدق الله العظيم إذ يقول: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110)} [طه: 110]، فهذه صورة للوسوسة. وهناك صورة أخرى؛ وهي أن يأتي الشيطان إلى الإنسان في الصلاة ويقذف في صدره ما فيه إساءة إلى الله - عز وجل - فقد قال رجل: يا رسول الله، إنا لنجد في أنفسنا أشياء ما نحب أن نتكلم بها وأن لنا ما طلعت عليه الشمس. فقال ﷺ: «قد وجدتم ذلك؟». قالوا: نعم. قال ﷺ: «ذاك صريح الإيمان» . ومعنى هذا أن الشيطان عجز عن أن يأتي إلى ذلك الرجل من أي باب، فقذف ذلك في صدره تمامًا، كما يكون لأحدنا حديقة حول بيته، وقد أحكم منافذها وسيطر عليها بإحكام، فجاء من قذف في هذه الحديقة شيئًا لأنه لم يستطع أن يدخل من أي باب من الأبواب المتعددة، لأن صاحب الحديقة أحكم سيطرته على كل تلك الأبواب، لذلك كان رد رسول الله ﷺ: «ذاك صريح الإيمان».

إذا جاء لك شيء من ذلك فلتسرع إلى فعل الخيرات كأن تتصدق مثلًا؛ لأن الشيطان إذا رآك تقترب من ربك كلما حاول أن يقذف تلك الأشياء في صدرك رجع ولم يعد إليك ثانية.

أرأيت كيف يأتي الشيطان من كل باب، وكيف يستخدم كل حيلة حتى يثبط عزيمتك ويصدك عن فعل الخيرات ويزج بك إلى المنكرات؟ فلتسارع بالتوبة إلى الله - عز وجل - ولا تسوَّف، لأنك عبارة عن عمرك فإذا أذهبته هباء فقد أذهبت نفسك هباءً، وكما قيل: «يا بن آدم إنما أنت بعض أيام، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك»، ولتعلم أن التسويف يكون من الشيطان حتى تفوتك الأعمال الصالحة أو يقل ثوابها إذا أخرتها.

أفضل ما يسعى الشيطان إليه أن يفرق بين زوجين،

والحديث الشريف يبين ذلك، يقول ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم، فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: ويجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيدنيه منه - أو قال: فيلتزمه - ويقول: نعم أنت أنت»(1)

لأن الشيطان يريد أن يهدم تلك الأسرة التي تمد مجتمع المسلمين بأولاد يوحدون الله - عز وجل - وللشيطان في ذلك أساليب ومداخل، منها ما يأتي:

1 - سوء الظن:

أن يتوقع الزوج من زوجته أنها لن تحسن استقباله عند عودته، أو لن تهتم به وبأحواله، أو تتوقع هي منه أنه لن يعيرها اهتمامه أو أنه لن يقوم بحقوقها أو سيتعسف معها، وهكذا فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الشيطان، وليستعذ بالله - عز وجل - من شر ذلك.

2 - الانشغال بالحق لا بالواجب:

ومن مداخل الشيطان بين الزوج وزوجته كذلك أن يشغل كلاًّ منهما بما له لا بما عليه، فالزوج ينتظر من زوجته أن تقدم له كل احترام وتبجيل وشكر ومدح، وينسى أن عليه مثل ذلك، وكذلك الزوجة قد تنتظر نوعًا معينًا من الحنان والعطاء حتى تبادل زوجها كامل الحب، فإذا رأيت من نفسك انتظار الحق ونسيان الواجب فاعلم أن ذلك مدخل من مداخل الشيطان فاحذره واستعذ بالله من ذلك، واحرص دائمًا على أن تفوت الفرصة على ذلك الشيطان؛ لأنه يريد أن يهدم بيتك ويضيع أسرتك

ويشتت أبناءك، ويمكنك أن تطرده من بيتك بأسلوب يسير جدًّا وهو أن تقرأ سورة البقرة فإنها تطرده، فإن لم تستطع قراءتها فعليك بسماعها من خلال المسجل مثلًا أو جهاز الكمبيوتر؛ لأن النبي ﷺ قال - حديث البقرة تطرد الشيطان من البيت:

«إن لكل شيء سنامًا، وإن سنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلًا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليالٍ، ومن قرأها في بيته نهارًا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام»(1).

حتى تتغلب على وجوده وتحفظ لبيتك هدوءه واستقراره وتحتفظ بحب زوجتك وحبها إياك.

قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بينهم»(1).

لقد يئس الشيطان منك أن تسجد لغير الله - سبحانه وتعالى - لكنه يفسد علاقتك بالمؤمنين إخوانك، فنحن نسمع من أهل الإيمان ما من شأنه أن يفرق هذه الأمة؛ فمنهم من يظن أنه وحده على صواب وغيره مبتدع أو فاسق أو لا يفقه شيئًا أو ليس على منهج السلف أو متسيب، فهذا يسبب فرقة خطيرة على الدين، يقول

رسول الله ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء: هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».

فمن مداخل الشيطان أن يُحدث بغضًا بين المتدينين وأن يجعل كلاًّ منهم يظن أنه هو وحده الناجي وبقية الناس هلكى؛ ولذا ينشغل بعيوب الناس ويغفل عن عيوبه، يقول ﷺ: «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه» . أي أنه يرى أبسط شيء من عيوب أخيه ولا يرى عيوب نفسه الكبيرة.

للشيطان مداخل فيما يخص العمل، حتى يبعدنا عن ثواب العمل والإخلاص فيه وإتقانه، فمن ذلك مثلًا أن يقارن لك بين إخلاصك وتفانيك في العمل وما عليه زملاؤك الذين يضيعون وقت العمل هباءً، حتى يحملك على التقصير في عملك، لكن اخرج من هذا بأن تستعيذ بالله - عز وجل - وأن تذكر دائمًا قول النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه». فلا تسمع نصائح من يبعدك عن إتقان العمل، لو قال لك لا ترهق نفسك لمن لا يستحق، واذكر قول الله - عز وجل -: { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } [الأنعام: 116]. ولا تشغل نفسك

بمن ترقَّى، فلا تقل هذا أصغر مني ولا يستحق هذه الترقية، ولتعلم أن هذا رزق من الله - عز وجل - يعطيه من يشاء.

وفي النهاية أوصيكم بأن تكثروا من الاستعاذة بالله - عز وجل - من مكر الشيطان، وأن تحصنوا أولادكم من أذاه، وما أكثر التعويذات المأثورة عن النبي ﷺ من مثل: «أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة». فقد كان يعوذ بها الحسن والحسين ؓ. كذلك لا ننسى أن نذكر اسم الله - عز وجل - عند دخول البيت وعند الطعام، ويعينكم في هذا كتب الأذكار ككتاب «الأذكار» للإمام النووي رحمه الله، واستعذ بالله تعالى واثقًا أنه سيعيذك، فهو القائل - سبحانه وتعالى -: } وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98) {[المؤمنون: 97-98].

* * *

خدعوك فقالوا... كن مع الأغلبية إن أحسنوا أو أساءوا تعش آمنًا

نشأ كثير منا على مفهوم خاطئ، وهو أن تقليد الكثرة الكاثرة فيه أمان، فأنت في أمان ما دمت تفعل ما يفعله أغلب الناس، فإذا كان الناس يخدعون أو يغشون أو يكذبون وكنت تفعل ما يفعلون وجدت من يشجعك ويقول: (هكذا كل الناس)، لكن الدين الإسلامي الحنيف

يشتمل على قيم حميدة تعالج هذا المفهوم، فهو يؤكد أن المسلم لا بد أن ينطلق في أقواله وأفعاله من منطلق الصواب لا من منطلق الكثرة؛ فالكثرة تتابع لو كانت مع الحق، فإن الكثرة الكاثرة قد تخطئ فيشيع الخطأ فكيف تتبعهم وقد خالفوا الصواب؟ وصدق الله العظيم إذ يقول: } وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ{ [الأنعام: 611]، وقال - سبحانه وتعالى -: } وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ{ [المائدة: 49]، وقال ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنًا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا».

يقلد الإنسان غيره من الناس لأنه يأنس إليهم، وهذا الأنس يهون عليه المعصية إن كانوا عصاة، ويعينه على الطاعة إن كانوا طائعين؛ وذلك لأن الإنسان كثير الأنس بمن حوله، بل قيل إن من أسباب تسمية الإنسان إنسانًا

أنه يحتاج إلى الأنس بغيره. وهذا يرشدنا إلى ضرورة حسن اختيار الصحبة.

ويؤكد النبي ﷺ ذلك حيث قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(1).

وما دام الإنسان يتأثر بمن يأنس إليه فليس أفضل من الله - عز وجل - نأنس به، فهو الهادي إلى سواء السبيل، ومتى أنست إليه وجدت الطاعة والخير كله، والعجب كل العجب لمن يترك الأنس بالله إلى الأنس بالناس الذين هم من تراب، يطيع التراب ويترك رب الأرباب!

ما أكثر الأمور التي يقلدها المقلدون فيقعون في المحظور، ولعل من أبرزها ما يتعلق بمكسب مادي كالبيع وما فيه من غش، وبتحصيل درجات في الامتحان، وما يتعلق بمكاسب معنوية من قبل الخداع للفوز بزوجة ثرية مثلًا، أو ذات مكانة اجتماعية، والمبرر الأول في هذا كله أن كل الناس يفعلونه، وكأن فعلهم هذا مسوغ لكل إنسان أن يقبل على الكذب والغش والخداع؛ فهذا يستحل المال العام، وذلك يستحل غش المشتري، وذلك يوهم فتاة بأنه على حال أفضل من التي عليها، وكأن ذلك ضرب من الذكاء، أو ما يسمى (الفهلوة)، فأصبحت المرجعية الأساسية لدى كثير من المقلدين ما شاع عند

الناس لا ما هو مطلوب دينيًّا، مع أننا متبعون للحق والصدق لا مقلدون للكثرة!

- إذا كان الباعث على المعاصي والمخالفات أن كثيرًا من الناس يفعلونها وبالتالي يتأثر بهم من خالطهم فيأنس بهم ويألف تلك المعاصي، فليكن باعثك على الطاعة أن الله - عز وجل - يحبها وهو الذي بيده مفاتيح كل شيء من رزق وهداية وتوفيق.

- أن تعتقد أن الناس الذين حولك، محسنهم ومسيئهم، قد خلقوا ليأخذوا بيدك إلى الله - عز وجل - ويدلوك على فعل الخير، فمن أحسن إليك فإنما لتحسن مثله فتثاب على إحسانك، ومن أساء فإنما لتصبر عن مثل إساءته ولا تقلده، بل تدفع بالتي هى أحسن فتكون بذلك قد نصرت الله - عز وجل - في أرضه التي استخلفك فيها، لتكون كلمة الله هي العليا، فتخرج من دائرة التقليد الخطأ إلى دائرة المحسنين الذين يحسنون إذا أفسد الناس.

- أن تعرف جيدًا أن ما عند الله - عز وجل - خير مما عند الناس، فإذا كانوا يغشون مثلًا ليبيعوا أكثر، فخالفتهم وحافظت على الأمانة، فاعلم أن الأمانة من أكبر أسباب سعة الرزق، وإذا كان الطلبة يغشون في الامتحان لأجل تحصيل درجات أكثر فإن توفيق الله -

سبحانه وتعالى - إياك في حياتك العملية أفضل بكثير من أن تحصل على درجة أعلى وتدخل كلية أعلى لكن بطريقة لا ترضي ربك الرحيم.

- إذا كنت تقلد الناس حتى لا تكون وحيدًا بينهم، فلتعلم أن هذا شأن الصالحين، فهم قلة، فقديمًا كان إبراهيم وحيدًا لا يؤمن به سوى زوجته، كما أخبر النبي ﷺ أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يقول لزوجته: (يا سارة والله ما على الأرض مسلم غيري وغيرك). وقال الله - عز وجل -: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل: 120]، مع أنه ومن معه من المؤمنين كانوا قلة، لكن القليل كثير بالله -عز وجل- والضعيف قوي بالله - سبحانه وتعالى - فأبشر بذلك لأن الإسلام بدأ قليلًا وضعيفًا وغريبًا، كما قال ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء» . أي أن الإسلام بدأ في غربة ثم زالت غربته، وسيعود غريبًا ثم تزول هذه الغربة، فالتزم الصواب ولا تغتر بالناس.

كما قال الحسن البصري: «يا بن آدم لا تغتر بكثرة ما ترى من مخالفة الناس، يا بن آدم إنك تموت وحدك وتدفن وحدك وتبعث يوم القيامة وحدك».

وقديمًا قيل: «الزم طريق الحق ولا يغرنك كثرة الهالكين، وتجنب طريق الضلال ولا يغرنك كثرة السالكين». ولتكن كمؤمن آل فرعون الذي التزم طريق سيدنا موسى ﷺ مع أن الكثرة والغالبية كانت على الضلال، بل دعا قومه إلى الله - عز وجل - ولم يخش فرعون ورجاله، يقول الله - عز وجل - فيه: } كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(38)إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ(39)فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ(40)عَنِ الْمُجْرِمِينَ(41)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(42)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(44)وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(45)وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(46){ [المدثر: 38-46].

وختامًا اعلم أنك عندما تتمسك بما أمر الله - عز وجل - وتصبر عن مجاراة الناس فإنما قد صبرت، وقد قال الله - عز وجل -:

{ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ{[الزمر:10]، فتلك بشرى لمن صبر وأحسن ولو أساء الناس.

وبدل أن تقول أنا مع الناس أحسنوا أم أساءوا، فلتقل أنا مع الناس إن أحسنوا، وأظل محسنًا لو أساءوا، أنا

معهم إن أصلحوا، وأصلح ما أفسدوا، فترضي بذلك ربك عز وجل، وتفرح نبيك محمدًا ﷺ ؛ لأنك حققت المراد منك كخليفة لله - عز وجل - في هذه الأرض.

* * *

خدعوك فقالوا...
المأمورون بالبرِّ هم الأبناء فقط لا الآباء

نسمع كثيرًا عن بر الوالدين، وجزاء عقوق الأبناء للآباء، وأصبحنا موقنين أن الدين الإسلامي يحث على حسن المعاملة للوالدين؛ لأنهما سبب وجودنا في الحياة، فقد وصى الله - عز وجل - بإحسان معاملتهما عندما قال في كتابه العزيز: } وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: 23]، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: 8]، فالأبناء لا شك مأمورون ببر الوالدين، فهل الآباء كذلك مأمورون ببر أبنائهم؟! نعم، فللولد على والديه حقوق، كأن يختار له اسمًا حسنًا، وأمًّا مؤمنة، وأن يعلمه فعل الخير، ففي الأثر عن سيدنا عمر بن الخطاب أن رجلًا جاءه يشكو ابنه إليه، فأتى عمر به وسأله: لم عققت والدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أساء تربيتي، وسماني (جعران)، ولم يختر لي أمًّا صالحة. فقال عمر للرجل: لقد عققت ولدك قبل أن يعقَّك!!

نعم، فإن التقصير في هذه الحقوق يضيع الأبناء من بين أيدي الوالدين.

وقد جعل النبي ﷺ ذلك إثمًا حيث قال: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول»(1).

وحث النبي الكريم ﷺ الوالدين على مراعاة الأبناء والإحسان إليهم ومباشرة أحوالهم والعمل على إصلاحها سواء في تدينهم أو الإنفاق عليهم أو حل مشاكلهم، لأن

الوالدين ببساطة مسئولون عن الأبناء مسئولية كاملة، فقد قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها» . فهذه المسئولية تقتضي من الوالدين أن يبروا الأبناء.

والدي الكريمين، تذكرا جيدًا نعمة الله عليكما عندما كنتما تسألانه أن يرزقكما ولدًا أو بنتًا حتى تسعدا وتشعرا برسالتكما في الحياة، فها أنا قد جئت إليكما، فماذا أنتما فاعلان؟!

والدي الكريمين، تذكرا أنني في ميزان حسناتكما، فكل صلاة أصليها أو نفقة أنفقها أو معروف أصنعه في ميزان حسناتكما لأني منكما ومن كسبكما كما قال النبي ﷺ: «الولد من كسب الوالد» . فلتحسنا تربيتي حتى تثقل موازينكما.

والدي الكريمين، تذكرا أن نفعي سيصل إليكما بعد أن تجاوروا رب العالمين، فقد قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع

عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» . فلتحرصا على أن أكون صالحًا حتى يقبل الله دعائي لكما بالرحمة والمغفرة.

والدي الكريمين، تذكرا أن نفعي يصل إليكما بعد وفاتي في حياتكما، يقول النبي ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد». وينبه ﷺ أن موت الولد في حياة والديه يزيد حسناتهما ويثقل موازينهما، حيث قال ﷺ: «بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان». قال رجل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده». فإن كنت نعمة من الله - عز وجل - فأرجو أن تحسنوا إليّ.

قبل أن أذكركما والدي العزيزين إلى ما أمر الله به من بر الآباء أبناءهم، فإنني أذكر نفسي دائمًا بأن الله - عز وجل - أمرني ببركما، فقد قال - سبحانه وتعالى - في كتابه الحكيم: } وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلًا كريما (24) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا { [الإسراء: 23-24]، وقد قال النبي ﷺ مبينًا عظم حق الوالدين، وأن الابن لن يستطيع الوفاء بهذا الحق مهما صنع: «لا يجزي ولد والدًا، إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه» . والحمد لله قد انتهى زمن العبودية والرقيق فلن أستطيع أن أوفيكما حقكما مهما اجتهدت في ذلك.

وقد أمرني الله بإكرامكم في أقسى الظروف وهي أن يأمر الوالدان ولدهما بالكفر، فقد قال - سبحانه وتعالى -:

} وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ{ [لقمان: 15]، فأنا ملتزم تجاهكما بما أمر الله سبحانه، وأدعوه أن يكرمكما ويرحمكما كما ربيتماني صغيرًا.

والدي الحبيبين، أشهد الله - عز وجل - أني أحبكما وأجلكما، ولكن أرجو منكما أن ترعيا هذه المطالب الثلاثة

حتى أكون سعيدًا معكما في الدنيا، ونسعد جميعًا في الآخرة.

أذكركما والدي الكريمين بأن الدين أهم شيء في حياة الإنسان؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - خلقنا لنكون خلفاءه في الأرض ولنعبده حق عبادته، فقد قال سبحانه: } وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ{ [الذاريات: 56].

ولا تكون العبادة سليمة إلا إذا تعلمت أمور ديني، فلتحرصا على ذلك ولتساعداني عليه، فلا تمنعاني إذا أردت أن أستمسك بعرى الدين من الصلاة في المسجد، وحضور دروس العلم، والحجاب (للفتيات)، والارتباط بشريك حياتي المتدين.

فقد قال النبي ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه، فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»(1) الحديث.

لا تظنا أن التزامي بالصلاة (أو بالحجاب بالنسبة للفتيات) سيؤثر على مستقبلي أو عملي أو زواجي، فكل هذا من رزق الله - سبحانه وتعالى - وقد جفت الأقلام بما هو كائن إلى يوم القيامة، فمسألة الرزق محسومة، فلننشغل بطاعة الله - سبحانه وتعالى - ولنتوكل عليه

حق توكله، فهو القائل - سبحانه وتعالى -: { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: 2، 3]. إن النبي ﷺ حثكما على أن تحرصا على تديني وأن تحصناني من الشيطان لا من لحظة ولادتي، بل قبل أن أكون نطفة في رحم أمي.

فقد قال ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فقضي بينهما ولد لم يضره»(1) .

ثم وصاكما بأن يؤذن في أذني اليمنى عند ولادتي.

ثم علمكما النبي ﷺ أن تعوذاني بالله - عز وجل - إن أصابني مكروه، وله في ذلك تحصينات كثيرة.

منها أن تقولا: «أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة».

بل أمر الله - عز وجل - المؤمنين وأنتما منهم بأن يحفظوا أنفسهم وأولادهم من عذاب النار، فقال - سبحانه وتعالى -: } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ { [التحريم: 6]، كما أمركما سبحانه أن توصياني بالحق وبالصبر على الطاعات وعن المعاصي، فبين أن الناس في خسران إلا إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فقد قال عز وجل: } وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ (2) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) { [العصر: 1-3]، فلا بد أن تحثاني على الإيمان بالله - عز وجل - وعمل الصالحات، ولزوم الحق وأهله، والصبر على الطاعة حتى تسهل عليَّ، وعن المعصية حتى تشق عليَّ حتى نكون جميعًا في الجنة، من الذين قال الله فيهم: } وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (39){ [عبس: 38-39].

المطلب الثاني - والدي الكريمين- أن تعاملاني بحنان، فأنا أحبكما، وأنتما أغلى عندي من نفسي، وكل ما أطلبه منكما أن تحسنا معاملتي، فأنا لا أحب العنف ولا الشتائم ولا الأوصاف السلبية مثل كلمة (فاشل)، (ضايع)، ولا

تفقدا الأمل فيَّ، فإنني مهما كنت سيئًا فأنا أحبكما، وليس لي سواكما، ولتكن لكما في سيدنا نوح عليه السلام أسوة وقدوة، فإنه عندما كان يقول لابنه: يا بني؛ تلك الكلمة الرقيقة، كان يريد أن ينجيه من الطوفان ومن عذاب الله - عز وجل - فقد أخبر الإسلام بحال سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه الكافر، وكيف أنه سأل الله - عز وجل - أن ينجيه بعد أن زعم أن الجبل سيعصمه من الطوفان، وبعد أن حاول أن يفهمه بكل رفق أنه لا شيء يعصم من قضاء الله إلا الله - عز وجل - تقول الآيات: } وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ وَكانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ (42) قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) {[هود: 42-43]، فإنه لم يعنف ابنه، ولم يقل له: (يا كافر) ولم يقل له: (هذا شر كسبته لنفسك)، أو (أنت المسئول فقد خالفتني)، أو (لا شأن لي بك)، بل قال: } قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ { [هود: 43]، ولكم كذلك في محمد ﷺ أسوة حسنة، فقد كان يعامل ابنته فاطمة بكل حنان ورفق، بل كان يقوم

إليها ويقبلها بين عينيها لتشعر بحنانه وحبه إياها، صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم.

أرجو منكما - أبويَّ الكريمين - أن تسمعاني عندما أحكي لكما عن مشكلة واجهتني، وأن تنصحاني، ولا تتصيدا لي الأخطاء أو تقبحا رأيي، لأني إن لم أحك لكما فسأحكي لأصحابي الذين هم أقل خبرة منكما وقد لا يعنيهم صلاح حالي، بل قد ينصحونني نصيحة خطأ فتتفاقم المشكلة، وأعالج الخطأ بخطأ أكبر.

إذا أردتما أن تأمراني بشيء فأرجو أن يكون الأمر برفق، وبصورة غير مباشرة تشوقني إلى تنفيذ الأمر، كما علمنا اللّه - عز وجل - في كتابه العزيز: } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (11) { [الصف: 10، 11]، فهذا يساعد على المشاركة في الأمر والعمل عن اقتناع. فإن لم يكن في هذه الصورة فليكن بالترغيب، فإذا أردتما أن تأمراني بالصلاة مثلًا فلتذكراني بحديث عن فضلها حتى أرغب في تنفيذ ما تأمران به من غير ضيق ولا ملل.

والدي الكريمين، إنني أنزعج كثيرًا من دعائكما عليَّ، فإن دعوتكما مستجابة، فلتدعوَا لي بالهداية والتوفيق بدلًا من أن تدعوَا عليَّ، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك، فقد قال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم» . فاعملا بهذه الوصية التي أسداها إليكما نبينا محمد ﷺ.

والديَّ الحبيبين إلى قلبي، إن شخصيتي تتكون من تربيتكما إياي، فاهتما بتربيتي، وجهاني إلى الصواب دون امتهان، لا تسخرا مني، ولا تستهزئا بي، حتى لا أصير شخصية ساخرة أستهزئ بالآخرين ثم بأبنائي من بعد. اهتما باستشارتي فيما يخصني، تذكرا دائمًا أني معكما ولا تتجاهلاني، فعن سهل بن سعد قال: كنت عند النبي ﷺ، فأُتي بشراب، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فشرب اللبن، وقال للغلام: «أتأذن، فأسقي الأشياخ». قال: ما كنت لأوثر بسؤرك أحدًا.

فسقاه وتركهم. والسؤر بقية الشراب فإن أذن له شرب الشيوخ بعد النبي ﷺ، فيكونون قد أخذوا سؤر النبي ﷺ ، فإذا شرب بعدهم الغلام يكون قد أخذ سؤرهم هم

لا سؤر النبي ﷺ، لذا لم يأذن الغلام في حقه، فاحترم النبي ﷺ حقه واستأذنه لأنه عن يمينه.

بل إن النبي ﷺ استشار الشباب في غزوة أحد: أنبقى بالمدينة أم نخرج للحرب؟ فأشاروا بالخروج فنزل على رأيهم؛ لأن عددهم كان أكثر، مع أنه كان يخالف ذلك الرأي، لكنه احترمهم واحترم اختيارهم، فلما هزموا لم يعنفهم، بل عفا عنهم؛ فقد أنزل الله عليه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة يأمره ﷺ بالعفو عنهم والاستغفار لهم، بل أمره أن يشاورهم في الأمر لا أن يسحب الثقة منهم، يقول تعالى: } فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ{ [آل عمران: 159]. لأن الإسلام يربي الشخصية ويحب أن يكون المسلم إيجابيًا يشارك في كل الأمور مشاركة فعالة ويتحمل نتيجة اختياره، لا أن يكون مثل الآلة في يد الآخرين.

شاهدا البرامج التربوية، واقتنيا الكتب التي تعالج مسائل التربية بكل أنواعها خاصة النفسية والمهارية، فكتب التربية تقدم ولدًا سويًا صالحًا وبالتالي جيلًا نافعًا، ثم أمة تحقق مراد الله - عز وجل - فيها، فقد قال -

سبحانه وتعالى -: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]، ولا تكون الخيرية ولا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا عن طريق تربية سليمة قويمة تبني شخصية سوية قوية تقود إلى الخير وتهدي إلى الصراط المستقيم.

أبي وأمي، إني أحبكما وأحاول بركما، وإني أدعو الله - عز وجل - أن أكون في البر كعمرو بن ميمون الذي كان سائرًا ذات يوم مع أبيه فوجد بركة من الطين لا يستطيع والده أن يقفز ليتجاوزها فنام هو في تلك البركة ليعبر أبوه على جسده، رحمة منه بأبيه وبرًّا منه به.

واعلما أن قدركما عالٍ في الدنيا والآخرة، فقد كان عبد الله بن عباس ﷺ يقول: إن أهل الأعراف، وهم من سيقفون على جبل الأعراف فترة ثم يدخلون الجنة، قوم خرجوا للجهاد دون أن يستأذنوا آباءهم، فلما قتلوا في سبيل الله منعتهم الشهادة من دخول النار، ومنعهم عدم استئذانهم من دخول الجنة. إن قدركما عال عند رب العالمين، ومقامكما محفوظ في الإسلام، وأنا أعرف جيدًا أن الجنة لا تنال بغير رضاكما، وبين أن الوالدين أحق الناس

بالصحبة، عندما سأله أحد الصحابة: يارسول اللّه، من أحق الناس بحسن صحبتي؟ فقال ﷺ: «أمك». فقال: ثم من؟ فقال: «أمك». فقال: ثم من؟ فقال: «أمك». فقال: ثم من؟ فقال: «أبوك» فأنتما أحق الناس بالإحسان، وإني أسأل الله - عز وجل - أن يرزقني بركما ويرزقكما بري؛ لنكون معًا في جنة الخلد مع أصحاب اليمين الذين قال الله فيهم: }وَأَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَماءٍ مَسْكُوبٍ (31) وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (33) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً (35) فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكارًا (36) عُرُبًا أَتْرابًا (37) لِأَصْحابِ الْيَمِينِ (38) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40){ [الواقعة: 27-40]. اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين ومن السابقين الذين ترضى عنهم يارب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

⋆ ⋆ ⋆

خدعوك فقالوا... كلما كنت محسنًا استضعفك الناس

من المفاهيم الخطأ التي انتشرت في حياتنا أن الإحسان لا بد أنه سيقابل بالسوء، وأن العفو والتسامح يجعلانك فريسة للآخرين، فمتى تركت الانتقام وتسامحت فإن الناس يتكالبون عليك، وهذا المفهوم من شأنه أن يحدث القطيعة بين الناس، بل بين ذوي الأرحام والقرابات منهم؛ لذا حث الإسلام على العفو والتسامح، يقول الله - عز

وجل -: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: 40]. فلم يقل - سبحانه وتعالى -: فأجره ألف حسنة أو مائة ألف، بل جعل الأجر عنده - سبحانه وتعالى - وذلك لعظم قدر العفو؛ لأنه يعمل على تقوية صلة الأرحام، وتحسين العلاقات بين الناس، ونشر الخير في هذه الدنيا.

وقد بين النبي ﷺ خطأ ذلك المفهوم عندما أخبر أن العفو يزيد المسلم عزًّا لا ذلاًّ كما يفهم بعضنا، فقد قال النبي ﷺ: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه» قال: «ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها -» . فالعفو إذن مجلبة للعزة ومرضاة لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ.

إذا أساء إليك إنسان ووجدت في نفسك الرغبة في الانتقام أو الرد عليه، فتريث قليلًا.. اعلم أن من حقك أن تحمي نفسك من الظلم والإساءة، ولكن إن استطعت أن ترتقي للعفو فلا شك أن هذه وإن كانت صعبة إلا أنها نجاح كبير في إسكات شيطان الغضب والترقي لمدينة المحسنين والكاظمين الغيظ، بل هذه إحدى صفات عباد

الرحمن:. } وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا{ [الفرقان: 63].

إذا كنت لا تستطيع أن تعفو وتتسامح فاسأل الله - عز وجل - أن يوفقك إلى ذلك، واطلب العفو منه حتى يلين قلبك، وتتذكر ذنوبك فتعفو عن الناس؛ لأنك صاحب ذنوب ترجو من الله أن يغفرها. فالعفو عن الناس طريق لعفو الله ومغفرته، يقول - عز وجل -:}وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{ [النور: 22]. لقد نزلت هذه الآية في رجل غضب من قريب له فأقسم ألا يعطيه عطاءه الذي كان يداوم عليه؛ ترى ماذا فعل قريبه ليغضب عليه هكذا؟ هل نظر إليه نظرة أغضبته؟ هل عرف بمرضه ولم يزره؟ هل ذكره بسوء العشرة مثلًا؟ إنه نقل عمن خاض في عرض (ابنته) زوج رسول الله ﷺ، أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وعن أبيها، فكان غضبه مُضاعفًا من أجل ابنته، وزوج نبيه، وأم المؤمنين، فأقسم ألا يعطي قريبه مسطح بن أثاثة لأنه نقل كلامًا دون أن يتثبت، فعاتب الله - عز وجل - أبا بكر بهذه الآية،

فرجع وقال: بلى يا رب، أحب أن يغفر الله لي، وعاد إلى إكرام قريبه مسطح بن أثاثة.

وثمة معنى آخر لطيف في هذه الآية، هو أنك عندما تعفو وتصفح فإنك تنتصر لنفسك، فإن الله - سبحانه وتعالى - يغفر لك ذنوبك ويعفو عنك بسبب إساءة الآخرين إليك، فإن إساءتهم إليك قد أصبحت حسنات أضيفت إلى ميزانك، فسامِحْ لتُسامَحْ لا من الله فحسب، بل إن الناس يسامحون من يسامحهم ويعرفون له فضله، ويعزونه بعزة الله - عز وجل - إياه؛ لأن من عفا زاده الله بهذا العفو عزًّا كما بيّن النبي ﷺ: «ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا».

كثير منا يرى أنه صاحب حق، ولا بد أن يأخذ حقه خاصة أنه لم يخطئ، وفي هذا معنى مهم؛ لأن الذي يعفو هو صاحب الحق، فكيف يعفو إن لم يعف عمن أساء إليه؟ أفيعفو عن محسن؟! إنما يعفو عن المسيء، بل إن لك في منهج الله الأسوة الحسنة، فإنه يعفو عن عباده وهم المسيئون، بل إنه يعفو عن عبده في أشد معاصيه؛ فإنه قد عفا عن بني إسرائيل عندما عبدوا العجل بعد أن أرسل الله إليهم سيدنا موسى عليه السلام وآمنوا به وبالله - عز وجل - لكن لما دعا الله موسى عليه السلام

لميقاته عبدوا العجل من دون الله، تقول الآيات: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) ﴾ [البقرة: 51-52]. وهذا

شأنه - عز وجل - مع خلقه، فهو يعفو ليل نهار.

يقول ﷺ:«إن الله - عز وجل - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»(1).

من الناس من يقول: إن العفو والتسامح لا يصلحان في هذا العصر؛ لأن الناس تؤذي المتسامح وتأخذ حقه وتلحق به أضرارًا بالغة؛ لأنه ببساطة سيعفو عن حقه ويتسامح! انتبه أخي الفاضل، فإنك بهذا تعترض على الله - عز وجل - لأنه الذي أمر بالعفو والتسامح ورد الإساءة بالإحسان، فهو القائل عز وجل:
﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]. وهو القائل سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 22]. فلا تقل إن العفو عن الآخرين لا يصلح هذه الأيام،

لأنك بذلك تقول: إن كلام الله - عز وجل - لا يصلح لهذا العصر، وكأنك تقول: إنه - سبحانه وتعالى - لا يعلم طبيعة الناس في هذه الأيام، وأنت تعلمها!

قد يجتهد الشيطان عليك أكثر وأكثر فيذكرك بآيات من القرآن الكريم، ليزين لك الانتقام استنادًا إليها، فتجد من يقول لك: إن الله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: 45]. وقد تجد من يقول لك: إن الله - عز وجل - قال في كتابه: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل: 126]. نعم هو حقك أن تأخذ حقك، ولكن هناك اختيار آخر إن استطعت وهو بقية الآية.. ﴿ وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126) وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127)﴾ [النحل: 126-127].

ليس معنى التسامح أن تترك حقك وتستسلم لمن يسلبك مالك وعرضك، فإن هذا خنوع لا يعرفه الإسلام،

قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد». أما المشاحنات اليومية الدائمة بيننا، فالعفو فيها أولى وأفضل عند الله - عز وجل -.

رسول الله ﷺ:

كم كان عفو رسول الله ﷺ، وما أكثره! فلقد كان يعفو في كل أحواله، ضعيفًا أم غنيًا قويًا، فعندما عرض الإسلام على أهل الطائف وآذوه أتى إليه ملك الجبال وقال: يا محمد، لو شئت أطبقت عليهم الأخشبين.

فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا»(1).

فهذا في حال ضعفه، ثم لما فتح الله عليه مكة ومعه عشرة آلاف مقاتل خاطب أهلها الذين كانوا قد آذوه وهو بينهم، وآذوه بعد هجرته قائلًا: «ما ترون أني صانع بكم؟» قالوا: خيرًا , أخ كريم وابن أخ كريم .

قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(2).

وذلك في حال قوته ﷺ فلتتأس به في حال ضعفك وقوتك، فإنما مرَّ رسول الله ﷺ بالضعف والقوة لتتأسى

به، وقد قال الله - عز وجل -:
}لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب: 21].[2]

الإمام البخاري:

يذكر أن جارية أساءت ذات يوم إلى الإمام البخاري رحمه الله فأحسن إليها، فقال له الناس: يا إمام، كيف تحسن إليها وقد أساءت إليك؟ فقال لهم: أغضبتني وأرضيت الله فيها. ما أجمل هذا السلوك إذا كان بهذه النية! فإنك تتعامل مع الله سبحانه، لا شأن لك بالعباد، فأنت مشغول برب العباد وما يريده منك وما يرضيه عنك، أما العباد، فكل محاسب عما يفعل، فمتى أساء إليك إنسان فأوكل أمره إلى الله - عز وجل - إن استطعت وأرض الله فيه يرض الله عنك، ويصرف عنك أذى ذلك المسيء، وتكون عنده من المحسنين الذين قال فيهم سبحانه: } الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ{ [آل عمران: 134].

الإمام الشافعي:

عالج الشافعي الإساءة إليه ذات مرة بأن سكت، وللسكوت عنده مزية، فهو لا يرد ولكن يسكت وينصرف عن ذلك المسيء كارهًا أن يجيب؛ حلمًا منه، وتلك مزية السكوت أنه ناتج عن حلم، وفي ذلك يقول:

يخاطبني السفيه بكل سوءٍ

و أكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهةً وأزيد حلمًا

كعود زاده الإحراق طيبا

والعود هو البخور، فكلما أحرقته انتشرت رائحته الطيبة، وكذا الساكت بإرادته عفوًا وحلمًا.

ويذكر أن أحد الناس خاصمه فسكت، فعوتب في ذلك، فقال أبياتًا من الشعر يعبر فيها عن حكمته من السكوت، يقول:

قالوا سكتَّ وقد خوصمت قلت لهم

إن الجواب لِباب الشتم مفتاحُ

فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب

نعم وفيه لصون العرض إصلاحُ

إن الأسود لتُخشَى وهي صامتة

والكلب يضرب رميا و هو نباح

إنه يؤكد أن علو صوتك ليس دليلًا على قوتك، فالأسد القوي ذو مهابة ولو كان ساكتًا، والكلب الضعيف لا يُغني عنه كثرة النباح.

الإمام الشعراني:

كان الشعراني رحمه الله يحسن إلى كل الناس ويعفو عنهم منطلقًا من معنى في غاية السمو، وهو أن الناس عباد الله - عز وجل - بل منهم من له أخوة الدين.

يقول رحمه الله:«إني أعفو عن الناس كرامة لله أنهم من خلقه، وأعفو عن المسلمين كرامة لرسول الله ﷺ أنهم من أتباعه».

كم هو جميل أن ترى الله في خلقه وفي أتباع نبيه ﷺ، فلتكن أفعالك معهم مبنية على هذا الأساس، حتى يرضى الله - عز وجل - عنك، ويفرح بك نبيه ﷺ.

أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي اللَّه عنه:

يذكر أن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كان له قطعة أرض، وله فيها عمال يقومون على خدمتها، وكان لعبد الله بن الزبير قطعة أرض مجاورة لها، فكان أن دخل العمال عليها فانتقصوا منها، فكتب عبد الله بن الزبير إلى

معاوية يقول: «يابن آكلة الأكباد, مُرْ عمالك أن يخرجوا من أرضي». يقصد بآكلة الأكباد أم معاوية هند بنت عتبة التي كانت قد استأجرت وحشيًّا قبل أن يسلم ليقتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ثأرًا منه؛ لأنه قتل أخاها وأباها وعمها، ولم تكن أسلمت بعد، فلما

قتله وحشي أسرعت إليه لتأكل كبده وكانت قد أقسمت على ذلك، فدعاه بابن آكلة الأكباد إشارة إلى تلك الواقعة قبل إسلامها فلما وصلت الرسالة إلى أمير المؤمنين معاوية قال له وزيره: مُرني لآتيك برأسه. فقال له معاوية:

بل أدلك على ما هو خير من ذلك وأقرب رُحمًا، اكتب إليه: «من معاوية أمير المؤمنين إلى ابن الزبير: يا أخي، يا بن حواري رسول الله ﷺ وأسماء بنت أبي بكر، إن جاءك كتابي هذا فضُم أرضي إلى أرضك، وخذ عمالي إلى عمالك، ولو كانت الدنيا بيننا لجئتك بها. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». فبكى عبد الله بن الزبير ، وندم وقال: تعلمنا منك يا معاوية يا أمير المؤمنين

وأخيرًا أسوق إليكم حديث رسول الله ﷺ:ثلاث من كن فيه آواه الله في كنفه، وستر عليه برحمته، وأدخله

في محبته». قيل: ما هن يا رسول الله ؟ قال: «من إذا أعطي شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر»(1) .

فاسع إلى كنف الله - عز وجل - وستره ورحمته ومحبته بأن تغفر وتسامح إذا أسيء إليك, وأن تترك الغضب وتعصي هواك في الانتقام، وتذكر دائمًا أن الله - عز وجل - معنا يسمع أقوالنا ويرى أفعالنا، كما قال - سبحانه وتعالى - لموسى وهارون عليهما السلام: }و ۋ ۋ ې{ [طه: 64]. فلتراقب سمعه وبصره، ولا تركن إلى أفعال العباد، حتى تسلم في الدنيا وتنعم بجنة الله في الآخرة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله - عز وجل - بقلب سليم من كل الآفات حتى الشحناء والغضب، وادعه دائمًا أن يؤويك في كنفه ويسترك برحمته ويدخلك في محبته كما قال النبي ﷺ.

* * *

خدعوك فقالوا... الدين لا يدخل في كل شيء

أليس الدين هو الصلاة والصيام والمعاملة الحسنة وإتقان العمل والعقيدة السليمة في حق الله، وبهذا الشمول نزل الدين.

قد تعجب - بعد معرفة هذه الحقيقة - ممن يخدعك فيقول: «ليس الدين في كل شيء» فإنه في الصلاة والصوم والزكاة والحج، أما التعامل مع الناس ماديًا كبيع

وشراء، أو معنويًا في صورة أخلاقيات، أو اجتماعيًا في صورة علاقات مثل الزواج والجوار والصداقة والزمالة في العمل - فلا، فهو لا يعلم أن المسلم يجب أن يتحلى بالتقرب إلى الله في تلك الأمور كلها.

لقد كرم الله - عز وجل - الإنسان؛ إذ خلق له كل شيء، وسخر له جميع المخلوقات حتى يتفرغ هو لعبادة الله سبحانه، فقد هيأ الله - سبحانه وتعالى - الكون لوجود ابن آدم من قبل أن يخلقه.

وقد أشار القرآن إلى ذلك في غير موضع، حيث قال - سبحانه وتعالى -: } هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ { [البقرة: 29]. ثم سخَّره لنا برحمته فقال عز وجل: } وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ{ [الجاثية: 13].

فقد قال ﷺ: «خلق الله - عز وجل - التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ￼ بعد العصر

من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل»(1).

إذن فآدم وأبناؤه هم مقصود الله - عز وجل - من هذه المخلوقات، وذلك ليحملوا أمانة عظيمة ثقيلة، ألا وهي أمانة التخيير، فقد عرض الله - سبحانه وتعالى - على أعظم مخلوقاته أن تكون مختارة في أفعالها على أن تحاسب فأبت خشية وإشفاقًا، لا عصيانًا للَّه - عز وجل - يقول تبارك وتعالى: } إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا { [الأحزاب: 72]. فكل الكائنات مسيرة مطبوعة على الطاعة، فهي تعبد اللَّه - سبحانه وتعالى - وتسبحه، ويؤكد القرآن الكريم ذلك، يقول اللَّه - عز وجل -: } تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا { [الإسراء: 44].

بل إن هذه الكائنات تسجد لله - سبحانه وتعالى - في كل وقت، وقد بين القرآن أجناسًا كثيرة من خلقه سبحانه، لكن الإنسان خرج عن هذه القاعدة، فنسمع القرآن الكريم يعبر عن سجود الكائنات بالعموم؛ الشجر

كل الشجر، والدواب كل الدواب، وهكذا، أما الإنسان فقد أستخدم القرآن لفظ «كثير» في قوله تعالى: } وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ {، أي ليس كل الناس، يقول - سبحانه وتعالى -: } أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ {[الحج: 18]. لقد حق العذاب على كثير لأنه لم يسجد لله - سبحانه وتعالى - صحيح أن السجود في الصلاة لكنه يستلزم كذلك السجود بمعنى الخضوع لله في كل ما يصدر عن الإنسان من معاملات وعلاقات، وفي كل صور الحياة وأنشطتها وذلك شكر تلك النعم؛ أن يستقيم الإنسان لله - عز وجل - ويعرف ما أراده منه في كل شيء؛ لأن الدين لم يترك شيئًا إلا تناوله على أكمل ما يكون، فقد علمنا كيف نأكل ونشرب، وأمرنا أن نتحرى الحلال، ولا نسرف، يقول - سبحانه وتعالى -: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31]. وقال سبحانه: } يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ { [المؤمنون: 51]. وبين الأصناف التي يحرم علينا أكلها،

فقال - سبحانه وتعالى -: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: 13]. وعلمنا كيف نمشي في هذه الأرض، يقول الله تبارك وتعالى:
{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا } [الإسراء: 37]. ويقول - سبحانه وتعالى -: } وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } [الفرقان: 63]. فالآية الأولى تبين مجرد المشي، وأن المطلوب فيه الاعتدال، والآية الأخرى تبين أن المشي في تواضع من صفات عباد الرحمن وأحبابه الذين بلغت السكينة من قلوبهم مبلغًا أثر في طريقة مشيهم، وفي تعاملهم مع الناس، حتى ولو أساءوا إليهم، كذا الزواج والطلاق، وما ينبغي علينا في الأول من حسن الاختيار وتحري الدين والخلق والتخفيف في المهور، وما علينا في الآخر من الإحسان والمعروف وألا ننسى الفضل بيننا، وما إلى ذلك من تعاليم الدين في شتى أمور الحياة، التي تيسر علينا تحقيق مراد الله - عز وجل - فقد خلق الأشياء كلها من

أجلنا، وخلقنا من أجله، فلا ينبغي أن ننشغل بما خلق لنا عما خُلقنا له، فلا تنشغل بالعمل والتجارة عن العبادة، صحيح أن العمل عبادة بل فريضة إذا كان لوجه الله، لكن يجب ألا يصرفك العمل عن الصلاة المفروضة مثلًا، فإن الرسول ﷺ يقول: «إن أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة، الصلاة». فلو كانت الصلاة بجانب الاجتهاد في العمل لكمل دين الإنسان، يقول النبي ﷺ: «إن من الذنوب ذنوبًا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة». قالوا: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: «الهموم في طلب المعيشة»[3]. فالعمل مطلوب لكن إلى جانب العبادات المفروضة.

إن هذه الدنيا دار عمل، والأعمال فيها متنوعة ومتشعبة، والناس فيها على أصناف:

صنف يترك العبادات إلى السعي على المعاش، وهو خاطئ, وآخر يترك المعاش وينقطع إلى العبادة، وهو مذموم. لكن عليه أن يوفق بين العملين متحريًا التقوى، فإنها الطريق إلى البر الذي يؤدي إلى الجنة، يقول تعالى: { لَيسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ { [البقرة: 177]، لأن الإسلام دين متكامل، فلا ينبغي أن ينصرف المسلم إلى عمل على حساب الآخر، فبجانب العمل هناك الصلاة، والإنفاق في سبيل الله، ورعاية اليتامى والمساكين، والوفاء بالعهد، والصبر على الأذى، والجهاد في سبيل الله - عز وجل - ويبين الله - سبحانه وتعالى - أن الذين يأتون بكل هذه الأعمال هم الصادقون المتقون. فارجع كل شيء إلى الله - عز وجل - حتى تكون من الصادقين المتقين؛ لذا بين الله - سبحانه وتعالى - لعباده كل ما يسألون عنه في الدين والدنيا، يقول - عز وجل -: } وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ { [النحل: 89].

وقال النبي ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي»(1) .

فلا بد أن تتمثل كتاب الله وسنة نبيه ﷺ في كل أمورك؛ لأن الشيطان يشغلك بباب ليلهيك عن أبواب، فإذا

علمنا أن الإسلام عقائد وعبادات ومعاملات, فإن الشيطان قد يشغلك بالعبادات عن بقية الفروع لتنساها، كأنه يضع لك عدسة مكبرة تكبر فرعًا فلا ترى غيره، وتنشغل به فتأتي يوم القيامة وقد ضيعت بقية الفروع، صحيح أنك صليت وصمت وزكيت وحججت، لكنك كنت مقصرًا في عملك، وكنت قاطعًا لذوي رحمك، وكنت لا تعرف كثيرًا من أحكام التجارة رغم أنك تاجر, فإنك كنت تقع في معاملات مخالفة للشرع، وقد أمرنا الله - سبحانه وتعالى - أن نأخذ بأحكام الدين كافة عندما قال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [البقرة: 208]. أي ادخلوا في الإسلام كله ولا تتركوا منه شيئًا.

وتلك كانت دعوة سيدنا محمد ﷺ كما وصفها أبو سفيان - ولم يكن قد أسلم بعد - لهرقل عظيم الروم عندما سأله عن دعوة النبي الجديد وبم يأمر أتباعه، فقال أبو سفيان: «يأمرهم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة»، وهو ما قاله جعفر بن أبي طالب للملك النجاشي عندما سأله عن حالهم وحال نبيهم وكيف أمره فيهم، فقال جعفر: «كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام،

ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث اللّٰه لنا رجلًا منا نعرف نسبه وصدقه وعفافه، فأمرنا بالصلاة وأن نترك الأصنام وأن نعبد اللّٰه وحده لا شريك له، ثم أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم وألا نقول الزور».

فلتكن دعوة النبي محمد ﷺ واضحة في أذهاننا كما كانت واضحة عند أبي سفيان وقد كان حينها لم يسلم، وعند جعفر بن أبي طالب وقد كان صحابيًّا تربَّى على يد النبي ﷺ، فهي دعوة شاملة لما تصلح به الدنيا ويستقيم به تدين الناس، فلتجاهد نفسك للالتزام بها حتى تكون من الناجحين المتقين الصادقين.

لا بدَّ لكي تلتزم بأمور دينك وتطبقها في كافة جوانب الحياة أن تكون فخورًا بهذا الدين؛ لأن اللّٰه - سبحانه وتعالى - قد اختاره لك، وأكمله على أفضل ما يكون، فهو القائل عز وجل: } حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: 3]. فلتفخر بهذا الدين وتتذكر قوله تعالى:

} قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ{ [الأنعام: 161].

فهذا الشعور يجعلك مقبلًا على الله وترى الله - سبحانه وتعالى - في صلاتك وسائر عبادتك وفي حياتك كلها، كما يقول - عز وجل -: } قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { [الأنعام: 162]. ثم احرص على أن تدعو الناس إلى دينك؛ وخاصة الأقربين، فإن إبراهيم عندما أسلم وعرف قدر هذا الدين دعا إليه، بل وصى أبناءه، يقول تعالى:

}إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132){ [البقرة: 131، 132]. فقد وصى بها أبناءه، وكذلك وصَّى حفيده يعقوب عند موته، ولحظة الموت شديدة، لا يوصي الميت فيها بشيء إلا أن يكون أحب الأشياء إلى قلبه، يقول - عز وجل -:

} أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا

تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 133]. أي سلمنا لله - عز وجل - في كل أمورنا، ولا تظن أن العبادة وحدها هي المطلوبة مثلًا، فإن النبي ﷺ كان أعبد الناس لله، ومع ذلك كان تاجرًا ناجحًا، واصلًا لرحمه، محسنًا إلى جيرانه، يساعد المساكين وينفق عليهم، سهلًا لينًا، قال فيه ربه عز وجل:

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: 159]. فلنتأس بالنبي ﷺ في ديننا ودنيانا لنكون من المفلحين الذين رضي الله عنهم وأعد لهم جنته لينعموا فيها راضين بنعمائه عز وجل.

* * *

خدعوك فقالوا... المال والجمال كل شيء في الزواج

الزواج من أهم العلاقات التي بين البشر، والتي تناولها الإسلام بكثير من التفاصيل، لكننا نحتاج للتعرض لكثير من المفاهيم الخطأ المتعلقة بالزواج؛ منها أن المال بالنسبة للرجل كل شيء، وأن جمال البنت كل شيء فيها، ونسمع هنا أمثالًا تخدم هذا المفهوم غير الصحيح، من

قبيل (الرجل لا يعيبه إلا جيبه)، لكن الإسلام يصحح هذا المفهوم بمعناه السلبي ويلفت نظرنا إلى أن الدين والأخلاق أهم شيء.

يقول النبي ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه، فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»(1).

لأن الدين والخلق عماد الحياة كلها بما فيها الحياة الزوجية، فإن أغلب حالات الانفصال سببها مشاكل أخلاقية؛ وذلك نتيجة طبيعية لسوء الاختيار الذي هو أولى خطوات الزواج.

بداية.. لا بدّ أن يعرف الشاب والفتاة حكمة الزواج حتى يتحرى كل منهما ما يحققها فيأتي اختياره صحيحًا، وتلك الحكمة قد بينها الله - عز وجل - في كتابه الكريم، حيث قال سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21]. فلا بد أن نراعي عند الاختيار السكن والمودة والرحمة، وأن نختار من نشعر أنه يستطيع تحقيقها، وهو صاحب الخلق والدين سواء أكان شابًا أم فتاة.

يبين النبي ﷺ أن المرأة تخطب لأسباب عديدة ولكن أهمها الدين.

يقول ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»(1).

أي أن ذات الدين سبب في البركة؛ لأن قوله ﷺ: «تربت يداك»؛ أي: التصقت يداك بالتراب، كناية عن الفقر إن لم تفعل، وقيل: المعنى العكسي أن التراب مصدر البركة، فنحن نضع البذرة فيه جامدة فإذا بها نبتة جميلة، بل إن العلماء قالوا: إن المرأة هي المقصودة بحسنة الدنيا في قوله تعالى: } وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ{ [البقرة: 201]، فحسنة الدنيا المرأة الصالحة، وحسنة الآخرة الجنة، فذات الدين مطلوبة وممدوحة في القرآن الكريم والحديث الشريف.

كما وصّى النبي ﷺ بالشاب الخلوق، حيث قال: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه، فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض».

لله - عز وجل - نعم كثيرة على عباده، منها الإيمان؛ فلكل عبد نصيب منه، فهناك من يكتفي بالفرائض، وهناك

من يهتم بالنوافل، بل من الناس من يتحمل فوق ذلك همَّ الدعوة إلى الله - عز وجل - فالناس مختلفون بحسب طاعاتهم واهتماماتهم الدينية، وهناك من حفظ الناس من شره، وهناك من يحسن إليهم.. فالعباد درجات في عباداتهم وأخلاقهم.

إذا أردنا الدخول في علاقة اجتماعية مهمة كالزواج واهتممنا بالتدين، فينبغي أن يكون مصليًا؛ لأن هذا يبرز اهتمامه بحق من له عليه فضل (الله) وأيضًا لا يدمن الكذب؛ لأن الصدق خلق أساسي يدل على شرف النفس وبعدها عن الخداع.

ثمة أسس ومقومات للزيجة الصالحة، من أهمها الدين، والتقارب الاجتماعي، والمستوى الاقتصادي المقبول، والقبول بين الطرفين، ونتناول كلًّا منها فيما يلي بشيء من التفصيل:

بداية.. لا بد أن نعلم أن العلاقة الزوجية قائمة على الفضل، حتى إن الله - سبحانه وتعالى - حث المنفصلين على ألا ينسوا ما كان بينهم من فضل عند الانفصال، فقال سبحانه: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا

تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 237]. وهنا تظهر أهمية الدين كأساس تقوم عليه العلاقة الزوجية؛ لأن الدين يمثل علاقة العبد بربه - عز وجل - ويضبط علاقته بالناس والمتدين هو ذلك الشخص الذي يؤدي ما عليه من حقوق لله رب العالمين وللناس الذين هم خلق الله وعباده.

وبالتالي فإن فاقد التدين لا يؤدي ما عليه من تلك الحقوق، وهنا مكمن المشكلة؛ إذ كيف يتعامل بالفضل من لم يؤدِّ ما عليه من حقوق؟ بل كيف يتأتى لمن قصر في حق الله - عز وجل - الذي خلقه ورزقه وأمره وسيحاسبه، أن يؤدي حق شريك الحياة التي هي مخلوق مثله.

أنه يغسل ما بالنفس من صفات وحشية، فالإنسان مخلوق ميزه عن غيره محاربة ما به من غرائز وشهوات وميول، عن طريق ما يتحلى به من التدين، فيتغلب على ما به من بخل مثلًا وطمع وخبث ومكر؛ لأن كل ذلك من صفات الحيوان الموجودة في النفس وعلى الإنسان أن يجاهدها.

يقول ابن القيم: «إن الإنسان فيه حرص الغراب، وطمع الكلب، ورعونة الطاووس وكبره، وقذارة الخنفساء،

وانتهازية الفهد، وثورة الأسد، وخبث الحية، وعبث القرد، ومكر الثعلب».

وبالقرب من الله وتزكية النفس يرجع الإنسان لإنسانيته الصافية.

الإنسان المتدين يجنبك كل هذه الخصال، ويكفيك شر نفسه وما بها من آفات ولاسيما في العلاقة الزوجية، فالشاب المتدين والفتاة المتدينة يعيشان حياة زوجية صالحة وسعيدة بكل المقاييس.

قد يكون الشاب والفتاة متدينين لكن تعتريهما المعصية، فالشاب مثلًا قد يكون مدخنًا والعياذ بالله، فهل يصلح كزوج؟ الإجابة نعم؛ لأن التدخين معصية ندعو الله أن يعافيه ويعافينا منها، ولنحاول جميعًا لفت نظره إلى أن التدخين حرام وفيه ضرر بالغ بصحته وماله وزوجته وأبنائه فيما بعد، كما أن التدخين ضار بالآخرين، والله - سبحانه وتعالى - يتسامح في حقه ولا يتسامح في حقوق العباد. ولكن هل إذا رفضته الفتاة لأنه مدخن تكون قد بطرت نعمة ساقها الله إليها؟ بالطبع لا؛ لأنه من حقها أن ترفض، وهذا عيب فيه، لكن ليس بدرجة من يترك الصلاة مثلًا، فإن رفضته فلا تُلام على ذلك، وإن

قبلته فلا تلام أيضًا؛ لأنه ليس فاقدًا الحد الأدنى من السلوكيات.

وكذلك قد تكون الفتاة غير محجبة مثلًا، فهل يقلل هذا من صلاحيتها كزوجة؟ لا، فقد تكون متدينة لكن تحتاج إلى من ينصحها ويوجهها، أما إذا كانت رافضة للحجاب، مستهزئة - لا قدر الله - فهذا شيء آخر؛ لأنها تسخر من فرض الله - عز وجل - أما إذا كانت متجاوبة فلنساعدها ونرشدها إلى الحجاب؛ لأنه طاعة للمولى - عز وجل -.

التقارب الاجتماعي هو التقارب في مستوى التعليم ومستوى الفكر والثقافة، وليس المقصود به المستوى المادي، فلا بد أن تميز بينهما؛ لأنه من الضروري أن يكون هناك تقارب اجتماعي، بينما ليس من الضروري أن يكون هناك نفس القدر من التقارب في المستوى الاقتصادي.

وتكمن أهمية هذا التقارب الاجتماعي في أنه يساعد الزوجين على التعاون في كل المواقف التي تجدُّ لهما، كما ييسر عليهما تربية الأولاد على نسق تربوي واحد، وإلا رأيت الزوج ينكر على الزوجة ما تراه بديهيًّا وعاديًا، ورأيت الزوجة لا تطيق أن تربي الأولاد على شيء يراه هو مبدأً من مبادئ الحياة، فتكون الفجوة واسعة بينهما ويتأثر بذلك الأولاد أيما تأثر، فمتى كان هناك تقارب

اجتماعي كانت الحياة أسهل وأسعد، ومتى زادت الفجوة في الثقافة والتفكير وطريقة الحياة كانت خلافات الزواج أكثر.

لقد كان زواج النبي ﷺ بخديجة ؓ نموذجًا للتقارب الاجتماعي وأثره في نجاح الزواج رغم تباعد المستوى الاقتصادي بينهما، فقد كانت ؓ من أغنى أغنياء مكة، بينما كان النبي ﷺ راعيًا للغنم حين ذاك، غير أنها كانت تقاربه شرفًا وفكرًا ومكانة في المجتمع، فكانت له نعم الزوجة، تعينه على الدعوة ومتاعبها، وتخفف عنه ما يلم به، وتبذل طاقتها في إرضائه وسعادته ﷺ، فكانت زيجتهما زيجة ناجحة كأحسن ما يكون النجاح.

من أكثر الأمور التي تشغل بال الإنسان مسألة الرزق، حتى أقسم الله - عز وجل - على أن الرزق مكفول لابن آدم، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ (22) فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23)﴾ [الذاريات: 22، 23]، لذا يكون الإنسان مشغولًا بهذه المسألة، فتجد الأهل يدققون في مسألة المستوى الاقتصادي، وترى الأب حريصًا على أن تعيش ابنته بعد الزواج في نفس المستوى الذي تعيش فيه قبل الزواج، ويغيب عنه أن هذا الشاب في بداية

حياته، أما الأب فقد قضى عمرًا حتى يعيش في هذا المستوى.

على أية حال، فإن الله - سبحانه وتعالى - يقول: } وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [هود: 6]، فالأرزاق بيد الله - عز وجل - وكم من أناس رضوا بشاب متدين وبينهم وبينه تقارب اجتماعي رغم أن المستوى المادي ليس كما يحبون، لكنه رجل مجتهد ومستقبله واعد فأنعم الله عليهم وكان له مستقبل باهر، وعاشت ابنتهم في رغد بسبب صدق معدنه، فقد أغناه الله من فضله، كما يقول - عز وجل -: } وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ { [النور: 32].

المهم أن يكون ذا عمل، كذلك من المهم أن يكون مهتمًا بعمله ساعيًا إلى أن يتميز فيه فيكون له مستقبل واعد طيب يُحَسِّن مستواه الاقتصادي.

نموذج للشاب الذي لا يملك مالًا كثيرًا لكنه يستطيع أن يعمل ويجتهد، فهو ذو خلق وقوة وأمانة، وهي المقومات التي تكفل النجاح في أي عمل بإذن الله، وتصف هذه الآيات كيف تم هذا الزواج بعد أن قابل ابنتي شعيب ،

يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وَأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قالَ ذلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ (28)﴾ [القصص: 23-28].

فما دام الشاب يستطيع أن يفتح بيتًا من حلال، فلا بأس به؛ لأن المال الكثير سيأتي فيما بعد بإذن الله ما دام يستطيع أن يعمل ويجتهد ويتقن عمله، فمن جدَّ وجد، وتلك سنة من سنن الكون جعلها الله - عز وجل - لحكمته سبحانه، فلا ننشغل فقط بمسألة الرزق ولنقدم الخُلق على كل شيء، فإن التدين كالواحد الصحيح بطريقة

الحسابيين، وكل الأمور الأخرى كأصفار على اليمين، فالتقارب الاجتماعي بجوار الواحد الصحيح يساوي 10 ، وإذا انضم إليهما المال يكون 100 ، فإذا جاء الجمال كان 1000، فإذا غاب التدين لم نر إلا أصفارًا، وهكذا.

من أهم مقومات الزواج أن يكون هناك قبول بين الطرفين، وهذا القبول تكون عوامله كثيرة، منها خفة الروح، ومنها سلامة التفكير، وطريقة الكلام، وكذلك منها الجمال، ومن غير الإنصاف أن نختزل كل هذه العوامل في عامل واحد هو الجمال، فالشاب له مواصفات في خطيبته، والفتاة لها مواصفات في خطيبها، والإنصاف التوازن بين جميع المتطلبات.

صحيح أن الجمال مهم، لكن مع التدين والأخلاق وحسن العلاقات الاجتماعية، فينبغي ألا نتعسف موقنين أن هذا الشاب أو هذه الفتاة من خلق الله - عز وجل - أحسن تركيبها وتركيبه، فهو القائل - سبحانه وتعالى -: { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة: 7].

فما دامت الأخلاق موجودة فهي الزاد الداخلي للحياة المستقرة السعيدة. فمثل الجمال الذي لا تدين معه والجمال الذي معه تدين كمثل الوردة الصناعية والوردة

الطبيعية، فقد تكون الأولى جميلة الشكل غير أنها لا رحيق فيها، فلا تجد النحل يبتغيها أو يجد بغيته فيها، أما الوردة الطبيعية فإنها ذات رحيق نافع وإن بدت ذابلة أو غير نضرة.

* * *

خدعوك فقالوا... مُتاح بعض التجاوزات في الخِطبة لتعرف شريك الحياة

كل شاب – وكل فتاة – يحلم أن يكون له بيت ويكوِّن أسرة سعيدة يجد فيها راحته وما يسره، ولكي تتحقق هذه النتيجة بما يرضي الله فلا بد وأن تعي يا أخي ويا أختي أن الهدف من الخِطبة هو التعرف على شريك

الحياة بالشكل الذي أمرنا الله به، وليس بالشكل الشائع بين بعض المخطوبين الذي يتيح بعض التجاوزات في الخِطبة للتعرف على شريك الحياة، ولا بد أن تعي أيضًا أنه لا بد من الاستعانة بالله - عز وجل - فهو الذي بيده الخير والسعادة، فلنسأله ذلك، ولنقل:} قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { [آل عمران: 26]، فإنه أكرم من أن يسأله عبده ولا يجيب، فهو القائل - سبحانه وتعالى -: } وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ { [البقرة: 186]، فالله - سبحانه وتعالى - يجيب دعاء عباده خاصة من لجأ إليه وعلم بما أمره به واستجاب لكلامه - عز وجل - فأطاعه طلبًا لرضاه سبحانه.

وبعد الدعاء عليك بالاستخارة، وهي أن تقف بين يدي الله - سبحانه وتعالى - فتصلي ركعتين وتدعو فيهما أوبعدهما بدعاء الاستخارة. وهو كما ورد عن النبي ﷺ: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير

لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني» قال: «ويسمي حاجته»(1).

وبعدها سينشرح صدرك لما فيه الخير بإذن الله رب العالمين، وستكون زيجة موفقة لأنها بدأت بطاعة الله -عز وجل -.

هناك أمور تؤثر على الخطبة سلبًا، مع أنها قليلة الأهمية ولا ينبغي أن نبني عليها قراراتنا في أمر مهم كاختيار شريك الحياة، ومن هذه الأمور انفصال الوالدين بالنسبة للشاب أو الفتاة، وكذلك الألقاب كلقب (مطلقة) أو (مطلق)، كما أن صعوبة الزواج أو قلة الخطَّاب قد تؤثر سلبًا على قرار الخطبة. وفيما يلي تفصيل ذلك:

1 - انفصال الوالدين:

قد ينصرف شاب عن خطبة فتاة مناسبة من حيث التدين والتقارب الاجتماعي والمظهر المقبول لسبب بعيد تمامًا عنها، وهو أن والدها قد طلق والدتها، مع أنها لا

ذنب لها في شيء من هذا، فلا يجوز أن يأخذها بذنب غيرها، يقول تعالى: } مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا{ [الإسراء: 15].

فما دامت الفتاة صالحة فتوكل على الله واخطبها، فسيكون فيها الخير بإذن الله رب العالمين، ونفس الفكرة تمامًا بالنسبة للشاب الذي انفصل والداه.

وقال النبي ﷺ: «ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه، ولا بجريرة أخيه»(1) .

2 - الألقاب:

من مصادر الإزعاج بالنسبة لكل أطراف الخطبة أن تكون الفتاة مطلقة أو يكون الشاب مطلقًا، أو فسخت خطبة أحدهما، خاصة الفتاة، ولمسألة الألقاب خطورتها على ثلاثة مستويات:

الأول: أن الفتاة تخشى أن تفسخ خطبتها حتى لا يكون ذلك صارفًا للخطاب عنها فيما بعد، فتضطر إلى مجاراة خطيبها فيما يحب وإن كانوا على خلافات كبيرة، وهذا خطر عظيم.

الثاني: أن كثيرًا من الشباب وأهليهم ينصرفون عن المطلقة أو التي فسخت خطبتها، وقد تكون خلوقة صالحة، لكن لم يقدر الله - عز وجل - أن تستمر في علاقتها الأولى، فيخسر الشاب هذه الفتاة الطيبة.

الثالث: أن شبح ذلك اللقب يظل مطاردًا لصاحبه حتى بعد إتمام الزواج، فالزوج لا ينسى أن زوجته كانت مطلقة أو خطبت لأحد قبله، وهي كذلك، ومع أن الأمر قد يكون بسيطًا جدًّا ليس للمطلقة ذنب فيه، فالمهم التدين، ولا داعي للالتفات لمثل هذه الألقاب.

3 - صعوبة الزواج:

تشكل صعوبة الزواج وقلة الخطَّاب في هذه الأيام عامل ضغط على الفتيات وأولياء أمورهن لقبول أول شاب يتقدم، أو التساهل فيما يخص مسألة القبول والأخلاق، وهذا من أكبر أسباب الطلاق وتزايد حالاته هذه الأيام، فلا يتأثر الأهل ولا الفتيات بمثل هذا؛ لأن مسألة الزواج رزق، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ولعل من أسباب التشبث بالخطبة أن الشاب قد يترك الفتاة المناسبة خشية أن يكون هناك أفضل منها، وهي

كذلك قد ترفض شابًّا مناسبًا عسى أن يكون هناك من هو أفضل منه، فتفوتهما فرصة طيبة بسبب هذه الوسوسة.

ثمة أمور ينبغي على الشاب والفتاة والأهل أن يراعوها؛ لأنها مهمة خاصة في اللقاء الأول.

1 - الحضور في الموعد:

من الأخطاء التي يقع فيها كثير من الشباب أن يتأخر عن الموعد المحدد لمقابلة أهل خطيبته حتى لا يُظن أنه متعجل، أو يأتي مبكرًا حتى يظن أنه مهتم بالمسألة، وكلا الأمرين خطأ؛ لأن المتأخر يسبب حالة من الضيق بسبب الانتظار، وأما المبكر فإنه قد يفاجئهم بالزيارة قبل موعدها فيسبب حالة من الإرباك والإحراج، فلا أفضلَ من الحضور في الموعد المحدد.

2 - شراء هدية:

من الذوق واللياقة أن يشتري الخاطب هدية لأهل خطيبته، ولتكن في المستوى المعقول؛ لأن الهدية الثمينة جدًّا في غير محلها الآن، فهذا مقام تعارف، ثم إنها توحي بالتعالي أو على الأقل تحمل رسالة أنك ثري ولا ترضى بأقل من هذا المستوى في التعامل. أما إذا كانت الهدية رخيصة الثمن فإن ذلك يعد استخفافًا بهم، أو يكشف عن

سوء تقديرك للأمور، فالهدية رغم أنها تبدو شيئًا عاديًا فإنها تحمل معاني كثيرة، فلتخترها بعناية.

3 - الابتسام:

يظن بعض الناس أن الوجوم يوحي بالجدية وأن الابتسام يجعل وزن صاحبه خفيفًا عند من يجالسه، مع أن الابتسام يحمل رسالة حب، ويقرب المسافة بين الطرفين، خاصة إذا كانت مع الوضوء؛ لأن الوضوء يكسب الوجه نورًا ووضاءة وقبولًا.

4 - الاحترام:

من الأمور المهمة جدًّا للشاب والفتاة أن يتحليا باحترام الناس، وتجنب الفخر، فلا تكرر كثيرًا في تعريف نفسك مثلًا بأنك الدكتور فلان، أو أباك بأنه سيادة المستشار فلان، فهذا يزعج كثيرًا، وكأنك تقول: أنا لا أتعامل إلا بهذه الطريقة، ولا أقبل من أحد مهما كان أن يعاملني بأقل منها.

5 - تجنب الهزل والتفكه:

اظهر على طبيعتك، فلا تتفكه وتستظرف ظنًّا أن ذلك محبوب من قبل الفتيات، بل إذا كانت هذه طبيعتك فلتحاول أن تتعقل وتبدو رزينًا؛ لأن هذا المقام ليس

مقام هزلٍ، ولكن احرص على الابتسامة الصافية غير المتكلَّفة.

6 - ترك التحدث عن السلبيات:

لا تتحدث عما تكره، أو عن السلبيات الموجودة مثل البطالة، أو سوء الأخلاق، أو غير ذلك، حتى لا تنفِّر سامعيك، كما أن ذلك قد يُفهم أنك من الشخصيات الساخطة التي لا ترضى بشيء مهما كان.

7 - تجنب الإجبار على الكلام:

إذا رأيت الفتاة ساكتة فلا تجبرها على الكلام بدعوى تعرُّف شخصيتها، ولا تظن أن سكوتها رفض لك، أو ثقل في طبيعتها، بل كل ما في الأمر أنها تشعر بالخجل، وسيتبدد هذا الأمر مع الأيام، ما دامت قد وافقت عليك.

8 - تجنب الألفاظ السوقية والغمز:

من المؤسف أولًا أن يتحدث الشباب بألفاظ سوقية، أو أن يتعامل بطريقة الغمز بالعين وما شابه ذلك، ومن غير المناسب، بل من المرفوض أن يتحدث الشاب هكذا مع الفتاة وأهلها، بل من العجيب أن الفتاة تتحدث بهذه الطريقة، فتجد الشاب يقول مثلًا لوالد خطيبته: (كبر دماغك يا عمي)، أو تجد الفتاة تقول: (ضربت طناش عن

الرحلة) أو (أنا راشقة مع صَحْبَاتي) أو يقول الشاب لوالدها: (يا باشا) بدلًا من (يا عمي) هذه الألفاظ تعطي انبطاعًا سلبيًا جدًّا عن المستوى الاجتماعي والتربوي.

9 - الجلوس باطمئنان:

لا تكن مرتبكًا، فلست في جلسة تحقيق، بل جئت لتخطب، وهم حريصون على أن يزوجوا ابنتهم إن كنت مناسبًا، كما أنك حريص على أن تقبل، فلا داعي للرهبة والتخوف من موقف الأهل تجاهك، فالأمر أيسر من ذلك.

10 - انتقاء الأسئلة وطريقتها:

هذه مهارة خاصة بالأهل أكثر من الشباب، فبعض الأهل يغرقون الشاب بوابل من الأسئلة عن الشقة والمرتب الشهري وطريقة الحياة وغير ذلك، مما يسبب إرباكًا للشاب، ويعكس صورة عن الأهل أنهم ماديون وشكليون، مع أنهم على خلاف ذلك، بل ربما كانوا من أصحاب التيسير على الشباب، ولكن هذه الأسئلة تعكس أنهم ماديون، رغم أنها من حقهم.

من الأفضل إذنْ أن يسألوا بطريقة غير مباشرة، فبدلًا من أن يسألوه: هل لديك شقة؟ بإمكانهم أن يقولوا: في أي المناطق تحب أن تسكن؟ فإذا كان لديه شقة قال:

عندي شقة في بيت أبي مثلًا، أو استأجرت بالفعل شقة في منطقة كذا. وبدلًا من أن يسألوه: ألديك سيارة؟ من الأفضل أن يكون بكلام عن المواصلات، كأن يقولوا: لكن المواصلات صعبة لهذه المنطقة، فيقول مثلًا: لدي سيارة، أو أتعامل مع أحد سائقي التاكسي تغلبًا على هذه المشكلة. وهكذا.

11 - الكتمان حتى تتم الخطبة:

من المفيد في مثل هذه المسائل أن يكون الخبر مقتصرًا على أسرة الشاب والفتاة، بحيث لا ينتشر أن فلانًا تقدم لخطبة فلانة، ثم لا يحدث قبول بين الطرفين، فيشيع أن فلانًا هذا لم يقبل أو أن فلانة هذه لم تُعجب، ويتساءل الناس: لِمَ يا تُرى؟ فيكونان مادة لكلام الناس، بل ربما أضر بهما فيما يُستقْبلُ من فرص للخطبة، ولنستعن على قضاء حوائجنا بالكتمان. فلا داعي للكلام في شيء لم يكن قد تم بعد، أما إذا تم بفضل الله وكان هناك قبول واتفاق فلنُعلمْ أحبابنا وأقاربنا بهذا الخبر السعيد.

12 - الذكاء الاجتماعي:

يسمى حسن التصرف في المواقف المختلفة ذكاءً اجتماعيًا، لكن بعض الناس خاصة الشباب قليلو الخبرة في هذا الصدد، فيفهم خطأ أنه بخيل مثلًا لأنه لم يشتر هدية في مناسبة ما، ولكنه لا يعرف، أو شعر بالإحراج، فالحكم بالبخل والكرم لا يكون بناء على موقف واحد، وكذلك الأهل، فقد يتورط أحدهم في أسئلة غير لائقة؛ لأنه لا يحسن تحويل الأسئلة إلى صورة مقبولة على نحو ما سبق ذكره، فلنحرص على تعلم هذه المهارة أو حسن التصرف، وذلك بالقراءة وحضور المحاضرات الخاصة بهذا الشأن، والاستماع إلى البرامج التي تفيد في ذلك، حتى نتجنب التفسير الرافض لمواقفنا فنخسر الكثير منها دون أن ندري.

بداية.. ينبغي أن نسلم لله - عز وجل - في كل أمورنا؛ لأنه خلقنا سبحانه ويعلم ما بنا وما يصلحنا، فهو القائل عز وجل:{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14]. بلى، يعلم - سبحانه وتعالى - وينبغي أن نسلم له مطمئنين إليه واثقين بحكمته وعلمه، فإذا كنا نثق بالطبيب الذي قد يجري عملية جراحية ليستأصل فيها جزءًا من جسدنا ونفعل كل ما يأمر به؛ لثقتنا أنه على

علم بالطب، وأنه يريد الخير لنا، فكذلك الله - عز وجل - ولله المثل الأعلى.

وهذا التسليم في كل شيء، بما في ذلك الخطبة، فعلى الشاب والفتاة والأهل أن يلتزموا بما للخطبة من ضوابط تتمثل في وجود محرم في كل من المجالسة والخروج والحديث في التليفون؛ لأن ذلك يساعد على الطاعة فتكون الخطبة مباركة؛ لأن المعصية تمحق البركة، وتعقد مسألة الزواج كلها.

أولًا: المجالسة:

عندما يأتي الخاطب زائرًا لخطيبته ينبغي أن يكون بالبيت محرم؛ أبوها أو أخوها أو عمها أو خالها، حتى لا تكون خلوة محرمة، لكن وظيفة المحرم أن يراهما ولا يسمعهما، بمعنى أن يجلس بعيدًا عنهما لا في نفس الجلسة حتى لا يكون هناك نوع من التضييق يحول دون أن يتعرفا أخلاق بعضهما، ويفضل الاعتدال في الزيارة بحيث لا تكون يوميًا أو لساعات طويلة في المرة الواحدة، فهذا يسبب الملل من قِبل الفتاة والأهل، ولذلك أيضًا يفضل ألا تطول فترة الخطبة.

ثانيًا: الخروج:

لا بأس في خروج الخاطب مع خطيبته ما دام ذلك في وجود محرم، فليخرجا وليذهبا إلى النادي أو المطاعم، وليجلسا معًا تحت نظر المحرم وعلى مسافة منه، فلا شيء في ذلك.

ثالثًا: التليفون:

اختلف العلماء في مسألة الحديث في التليفون على أقوال، فمنهم من منع التحدث على الإطلاق لأن الخطيبة ما زالت أجنبية عن خطيبها، ويرى أنه لا يحل لهما التحادث مطلقًا. ومنهم من يرى أنه لا بأس في ذلك ما دام في المباح من الكلام دون تطرق إلى أحاديث الحب أو إلى أية مخالفة شرعية، ومنهم من اشترط وجود المحرم عند إجراء المكالمة على أن يكون بعيدًا دون استماع للمكالمة.

فعلى الشاب والفتاة أن يحرصا على ذلك إرضاء للّه - عز وجل - وليخالفا ميلهما إلى الكلام حتى لا ينزلقا إلى ما لا تحمد عقباه، وخاصة الفتاة فإنها تملك أن ترد جرأة الشاب، ويكفيها أن تقول له:

لا أستطيع أن أرضيك وأغضب الله رب العالمين. فإذا قال لها لم تخبريني مرة بأنك تحبينني رغم أني أخبرتك كثيرًا. فلتقل له: إني أحب أن يكون ذلك بعد الزواج،

ويكفيك موافقتي حتى تعرف ذلك، وإلا فلِمَ وافقت على الارتباط بك؟!

وعلى الأهل أن يساعدوهما على الالتقاء في وجودهم (أي في وجود محرم) حتى يكون ذلك بديلًا لهما عن الخروج بعيدًا عن أعين الأسرة فتحدث المخاطر والكوارث التي يعاني منها مجتمعنا الآن بسبب غياب البديل الشرعي الذي يحفظ لهما عفتهما وطهرهما وطاعتهما لله رب العالمين واتباعهما لسنة خير البشر سيدنا محمد ﷺ.

* * *

خدعوك فقالوا... المهر و(الفرح) من قيمة العروس

يظن كثير من الناس أن المهر و(الشبكة) وفخامة المسكن وحفل الزفاف أهم ما في مسألة الزواج، بل يظن الأهل أن قيمة هذه الأمور من قيمة البنت، فإذا كان المهر كبيرًا والشبكة غالية الثمن والمسكن فخمًا واسعًا والأثاث عالي القيمة وحفل الزفاف في فندق خمس نجوم – كانت

العروس غالية على خاطبها، بل من الأهل من يبالغ في هذه المسائل حتى يتأكد أن الشاب جاد ويقدر العروس وأهلها ومستعد لأن ينفق ماله بل عمره من أجل الارتباط بهم، غير أن الدين الإسلامي الذي أكد على أن الدين والخلق أهم ما في مسألة الزواج راعى هذه المسائل جيدًا، صحيح أنه قرر أن من حق العروس أن تطلب مهر المثل؛ أي مهر قريباتها أو مَن شابهها في المستوى الاجتماعي والمالي واللاتي يشبهنها في المكانة كالنسب ومستوى التعليم وهكذا، لكنه أوصى بالتيسير في المهور.

فقد قال ﷺ مبينًا أن التيسير باب من أبواب البركة: «خير نساء أمتي أصبحهن وجهًا، وأقلهن مهرًا»(1)

وكأنه يلفت نظر الشباب إلى أن البركة تزيد عندما لا نتشدد في المهر وما شابه ذلك، وكذلك يلفت نظر أولياء الأمور إلى أن المغالاة قد تكون سببًا في تكدير عيش الفتاة مع زوجها بعد ذلك، فربما شعر أن أهلها لم يرحموه، وربما استدان فعاش في ضيق لعدة سنوات، فانعكس ذلك على معاملته إياها، بل نبه الإسلام أن الرفق بصفة عامة مطلوب في الأمور كلها، فقد قال ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله». وقال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا عزل عنه إلا شانه».

وأيضًا مسألة أخرى متعلقة بتيسير المهر وعلاقته بالبركة، ألا وهي تأخير سن الزواج، فإذا غالينا في المهور قد يتأخر سن الشاب والفتاة عند الزواج.

من العجيب أن يبدأ الشاب مرحلة زواجه بالدعاء والاستخارة ومراعاة ضوابط الخطبة، ثم إذا جاء موعد الزفاف رأيت الأمور تغيرت، فالشاب المستقيم قد أقام حفلًا راقصًا، والفتاة المحجبة قد خلعت حجابها، والأسرة المتدينة أصبحت تتراقص أمام المدعوين، وذلك كله مخالفة شرعية سقطوا فيها تحت تأثير خدعة تقول إن هذه الليلة ليلة العمر فلنفرح ولنفعل ما نشاء، فضلًا عن أنهم يقيمون للناس وزنًا ويعملون لهم ألف حساب كما يقال.

إن الله - عز وجل - أنعم على الشاب بزوجته وعلى الفتاة بزوجها وعلى الأهل بإتمام هذه الزيجة، وساق إلى يد الشاب أموالًا كثيرة حتى يعينه على الزواج، ويصل إلى هذه الليلة التي ينتظرها هو وزوجته، فإذا بهما يعصيان الله - سبحانه وتعالى - ويفرحان بما يغضبه، وقد نسيا أن هذه النعمة منه سبحانه، فقد قال عز وجل: } وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ

} [النحل: 53]، بل أخبر النبي ﷺ أن من أراد أن يتزوج ابتغاء العفة.

فإن الله - عز وجل - قد قطع على نفسه حقًّا أن يساعده ويعينه، يقول ﷺ: «ثلاثة حق على الله أن يعينهم: المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد أن يستعف، والمكاتب يريد الأداء»(1).

فالله - سبحانه وتعالى - جعل حقًّا عليه أن يعينك، وحقًّا عليك أن تطيعه، فها هو قد وفى لك بما تحب، فِلمَ لا تفي له بما يحب سبحانه؟!

إن الشاب الذي يأتي بالراقصات في حفل الزفاف، وربما الخمر، والفتاة التي تخلع حجابها في ليلة العمر أمام الناس، والأهل الذين يوافقون على هذا السلوك بل يباركونه، بل ربما يشترطونه، إن هؤلاء جميعًا كأنهم يقولون للناس من حولهم: «إننا لا نستطيع أن نفرح ونحن ملتزمون فلا بد أن نخالف ربنا»، أو كأنهم يقولون: «لقد مللنا ذلك الالتزام الخانق الذي حجَّمنا كثيرًا ومنعنا أن نفرح ونسعد»، فضلًا عن أنهم يُسنّون سُنة سيئة، وأما من ابتكر وجهًا طيبًا لطاعة أو لأمر مباح كالحفلات المتحفظة التي عرفت منذ بضع سنوات كبديل لحفلات الزفاف الراقصة الحافلة بالمخالفات الشرعية؛ فإذا أقمت

أيها الشاب حفلًا متحفظًا بعيدًا عن تلك المعاصي فلك أجره وأجر من قلدك بإذن الله سبحانه؛ لأنك قللت من مظاهر المعصية وكثَّرت من مظاهر الطاعة.

قال النبي ﷺ: «من كثَّر سواد قوم فهو منهم»(1).

فأنت كثَّرت عدد الطائعين، إذن فأنت معهم بإذن الله.

إن الله - سبحانه وتعالى - ذم الذين يأخذون من الدين ما يحبون ويتركون ما لا يحبون، وأثنى على الذين يسلمون لله ورسوله في كل حياتهم، يقول - سبحانه وتعالى -: } وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (48) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52){ [النور: 47-52].

فإذا كنت مقبلًا على زفاف فحاول أن تلتزم بما يرضي الله - عز وجل - ورسوله ﷺ، أما إذا كنت قد تزوجت ووقعت في هذا المنزلق فتب إلى الله - سبحانه وتعالى - واحرص على ألا تحضر مثل هذه الحفلات؛ لأن التوبة يُشترط فيها الإقلاع عن الذنب وأن تعمل صالحًا، حتى يبدل الله سيئاتك حسنات، فهو القائل عز وجل: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: 70].

مما يخرج بحفل الزفاف عن مقصوده ويخالف المعقول، المبالغة في الإنفاق على الطعام والشراب والإضاءة وغير ذلك، صحيح أن ذلك كله أمر مطلوب، لكن الزيادة فيه غير مقبولة، وصحيح أن هناك زيادة مطلوبة لتأمين الموقف، لكن المبالغة في الزيادة هي الإسراف والتبذير، فإذا كان المدعوون ثلاثمائة مثلًا، فلا بأس أن يكون الطعام لأربعمائة، أما أن يكون لألف فهذا تبذير، فإذا كان هناك القدرة على الزيادة فلنأخذ في اعتبارنا الفقراء والمساكين، فلنرسل ذلك الطعام إلى بنك الطعام، إما مباشرة وإما بالاتفاق مع الفندق مثلًا.

وقد عالج الإسلام مسألة الإنفاق عامة، فقال الله - سبحانه وتعالى - في صفات عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا

أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا { [الفرقان: 67]. فالإسراف مذموم، كما أن التقتير – أي البخل- مذموم. وأما الطعام والشراب فقد عالجه القرآن أيضًا بالحث على عدم الإسراف، فقال - سبحانه وتعالى -: } يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ{ [الأعراف: 31]. وقال النبي ﷺ: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع». ففي هذا الحديث نهي عن الإسراف في الطعام قبل الأكل وعند الأكل، أما قبل الأكل فبألا نهدر الطعام بأكله عن غير جوع، فإذا جعنا واستُحقَّ الطعام لم نسرف فيه بأن نأكل إلى حد الشبع.

إننا إذا راعينا في مسألة الزواج ما يرضاه الله - سبحانه وتعالى - ورسوله ﷺ، فقدمنا الدين والخلق على ما سواهما من مهر وشبكة ومسكن وما إلى ذلك، ثم التزمنا بالضوابط الشرعية للخطبة وكذلك حفل الزفاف – كان ذلك كله بابًا من أبواب البركة في الحياة الزوجية، فتقوم الأسرة المسلمة على روح التعاون والرحمة والبر من أول يوم، فتكون لبنة صالحة مثمرة في بناء المجتمع المسلم الذي أراد الله - عز وجل - أن يكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، فإن هذا لا يكون إلا من خلال أسر

صالحة تربي أبناءها على الصلاح والتعاون والرحمة في كل شيء، فيرضى بذلك ربنا - عز وجل - ويفرح به نبينا ﷺ.

* * *

خدعوك فقالوا... التعصب قوة وانتماء

الفُرقةُ موضوع حيويٌّ سبق طرحه وتناوله الكثير من الكتَّاب؛ لأنها داء خطير أصاب جسد الأمة الإسلامية بالضعف وجَعَلها سلبًا ونهبًا للكثير من الطامعين المستعمرين على مرِّ القرون والأزمان، وعلى الرغم من أن الإسلام منذ زمن بعيد غرس، ولا يزال يغرس، فينا من القيم التي تدعونا إلى التآلف والترابط نظريًّا وعمليًّا،

وعلى الرغم من أن المسلمين يمارسون من الشعائر والعبادات من الصلاة والصوم والحج ما يدعوهم إلى التآلف والترابط ونبذ الفرقة والشقاق؛ فإن كلَّ الظواهر والمظاهر في مجالات الحياة وممارساتها تؤكد لنا أننا مصابون بهما.

لو تأملنا آيات القرآن الكريم لوجدنا كثيرًا منها يدعونا إلى التآلف والتراحم والتكامل، يقول تعالى:} وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(103) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(104) { [آل عمران: 103، 104].

وأحاديث الرسول ﷺ تدعونا في كثير من المواضع إلى الترابط والإخاء والمحبة. فمن ذلك حديث الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

وقوله ﷺ: «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا» ثم قال: «ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه

تحاببتم؟» قالوا: ما هو يا نبي اللّه ؟ قال: «أفشوا السلام بينكم».

وبالرغم من النهج العملي الذي سلكه الرسول ﷺ وأصحابه لتدعيم التآلف والتراحم في المجتمع الإسلامي، فإننا نجد أن داء الفرقة ينخر في عظامنا ويفتت قوتنا، ونرى مظاهر ذلك في شتى مناحي الحياة فرقة وشقاقًا بين أبناء الدين الواحد وبين أبناء الوطن الواحد، وبين الأقطار الإسلامية بعضها البعض، خلافات وفرقة في مجالات التعامل، وفي مجالات الرياضة. وعلى الرغم من أحاديث الرسول ﷺ التي نحفظها ونعيها جيدًا، فإننا نجد الفرقة قد تفشت بين المسلمين بدافع التعصب إلى دين أو جنس أو وطن أو إلى بلد به ثقافة أكثر من غيره أو أكثر ثراءً أو أكثر سكانًا أو لكثرة موارده الطبيعية والبشرية وغير ذلك.

ونسوق مثالًا لهذا التعصب الذي حدث بأحد البلاد العربية؛ فقد تعطل مصنع من مصانع تحلية المياه واضطر الناس إلى جلب مياه من مكان بعيد؛ فإذا بالقائمين على التوزيع يفرقون بين أبناء البلد وغيرهم، وذلك من خلال صفَّين؛ صف لأبناء البلد وآخر لغيرهم، وحدَّدوا وقتًا لأبناء البلد وآخر لغيرهم، وهو ما دفع

البعض إلى التعليق على هذا بأنه صورة من صور التعصب والفرقة والتمييز.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل وصل إلى تحقير الأجناس والسخرية منها إلى درجة التعالي والتكبر، حتى أصبح بعض الناس يسخر من الجنس العربي بصفة عامة.

وديننا الحنيف بريء من مثل هذه الصور السلبية، والمؤمن الحقيقي يستنكر ذلك؛ لأن الرسول ﷺ كان عربيًا، واللغة العربية هي لغة أهل الجنة، وبها نزل القرآن الكريم الذي نتعبد بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار. والرسول ﷺ كان يقول: «ما من نبي إلا ورعى الغنم»(1).

إن الله - سبحانه وتعالى - هو الرزاق ذو القوة المتين، قد خلق الخلائق وكفل لها رزقها، يقول تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[هود: 6]. فقد رزق الله البشر ووفاهم الرزق كاملًا في صور متعددة؛ فقد رزق بعض عباده مالًا، وآخرين صحةً، وغيرهم أولادًا، وغيرهم جاهًا ومنصبًا. حتى الدول فقد تفاوتت مصادر الرزق عندها؛ نجد دولةً قد منحها الله موارد طبيعية وثروات معدنية، وأخرى قد بسط الله لها الرزق في مواردها

البشرية والعمالة المدربة، وثالثة نصيبها في الثروة الحيوانية وسعة الأراضي الزراعية، ورابعة في طول السواحل فيسر لها عمليات الصيد وأحدث بها نهضة تجارية.

هكذا تتعدد النعم وتتنوع مظاهر الرزق حتى يتكامل البشر ويتكافلوا ويساعدوا بعضهم.

الانتماء إلى وطن من الأوطان وحبه والدفاع عنه ليس عيبًا ينكره الإسلام، بل هو فضيلة يحث عليها الدين الحنيف، وإنما العيبُ كل العيب في التعصب الأعمى الذي يدفع إلى الظلم والجور وضياع الحب والود بين أفراد المجتمع الواحد.

حب الوطن شيءٌ طبيعيٌّ وفطري وضعه الله في قلوب البشر وبين حنايا الضلوع، بل جعل الدفاع عنه فريضة على كل مسلم ومسلمة. ومن هنا جعل الله الشهداء في أعلى مرتبة في الجنة.

لقد عبَّر الرسول ﷺ عن هذا الحب الدفين في صدره عندما خرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة؛ فبالرغم من أذى الكفار له وصدودهم عن دعوته وكونهم غير مستجيبين له. فإنه عندما خرج مهاجرًا نظر إلى وطنه مكة باكيًا

مناجيًا إياها قائلًا لها: «... علمت أنك خير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله - عز وجل - ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»(1).

فإنه عندما خرج مهاجرًا نظر إلى وطنه مكة باكيًا مناجيًا إياها قائلًا لها: «... علمت أنك خير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله - عز وجل - ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»(1).

يسوق لنا القرآن الكريم صورًا من التعصب الذي يردي أصحابه ويهلكهم، فهم يرغدون في نعم الله - عز وجل - ويتباهون بها، وينسون فضل المنعم - سبحانه وتعالى - ولا يردون ذلك الفضل إليه، ومن هؤلاء إبليس الذي عصى أمر الله - عز وجل - وذكر ذلك في القرآن الكريم لنعتبر جميعًا، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (33) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ

رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (35)} [الحجر: 28-35].

فهذا إبليس يتعالى ويفتخر على بني آدم بأنه مخلوق من نار فكيف يسجد لآدم الذي خلق من طين، وينسى أن الخالق هو الله وأن الصانع هو الله لا فضل لهذا ولا ذاك فيما خلق منه، وإنما الفضل كلُّه لله وكلٌّ خُلِقَ على هيئة اقتضتها حكمة الله - عز وجل -.

وتمضي بنا صور الشقاق والفرقة في أبناء المجتمع الواحد وأبناء الدين الواحد؛ فتجدهم يتعالى بعضهم على بعض ويسخر بعضهم من بعض؛ فأبناء المحافظات في البلد الواحد قد يطلقون على بعضهم العبارات التي تثير الفرقة والشقاق، فتنعت كل محافظة بصفة سيئة وهكذا تغرس بذور الفرقة بيننا، متناسين غافلين قيم ديننا الحاثة على التقوى كما يقول تعالى: } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ { [الحجرات: 11]. وقوله تعالى:

} يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13] .

ونسى هؤلاء المتعصبون أن الرسول قال عن سلمان الفارسي : «سلمان منا آل البيت»(1)، واتخذ بلالًا الحبشي الأسمر مؤذنًا، وقال لصهيب الرومي لما هاجر تاركًا أمواله لأهل مكة: «ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى»(2)، فالإسلام نبذ العصبية وألَّف بين الجنسيات المختلفة في مجتمع واحد يسوده التآلف والتآخي.

وهذا ما فعله الرسول عندما هاجر إلى المدينة فقد عمل جاهدًا على أن يقضي على بذور الفرقة والشقاق وأن يقيم مجتمعًا متآلفًا متحدًا قويًا فاتخذ خطوات عملية لتحقيق ذلك ومن هذه الخطوات: الصلح بين الأوس والخزرج والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. ولقد تجلت المؤاخاة بينهم في أروع صورها لدرجة أن الأنصاري كان يعرض على أخيه ماله ومنازله ونساءه.

وفي كثير من الأحاديث عالج الرسول داء الفرقة والشقاق فقد نهى عن الأثرة وحب الذات؛ فهذا مما يورث الفرقة. قال : «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(3).

ومن مظاهر الفرقة والشقاق ما نشاهده في التعصب الكروي؛ فالكرة أساسًا لعبة شعبية الغرض منها التقارب بين الشعوب والتواصل والود، ولكي نتغلب على فرقتنا وشقاقنا فلا بد أولًا أن يحب بعضنا بعضًا فهذا هو طريق الإيمان الموصل إلى الجنة. فقد قال نبينا ﷺ: «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ثم قال: ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم؟» قالوا: ما هو يا نبي الله ؟ قال: «أفشوا السلام بينكم»(1).

ولا شيء يوصل إلى الحب سوى أن نفشي روح السلام المنافية للتعصب المقيت والسخرية والأنانية والتعالي؛ فلتكن صاحب وعي... قم بتشجيع فريقك كما تحب لكن التفت لحجم مشاعرك تجاه الإنسان الآخر في الفريق المضاد.. إذا وصلت لكراهية فاعلم أن الشيطان قد حوَّل مباحًا ممتعًا إلى حرامًا مؤذيًا.

لقد كان نبذ الخلاف من هدي الرسول ﷺ وهدي الخلفاء الراشدين خاصة في المسائل الدينية والفقهية؛ فمن سُنَّة الرسول ﷺ في تأدية مناسك الحج وشعائره أنه كان يَقْصر في الصلاة في منى؛ فيصلي الظهر ركعتين ويصلي العصر ركعتين ويصلي العشاء ركعتين، فلما تولى سيدنا عثمان بن عفان الخلافة وصار أمير الحج لم يقصر

في الصلاة لأنه اتخذ بيتًا في مكة فلم يعد هنا أي سبب للقصر ولم يكن الصحابة يفعلون ذلك، وكان في الحج الصحابي الجليل عبد اللّٰه بن مسعود فشكا الناس له ذلك وقالوا له: إن الخليفة عثمان لا يقصر في الصلاة مثلما فعل الرسول ﷺ وطالبوه ألا يصلي خلفه فرفض الصحابي الجليل عبداللّٰه بن مسعود ما طلبوه قائلًا: «إن الخلاف شر». ومعنى ذلك ألا نلعن ونحتقر المخالفين العصاة ونعتقد أننا أفضل منهم.

معركة ذات السلاسل عندما أراد عمرو بن العاص أمير الجيش أن يؤم المسلمين في الصلاة وهو جُنُبٌ لم يغتسل خوفًا من البرد الشديد واكتفى بالتيمم، فرفض بعض الصحابة الصلاة خلفه حتى لا تبطل صلاتهم فصلى خلفه سيدنا أبو بكر الصديق حفاظًا على وحدة الجماعة مما دفع جميع الصحابة للصلاة خلف عمرو بن العاص أمير الجيش فجمع الصديق بذلك الناس خلف إمام واحد أمر من أخطر الأمور ألا وهو الصلاة التي متى صلحت صلح سائر العمل.

ولدينا القصة المشهورة عندما لعن أحد الصحابة شارب الخمر أمام الرسول ﷺ فنهاه زاجرًا له قائلًا: «لا تَلعَنُوهُ فَواللَّهِ ما عَلِمتُ إلا أنه يحِبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ»(1). فبالرغم

من أنه عاص لربه مقتحم حدًّا من حدود الإسلام فإنه محب لله ورسوله ﷺ، وربما تاب الله عليه فكان أفضل عند الله منا.

فلنعامل المخالفين لنا بأدب ورفق؛ فلذلك مردودٌ طيب، فلقد استطاع الرسول بحلمه وأدبه العلي الرفيع أن يحول المشركين المعاندين إلى مؤمنين تائبين إلى الله؛ فلنا في رسول الله ﷺ القدوة والمثل في حلمه وأدبه وحسن أخلاقه.

فقصته مع الأعرابي الذي بال في المسجد وهمَّ الصحابة بتقريعه ولكن الرسول نهاهم قائلًا: «دعوه وهريقوا على بوله سجلًا من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»(1) ثم أخذه في هدوء وسكينة وقال له: «يا هذا إن المساجد لم تجعل لمثل هذا»؛ لأنه كان يعلم جهل هذا الأعرابي بأحكام المساجد.

- فلنكن يدًا واحدة ولا نختلف، وإذا اختلفنا؛ فلنحافظ على الود والحب بيننا ولنتذكر دائمًا حديث الرسول ﷺ القائل عن العصبية: «دَعُوها فإنها منتنة»(2).

والقائل: «أدناكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا» إنه دين الوفاق والمحبة والإخاء لا دين الفرقة والتشتت، فلننبذ العصبية ولنكن عباد الله إخوانًا.

* * *

خدعوك فقالوا... العبادة هي الصلاة والذكر.. فحسب!

إننا نعبد الله - عز وجل - نصلي ونصوم ونزكي ونحج إذا استطعنا إلى الحج سبيلًا، ونذكر الله - سبحانه وتعالى - ونحافظ على أذكار الصباح والمساء، فنفرح لأن الله - عز وجل - قد وفقنا إلى ذلك، وقد نحزن إن انصرفنا إلى أمر من أمور الدنيا كالعمل، أو مجالسة الأهل، أو متابعة

الأولاد في الدراسة أو الرياضة، أو شراء ما يحتاج إليه المنزل، أو حل مشكلة بين بعض الناس؛ لأننا قصرنا العبادة على بعض المناسك نفرح إذا أديناها ونحزن إذا تركناها لغيرها؟!

يسيطر هذا الشعور على كثير منا؛ لأن مفهوم العبادة مقصور لدينا على الفرائض والذكر، في حين أن العبادة في الإسلام أوسع وأشمل بكثير من ذلك الحصر فهي تشمل كل حياتنا، كل حركاتنا وسكناتنا، بما في ذلك الصلاة وبقية النُّسك، يقول - عز وجل - في كتابه العزيز: } قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (162) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163){ [الأنعام: 162، 163]، فقد أمرنا - سبحانه وتعالى - بذلك، لا بالصلاة وحدها ولا بالنسك فحسب، بل جعل حياتنا ومماتنا كذلك لله، فنحن في عبادة منذ جئنا إلى هذه الدنيا حتى نموت؛ وبالتالي فإن كل عمل نقوم به يدخل تحت مظلة العبودية لله - عز وجل - ما لم يكن إثمًا.

ومما يؤكد ذلك أن الله - عز وجل - قال: } وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ { [الذاريات: 56]، فجميع المباحات إذن عبادة، إذا استشعرنا ذلك المعنى للعبودية،

وإذا جعلنا رضا الله - سبحانه وتعالى - نصب أعيننا، وإذا رأينا الله - عز وجل - في كل شيء؛ فإذا جلست مع الأهل رأيت أن ذلك مرضاة لله - سبحانه وتعالى - لأن للأهل عليّ حقًّا فأنا راعيهم.

وقد قال النبي ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها» .

فمجرد الجلوس معهم وتفقد حالهم والسماع منهم عبادة له - سبحانه وتعالى - مع أن هذا العمل لا صلاة فيه ولا صوم بل ربما لم نقل فيه سبحان الله مرة واحدة، لكنه يرضي الله - عز وجل - فحيثما أرضيت الله فأنت في عبادة.

من هذا المنطلق فإن العمل عبادة لله - عز وجل - بل من أجل العبادات ثوابًا، والساعات التي نقضيها فيه ساعات طاعة لله - سبحانه وتعالى - وكذلك الراحة في البيت والنوم لثماني ساعات مثلًا، ولعب الرياضة صباحًا أو مساءً، وتنظيف الملابس وكيُّها، وتنسيق البيت وتجميله، ومشاهدة البرامج الهادفة التي لا إثم فيها، وقضاء الأوقات مع الأصحاب والأصدقاء في النادي أو

في المنزل؛ فهذه كلها أمور مباحة وأغلبها يعين على عبادات أخرى ما دمنا نتجنب الشبه والمحرمات، وبالتالي فإننا في عبادة طوال اليوم لا في أوقات الصلاة والذكر فحسب.

الملائكة عباد من نور يعبدون الله - عز وجل - مسيَّرين لا مخيَّرين، لا يسأمون ولا يملون العبادة، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [فصلت: 38].

ويقول رسول الله ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدر أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجدًا لله»(1).

ومعنى «أطت السماء» أي صارت بلا صوت نظرًا للثقل والزحام فهناك ملائكة يسبحون، وملائكة قائمون وراكعون وساجدون؛ فهذه صورة من صور العبادة وهناك صورة أخرى تظهر عند الملائكة المكلفين بأعمال غير التسبيح والركوع والسجود، كملك الجبال وملك السحاب وملك الموت ونافخ الصور فهذه أعمال عبادة، فلو افترضنا أن العبادة هي الصلاة والذكر فحسب فإننا قد

أخرجنا هؤلاء الملائكة من دائرة العبادة، مع أنهم عباد لله - عز وجل - مسيرون لا مخيرون.

إن النبي ﷺ أعْبَدُ خلق الله لله - عز وجل -.

يقول ﷺ: «أمَا والله إني لَأَخشَاكُمْ لِلّهِ وَأتقَاكُمْ له»(1).

بل إن كل أفعاله وأقواله ﷺ بوحي من الله - عز وجل - يقول اللّه - سبحانه وتعالى -: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5)} [النجم: 3-5]، فكل ما ينطق به النبي ﷺ بوحي أُوحِيَ إليه من الله - عز وجل - وعلمه إياه ملك شديد القوى وهو جبريل ¬ فإذا نظرنا في حياته ﷺ وجدنا مفهوم العبادة عنده مفهومًا شموليًا لا يقتصر على الفرائض والأذكار فحسب. ونسوق فيما يلي مواقف من حياته ﷺ تؤكد ذلك.

روي أن ثلاثة من الصحابة ذهبوا إلى السيدة عائشة ليسألوا عن عبادة النبي ﷺ، فأخبرتهم بها فكأنهم تقالُّوها، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل ولا أرقد، وقال الآخر: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأما أنا فأعتزل النساء فلا أتزوج، فأخبرت رسول الله ﷺبأمرهم، فخرج ﷺ إلى الناس فقال: «أنتم الذين قلتم

كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(2)

فكأن النبي ﷺ يقول: من قصر مفهوم العبادة على الصلاة والصوم وهجَر الدنيا وما فيها من العمل والسعي وكذلك المباحات فليس مني، فهو بذلك يؤكد أن دين الإسلام دين حياة، وأن المسلم حياته تدين وعبادة.

ذهب سيدنا جابر بن عبد الله ؓ إلى رسول الله ﷺ وأخبره أن عليه ديونًا قد استُحقت، وأن أصحابها لا يقبلون منه التأجيل، وطلب منه أن يذهب معه إليهم فقام معه إليهم، وعرض عليهم أن يؤجلوا موعد قضاء الدَّيْن حتى ينضج تمر جابر ، فلم يرضوا لأن النبي ﷺ كان يستأذنهم في حقوقهم ولم يأمرهم، ولو أمرهم لأطاعوه، لكنه ﷺ يعلم أنه حقهم فلم يأمرهم، فلما طلبوا حقهم عاجلًا أمر النبي ﷺ جابرًا أن يأتيه بالتمر ويغطيه فجمعه له ثم غطاه فبدأ النبي ﷺ يذكر الله عليه وأخذ يمسح عليه بيده الشريفة فنضج التمر وأعطى أصحاب الدين حقوقهم: يقول جابر : فرفعت الغطاء عن التمر فإذا هو لم ينقص ببركة النبي ﷺ.

لك أن تتصور الوقت الذي استغرقه هذا الأمر من النبي ﷺ، منذ أن ذهب إليه جابر وشرح له المسألة، وعرفه الديَّانة، وذهب معه إليهم وانتظر الغائب منهم حتى يحضر، وكلَّم كل واحد فيهم عسى أن يرضى أحدهم بالتأجيل ثم ما استغرقه جمع التمر من وقت، والذكر والمسح عليه، ثم تقسيم التمر حسب حق كل دائن حتى وفاهم حقوقهم، وقت طويل جدًّا، فكم من الركعات وكم من الذكر والاستغفار قد فاته ﷺ، إنه يقول ﷺ: «فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة» فكم فاته بسبب حل مشكلة جابر ؟ لم يفته شيء!! لأنه كان في عبادة

فهو القائل ﷺ: «من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين»(2).

فهو يؤكد أن العبادة أوسع من مجرد الفرائض والأذكار لا ما شاع بيننا أنها وحدها هي العبادة.

روي أن النبي ﷺ كان يصلي الفجر ثم يقول أذكار الصباح، ثم يجلس إلى أصحابه يسألهم عن أحوالهم ويطلب إليهم أن يحدثوه عن أمور الجاهلية وكيف كانت حياتهم، فيحدثونه ويمزحون معه ويمزح معهم، ويروون له الأشعار، وكان يسمعهم ويبتسم لمزاحهم ﷺ.

هل تتصور أن هذا وقت مُضيَّع منه ﷺ؟، قطعًا لا، حاشاه أن يضيع وقتًا أو لحظة من عمره الشريف، فهو أكثر الناس عبادة لله - عز وجل - وأخشاهم وأتقاهم له، ويعرف قيمة الوقت ويقدر فائدته، فلا يمكن أن يذهب وقته هباءً بحالٍ من الأحوال، فهذا وقت أصحابه يجالسهم ويطمئن عليهم ويسامرهم، ولا شيء في المزاح ما دام خاليًا من الكذب والغيبة وما كان على شاكلتهما.

يقول النبي ﷺ: «إني لأمزح، ولا أقول إلا حقًّا»(1)

وهكذا أصحابه معه ﷺ لا يقولون إلا صدقًا خاصة في مجلسه ﷺ فكأنه يعلمنا أن المزاح الخالي من الكذب عبادة، في حين يظن كثير منا أن الجدية المفرطة سمة من سمات المسلم ولا مكان للمزاح مع أنه يمكن أن يكون عبادة من منظور فعل المباح كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

إن النبي الخاتم ﷺ منوط به تلقي الوحي من السماء وتعليم الصحابة، ومقابلة الوفود من كل البقاع، وإبرام المعاهدات، وتجهيز الجيوش والتخطيط للمعارك، ووضع أساس للدولة الإسلامية الوليدة في ذلك الحين بين قوتي الفرس والروم، واليهود في المدينة والمشركين في مكة، ورغم كل ذلك كان يساعد أهل بيته في عمل البيت.

تقول السيدة عائشة: «كان رسول اللّٰه ﷺ في مهنة أهله» بل قالت: «كان رسول اللّٰه ﷺ يرقع ثوبه ويخصف نعله»(2).

فكأنه يقرر ﷺ أن معاونة الأهل على قدر من الأهمية مثل كل مهامه العظيمة، فتلك عبادة للّه - عز وجل - فقد قال رسول اللّٰه ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»

وبَجحنِي فبَجَحت إليّ نفسي، وَجَدَني في أهلِ غنيمة بشقٍّ فجعلني في أهل صهيل وأطِيط ودَائِسٍ ومُنقٍ، فعنده أقول فلا أُقبَّحْ، وأرقُدُ فأتصَبَّح، وأشرب فأتَقَنَّحْ، أم أبي زرع فما أم أبي زرع؟ عُكُومُها رَدَاحٌ وبيتها فسَاح. ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمِسَلّ شَطْبَةٍ، ويُشْبِعُهُ ذراع الجَفْرة. بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغَيظُ جارتها. جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع؟ لا تَبُثُّ حديثنا تَبْثِيثًا، ولا تنْقُثُ ميرتنا تنقيثًا، ولا تملأ بيتنا تعشيشًا، قالت خرج أبو زرع والأوطاب تَمْخَضُ فلقيَ امرأة معها ولدانٍ لها كالفَهْدين يلعبان من تحت خِصرها برُمانتين، فطلّقني ونكَحها، فَنَكَحْتُ بعده رجلًا سَرِيًا، ركب شَرِيًّا، وأخذ خَطِيًّا، وأراح عليَّ نِعَمَ ثُرَيّا، وأعطاني من كل رائحة

زوجًا وقال كلي أم زرع ومِيري أهْلَكِ، قالت فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغرَ آنية أبي زرع! قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «كنت لكِ كأبي زرعٍ لأمِّ زرعٍ»(1). قصة طويلة، بألفاظ غريبة، وأشعر بك قد استصعبت ألفاظها وطولها ولا شأن للنبي ﷺ ودعوته بها فيما يبدو لكثير منا، ولا شك أن النبي ﷺ في هذا الوقت كان بإمكانه أن يصلي ما شاء الله أن يصلي، ويستغفر ويدعو ويذكر ربه، لكنه سمع من زوجته ما تريد أن تقصَّه عليه، بما فيه من أخلاق سيئة لبعض الأزواج وما فيه من مدح لبعضهم الآخر كأبي زرع فاختار ﷺ أحسن زوج في الأزواج، فقال لعائشة: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع» ولم يقل لها مثلًا: ضيعت وقتًا طويلًا كان بإمكاننا أن نذكر الله فيه وأن نسأله الخير لنا وللأمة جميعًا. ولم يقل لها: إنني مُتْعَبٌ بعد يوم طويل من الدعوة إلى الله - عز وجل -. ولم يقل لها: شغلت نفسك بسماع قصة إحدى عشرة امرأة وكان أولى بك وأنت أم المؤمنين أن تنشغلي بما هو أفضل عند الله من ذلك. فقد قرر ﷺ أن استماع عائشة ؓ لضيفاتها باهتمام وتركيز - لدرجة أنها تعيد القصة بتفاصيلها - أمر يدخل في العبادة؛ لأنها ألفت قلوبهن وأزالت الحاجز النفسي بينهن وبين زوجة الرسول الخاتم

قائد المسلمين، بكرم بيت النبوة، كما قرر ﷺ أن استماعه عائشة والصبر عليها حتى تنتهي مما تحكي - أمر يدخل في العبادة، فوقتها لم

يضع، وكذلك وقته ﷺ، فلنتعلم منه هذا السلوك مع زوجاته ولا ننصرف عن حديثهن إلينا؛ لأن ذلك عبادة نؤجر عليها ما دمنا نجعلها للّه - عز وجل -.

تزخر كتب السيرة والحديث بمواقفه ﷺ مع الأطفال ومعاملته إياهم، رغم أنهم أطفال لم يكلفوا بعد، فلا عبادة عليهم ولا جهاد ولا ذنوب يستغفرون منها أو يُصرون عليها، لكنه ﷺ كان يراعي خاطرهم ويحسن إليهم وينزل إلى مستوى تفكيرهم واهتماماتهم من لعب ونحوه.

فمن ذلك ما يروى عن الطفل عُمير، والذي كان له عصفور صغير يسمى النغير، فقد كان يمر به وهو يلعب فكان يداعبه ويقول: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟»(1) بل من رحمته ﷺ أن جارية صغيرة جاءت إليه وطلبت منه أن يمشي معها في دروب المدينة ففعل ﷺ ولم ينزع يده من يدها حتى كفَّت عن المشي.

لا شك أن النبي ﷺ بحاجة إلى كل لحظة من وقته ليضعها في مكانها السليم ويوظفها فيما يصلح الأمة، من عبادة الله - عز وجل - وأداء للأمانة التي تحملها وهي التبليغ والنصح لأمة الإسلام، ومعنى أن يبذل هذا الوقت مع الأطفال أنه يعلمنا أن هذا عمل يؤجر عليه من الله - سبحانه وتعالى - بل يعني أنه حث منه ﷺ لكل من آمن بالله واليوم الآخر واهتم بالعمل الصالح أن يكرم الأطفال ويحسن إليهم، لأن ذلك عبادة لله - عز وجل -.

ذكر أن السيدة عائشة أحبت ذات مرة أن تشاهد الأحباش وهم يلعبون بالعصا (التحطيب) فاستأذنت النبي ﷺ أن تشاهدهم فأذن لها، وشاهد معها، وكان يقول لها: «اكتفيت؟» فتبدي رغبتها في مزيد من المشاهدة، فينتظرها حتى تكتفي، ويدخلان معًا.

إنه هو النبي المجتهد في العبادة حتى تتورم قدماه، بل حتى قالت له السيدة عائشة ذات مرة: «هون عليك يا رسول الله، ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال لها: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!» وهو النبي الذي يشاهد الأحباش نزولًا منه على رغبة زوجته في الترفيه بمشاهدة هؤلاء اللاعبين بالعصا، فتلك عبادة كما أن صلاته عبادة، وذلك حق زوجته ووقتها، كما أن الصلاة

حق ربه ووقته، بل إن حق الزوجة ووقتها من حق اللّٰه ووقته ما دام ابتغاء مرضاة اللّٰه - عز وجل - ففي ذلك عبادة له - سبحانه وتعالى -.

يقول سيدنا مالك بن الحويرث : جئنا من بلادنا نتعلم الإسلام من النبي ﷺ فمكثنا عنده عشرين ليلة، فلما رأى اشتياقنا إلى أهلينا (يعني زوجاتنا) قال: «ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم - وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها - وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم».

لقد أمرهم النبي ﷺ بالعودة إلى أهلهم - والأهل هنا يعني الزوجة - رغم أنهم في طلب دينهم، ولكن هذا وقت الزوجة قد حان، فهو وجه من وجوه العبادة، ينبغي أن يراعى كما يُراعى طلب العلم، فالرسول ﷺ أعلم الخلق بدين اللّٰه - عز وجل - لأن اللّٰه - سبحانه وتعالى - قال: } ی ی ي ي ئج{ [هود: 16]، ومن إعمار الأرض رعاية الأهل والولد والزرع وغير ذلك مما يتطلب وجودنا في أهلنا، ففي ذلك الأجر من عند اللّٰه - سبحانه وتعالى -.

صحابة رسول اللّٰه ﷺ أخذوا الدين عنه وعرفوا مفهوم العبادة الصحيح فوظفوا دنياهم لآخرتهم ولم ينهمكوا في جانب واحد على حساب بقية الجوانب رغم أن

عليهم عبء فهم الدين وحمله وتوصيله إلى من بعدهم. وفيما يلي أمثلة لذلك.

يقول سيدنا عمر بن الخطاب، : «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يومًا وأنزل يومًا»(1).

معنى كلام عمر بن الخطاب أن نصف حياته مر بعيدًا عن رؤية النبي ﷺ وتلقي العلم عنه؛ لأنه كان يرعى بستانًا شارك فيه أحد الأنصار، فكان إذا عاد الأنصاري سأله: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فيعرف منه، ثم يذهب هو إلى النبي ﷺ في اليوم التالي، بينما صاحبه يراعي البستان، فالعمل مهم كما أن طلب العلم مهم؛ لأن في العمل عمارة الأرض، وحركة الحياة، فهو عبادة للَّه - عز وجل -.

يقول سيدنا على بن أبي طالب، : «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»(1).

يلفتنا، إلى بُعد جميل جدًّا، ألا وهو أن العبادة في النوم كما هي في اليقظة، فهو ينام ويحتسب نومه للَّه - عز وجل - لأن فيه تقوية له، وراحة بعد طول تعب، فكما أنه

يحتسب عمله وطاعته لله في حال اليقظة؛ لأن في ذلك العمل طاعة لله سبحانه، إذن فإن تعاملنا مع النوم يجب أن يكون من هذا المنظور فلا نحزن لنومنا ساعات نستريح فيها، لأن الدين دعانا إلى ذلك، فنحن منهيون عن الصلاة بغير تركيز، يقول - عز وجل -: }يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ { [النساء: 43]، فالنوم يساعد على الانتباه في الصلاة. فمن كان يغلبه النعاس لدرجة أنه لا يعلم ما يقوله، فإن عليه أن ينام حتى يفيق ثم يصلي، تمامًا كما أن السكران لا يقرب الصلاة حتى يفيق. ويقول رسول الله ﷺ: «ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد»(1).

فالنوم إذن عبادة لله - عز وجل - إذا قصدنا به وجهه - سبحانه وتعالى - فالاستعانة بالنوم على الطاعة في اليقظة أحد المفاهيم الراقية في الدين الإسلامي الشامل كل ألوان الحياة، حتى النوم. آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كل. قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم،

قال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال: سلمان قم الآن. فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا.

فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان». فكأن سيدنا سلمان يلفت سيدنا أبا الدرداء إلى أن هناك أمورًا كثيرة ننظر إليها على أنها ليست من العبادة، وهي من العبادة، بل ترقى إلى درجة «الحق» لأنه استخدم هذا اللفظ، وصدَّق عليه رسول الله ﷺ فأكد هذا المعنى الذي نبه إليه سلمان الفارسي أبا الدرداء،جميعًا.

لقد امتد هذا المفهوم المتميز للعبادة إلى عصر التابعين، فقد تربوا على أيدي الصحابة، وترسخ هذا المفهوم في وجدانهم فصاروا ينطلقون منه في معاملاتهم وفي حكمهم على الأمور، وفيما يلي تمثيل لذلك.

قيل لأحمدَ بنِ حنبل: إن فلانًا عابد زاهد، قوَّام صوَّام، لا ينام إلا قليلًا ولا يأكل إلا قليلًا. فقال لهم: «لبُكاء صبيٍّ عند قدمه يريد خبزًا خير له من ذلك». فأحمد ابن حنبل، رحمه الله، يلفت أمثال ذلك الرجل إلى أن الحياة ليست قيامًا وصيامًا فحسب، بل هناك جوانب كثيرة يمكن أن نتعبد بها لله - عز وجل - من ذلك التزوج وإنجاب الأولاد،

والقيام على شئونهم وشئون البيت كما كان يفعل رسول الله ﷺ والصحابة، رضوان الله عليهم.

هذه بشرى للطائعين الله - عز وجل - بترك المعاصي والآثار، فتلك عبادة من غير فعل فإن الله - سبحانه وتعالى - مدح عباده بأنهم يفعلون الطاعات ولا يفعلون السيئات،يقول الله - عز وجل -: } وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66){ [الفرقان: 36-66].

فقد وصف الله - سبحانه وتعالى - عباد الرحمن في الآيات السابقة بأنهم يفعلون أفعالًا طيبة كالمشي على الأرض في تواضع وسكينة، وقولهم سلامًا لمن يجهل عليهم، وبياتهم سجدًا وقيامًا، ودعوتهم رب العالمين أن يصرف عنهم العذاب ثم قال فيما تلا هذه الآيات:

} وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69)} [الفرقان: 67-69]، فقد وصفهم - عز وجل - في هذه الآيات بأنهم لا يفعلون المعاصي والسيئات، فهم لا يسرفون في الإنفاق، ولا يقتلون، ولا يزنون، فتاركو هذه الآثام عباد للرحمن - عز وجل - ترى بأي شيء عبدوا؟ إنهم عبدوا بالترك، ثم يصفهم - عز وجل - بأنهم يعملون طاعاتٍ، يقول - سبحانه وتعالى -: } إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا { [الفرقان: 70]، فهم يتوبون، ويؤمنون ويعملون صالحًا، فقد أشار الله - سبحانه وتعالى - إلى العبادة بالترك بين مجموعتين من العبادة بالفعل، فهي في سياق عبادات، وهو ما يؤكد على أن ترك المعاصي عبادة وتلك بشرى لنا جميعًا، فأنت اليوم صليت وذكرت، ولم تسرف في الإنفاق، فأنت عبدت اللّٰه - عز وجل - بنوعين من العبادة، عبادة الطاعات وأخرى بترك المعاصي والسيئات.

فكان الفعل عبادة لأنه يحتاج إلى الصبر على الطاعة وتحمل مشقتها، وكذلك الترك كان عبادة لأنه يحتاج إلى الصبر عن المعاصي وتحمل البعد عنها، رغم أن النفس جُبلت على حب الشهوات، يقول - عز وجل -: } زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ [آل عمران: 14]

فمخالفة النفس التي زُين لها حب تلك الشهوات يحتاج إلى صبر على الترك، وبهذا يُؤتى التاركون جزاءهم، لأنهم صبروا، فإن الله - عز وجل - يقول: {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10]، جعلنا الله وإياكم من الصابرين على الطاعة وعن المعصية، والذاكرين الله - سبحانه وتعالى - كثيرًا والقائمين بشئون دنياهم على أكمل وجه ابتغاء مرضاة الله - عز وجل - القائل في كتابه: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)} [الأنعام: 162-163]، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

خدعوك فقالوا... الحجاب ليس فرضًا!

لقد أمرنا الله - عز وجل - بأوامر فيها كل الخير، ونهانا عن أمور فيها شر لنا، والعقل يقتضي أن نلتزم ما فيه خيرنا وصلاحنا وأن ندع ما فيه عنتنا وهلاكنا، وأن نعالج ما في تصرفاتنا من سلبيات تظهر في حياتنا اليومية وتضعف عزائمنا وتباعد بيننا وبين اللَّه - سبحانه وتعالى - فضلًا عن أن الدين يأمرنا بأن نحولها إلى إيجابيات.

إن أغلب ما نقع فيه من المعاصي إنما هو بسبب نسيان الإنسان عهده مع ربه وشهادته على نفسه بأنه عبد لله - عز وجل - لا يفعل إلا ما يرضيه سبحانه، وقد قال عز وجل: } وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ{ [الأعراف: 172].

والنسيان أمر قديم، فآدم أول من نسي، قال تعالى: } وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا [طه: 115]، فقد نسي آدم عليه السلام وأكل من الشجرة، مجرد نسيان لا عمد فيه، فقد رغب إبليس آدم عليه السلام بأن خلوده فى الجنة مرهون بأن يأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، وأمام رغبته في تحقيق الخلود نسي أمر الله - عز وجل - وتذكر الرغبة في الخلود فحسب .

وسبب النسيان أننا لا ندقق في تصرفاتنا، ولو فعلنا لكان الدين محور حياتنا، وهذا ما يريده الله - عز وجل - منا ليكون الدين بحق منهجًا نحيا به .

إن الله - عز وجل - يحبنا، فهو يدعونا إلى لقائه خمس مرات في اليوم والليلة «حي على الصلاة ... حي على

الفلاح» ويقسم الصلاة بيننا وبينه، إعلاءً لقدرنا.

فقد ورد في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى علي عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين.قال: مجدني عبدي - وقال مرة فوض إلي عبدي - فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

فهذه الكرامة، وذلك التقدير لمجرد أننا لبينا نداء الله - عز وجل - ووقفنا بين يديه كما أراد، فكيف بنا إذا التزمنا بكل أوامره، عز وعلا؟ !

إن الأمر بالحجاب صادر ممن أمر بالصلاة، وإن الطاعة واجبة في الأمرين جميعًا، وفيها تعظيم لله - سبحانه وتعالى - واتباع لرسوله ﷺ ومحبة لله ولرسوله تسعدنا في الدنيا والآخرة، وتنجينا من الخطر العظيم.

يظن كثير من الناس أن الحجاب عادة وليس فرضًا، وهذا مفهوم خطأ، فقد فرض الله - عز وجل - الحجاب بقوله سبحانه: } يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا{ [الأحزاب: 59]

وهناك أيضًا أحاديث كثيرة تدل على فرضية الحجاب، كما في الصحيحين من حديث عائشة.

كما ورد أن النبي ﷺ كان يصلي الفجر فيتبعه النساء المؤمنات متلفعات بمروطهن، يرتدين الحجاب.

قالت: «يرحم الله نساء الأنصار، عندما نزلت آية الحجاب قُمْن إلى مروطهن فشققنها وارتدين الحجاب».

أجمع العلماء على فرضية الحجاب، ولكنهم اختلفوا في فرضية النقاب.

إن مسألة الحجاب مسألة لا ترجع إلى اختلاف الثقافات والعادات والتقاليد؛ فمثل هذه الأمور تتفاوت من مجتمع لآخر وعندما نختلف في فرضية الحجاب إنما يكون الحكم لله سبحانه وتعالى: } إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى

الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54].

فأما دليل الكتاب: فقول الله تعالى: } يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الأحزاب: 95].

والمناسبة التي نزلت فيها هذه الآية هي أن النساء كن يُظهِرن شعورهن وأعناقهن وشيئًا من صدورهن فَنهاهُنَّ اللَّه - عز وجل - عن ذلك، وأمرهن بإدناء الجلابيب على تلك المواضع التي يكشِفْنَها؛ وأكد على شمول الحكم فيها لكل أفراد النساء بقوله تعالى: { {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ...} (النور: 31).

أما دليل السنة فالرسول ﷺ أكد على فرضية الحجاب فقال: «يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتْ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلا هَذَا وَهَذَا» – وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ

وهذا الحديث دليل واضح وصريح على فرضية الحجاب وطريقة ارتدائه.

أبشري أيتها الأخت الكريمة، فإنك متى التزمت بالحجاب الذي فرضه الله - عز وجل - كنت من الطائعات له - سبحانه وتعالى - الملتزمات بأمره، وكنت في ميزان حسنات زوجك أو ولي أمرك إذا كانوا من الناصحين لك بارتدائه، ويكفيكِ أن تتسمي في الدنيا والآخرة بالصلاح ؛ فالمرأة الصالحة قد امتدحها الله - عز وجل - ورسوله ﷺ.

فقد قال العلماء: إنها المقصودة بحسنة الدنيا.

في قوله تعالى: } وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ { [البقرة: 201]، أما حسنة الآخرة فهي الجنة، وهي للمتقين من عباد الله، والملتزمين بأوامره، والحجاب أمر من تلك الأوامر وهو بلا شك موصل إلى الجنة، أما امتداحه ﷺ المرأة الصالحة، ففي قوله:

«الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»(1).

لولا أن الله - عز وجل - أعزك أيتها الأخت المسلمة ما أمرك بالحجاب، فأنتِ غالية عنده، يريد الله ليحفظك كما

نحفظ كل نفيس وغالٍ لدينا، فالله - عز وجل - يريد تكريمك، ودفع الأذى عنكِ؛ لذا قال - سبحانه - في آية الحجاب: } يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: 59].

إن اللَّه - عز وجل - هو الحكيم الذي يعلم ما قد تتعرض له المرأة وما ينجم عن خروجها مظهرة لمحاسنها أو كاشفة لأجزاء من جسدها، لذا وضع العلاج الصحيح، فلم تتركه المرأة وتبتغي ما عند من لا حكمة له ولا علم بل يريد أن يذهب بما أودعه الله في كيان المرأة من طهر ورقة وعفاف ولطف وطاعة لله وعطف يساعدها على تربية النشء الصالح؟ فإن اللّه - عز وجل - الذي أنشأها على هذا النحو هو الذي أمرها بالحجاب ، وهو أعلم بها فقد قال في كتابه العزيز : } أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ { [الملك: 14].

ويجب أن تدركي يا أختي الكريمة أن رسول الله ﷺ قال في فرض الحجاب : عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَاخْتَبَأَتْ مَوْلَاةٌ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ:

«حَاضَتْ؟» فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَشَقَّ لَهَا مِنْ عِمَامَتِهِ، فَقَالَ «اخْتَمِرِي بِهَذَا»..

وقد بلغ من أهمية حجاب المسلمة أن ارتبط في الشريعة ارتباطًا وثيقًا بالصلاة؛ بحيث إنها لا تقبل بدونه، أي إنه فرض ديني إسلامي وليس رمزًا طائفيًا.

فأخرج الخمسة إلا النسائي من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ حَائِضٍ -من بلغت سن المحيض- إِلاَّ بِخِمَارٍ».

وضع الإسلام بعض التدابير الوقائية لحفظ المرأة والرجل مما قد ينزغ به الشيطان بينهما، فأمرهما بعدة أوامر، منها:

يقول تعالى: } قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ

نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)} [النور: 30-31].

لقد نهى الله - عز وجل - المرأة أن تخضع بالقول، فقال - سبحانه وتعالى -: } يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا{ [الأحزاب: 32] والخضوع بالقول هو ترقيق الصوت بصورة مثيرة.

إنكِ أيتها الأخت الكريمة إذا أطعت أمر الله - عز وجل - كنت مستسلمة له كما استسلم الأنبياء المكرمون، فهذا نبي الله إبراهيم، ، قد امتثل لأمر الله - عز وجل - في أمرٍ عظيم وشاق على النفس؛ فقد أمره الله - عز وجل - عن طريق الرؤيا المنامية ورؤيا الأنبياء حق أن يذبح ولده وفلذة كبده الذي رزق به بعد أن تجاوز عمره الثمانين، فأطاعه وكلم ابنه في كيفية التنفيذ وماذا يرى لتتم هذه العملية على نحو يرضي الله - سبحانه وتعالى - فانصاع ولده – وهو نبي الله إسماعيل عليه السلام - لأمر الله - عز وجل - وقد سجل القرآن الكريم ذلك مبينًا

أن إبراهيم ﷺ قد سأل الله - عز وجل - أن يرزقه من الصالحين، فرزقه إسماعيل ثم أمره بذبحه، يقول تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105)﴾ [الصافات: 100-105].

فإنكِ متى أطعت أمر الله - عز وجل - كنتِ من المستسلمين له، وبهذا كنتِ أهلًا للإحسان فيصطفيكِ سبحانه ويجعلك من عباده المحسنين الذين يجزيهم خير الجزاء.

ينبغي أولًا أن تعزم المرأة عزمًا أكيدًا على ارتداء الحجاب اليوم قبل الغد، وألا تنتظر حتى تشتري ثيابًا للحجاب أو حتى تستعد لشراء ذلك؛ فعليها أن تنوي ارتداء الزي الذي يُرضي الله - عز وجل - وهي مقتنعة راضية، وأن تدعو الله أن يثبتها على الحجاب مدى حياتها, وألا تيئس من رحمة الله.

فلتبادري ولتسارعي أيتها المؤمنة إلى الحجاب، ولو كنت في الخمسين من عمرك، فسوف يبدل الله سيئاتك حسنات، فإنه القائل عز وجل: } إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا{ [الفرقان: 70].

وقد تخشى المرأة المسلمة ارتداء الحجاب ثم لا تثبت عليه فتخلعه فتخشى أن تكون مذنبة ومثلًا سيئًا للمرأة المسلمة، ولو أنها تيقنت أن هذه المخاوف ليست سوى وساوس شيطانية لتغلبت عليها ولم تستسلم لها، بل إنها ستمضي قدمًا نحو هذه الطاعة وهذه العبادة، فما عليها إلا أن تأخذ خطوة صادقة بإصرار وعزيمة نحو الحجاب، عملًا بقوله تعالى: } فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ { [آل عمران: 159].

فلتستعن بالله وتسأله التثبيت حتى يعينها ويوفقها إلى ما فيه طاعته ورضاه - عز وجل - فإنه يقبل التائبين من عباده ولو بعد زمن طويل، وكلنا يعرف قصة عابد بنى إسرائيل الذي عبد الله عشرين عامًا، وعصاه عشرين عامًا، فلما رأى في المرآة رأسه وقد علاه الشيب ناجى نفسه:

لو أردت الرجوع إلى الله فهل يقبلني الله؟! ونام هذا العابد فرأى رؤيا وسمع صوتًا يقول له: «أطعتنا فقربناك، وعصيتنا فأمهلناك ولو رجعت إلينا لقبلناك». نعم، إنه القائل - عز وجل - في كتابه الكريم: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[التوبة: 118].

إن الشيطان يمني المرأة بطول العمر ودوام الأجل، فتؤجل ارتداء الحجاب يومًا بعد يوم وسنة بعد أخرى، حتى يمضي العمرُ بها وتتقدم السن؛ ولذلك يجب عليها أن تستجيب لنداء الله فورًا، وأن تلبي دعوته عندما قال سُبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: 24].

وقد يكون من أسباب عدم ارتداء الحجاب. خوف بعض الفتيات من عدم الزواج إذا هي تحجبت! هذا الخوف يتعارض تمامًا مع الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - لأنه القائل: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا

الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3)} [الطلاق: 2، 3].

فلا بد من الثقة في وعد الله والاطمئنان إليه، وأن الله لن يتخلى أبدًا عن عباده المؤمنين، ولتعلمي أنه كما هناك من يبحث عن غير المحجبة هناك من يبحث عن المحجبة، وسبحان الله القائل في كتابه: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54].

ومن التحديات الكبيرة عدم موافقة بعض الأزواج على الحجاب! وقد يكون هذا نتيجة جهل بالدين، ولا بد من إقناع الزوج بأن الحجاب طاعة وقربى إلى الله - عز وجل - ورسوله ﷺ وصون للمرأة، فإن لم يستجب فعليها أن تذكره بأنه أمين عليها مأمور بتقوى الله فيها.

الحجاب عزة لك أيتها المسلمة، وهدية من رب العالمين، وهدي أمهات المؤمنين، فلتحرصي على هديهن

ولتتشبهي بهن؛ لتكوني معهن في جنات عدن عند ربٍّ كريم بجوار سيد المرسلين ﷺ.

* * *

خدعوك فقالوا...أنت أضعف من مواجهة الفتن

يرى كثير منا أن سبب البعد عن الله - عز وجل - هو كثرة الفتن وكثرة تكرار المفهوم الخاطئ بشكل مستمر أن الانسان أضعف من مواجهة الفتن.. فمتى تحدثت مع أحد عن حال الناس والشباب خاصة، تراه يرجع الأمر إلى كثرة الفتن المحيطة بالأمة، صحيح أن كثرة الفتن سبب من الأسباب، لكن ليست السبب الوحيد بل ليست السبب

الأول؛ ذلك أن هناك عبادًا مخلصين للَّه - عز وجل - يطيعونه رغم ما يحيط بهم من فتن كقطع الليل المظلم، فمسلمات أوربا مثلًا يتمسكن بحجابهن رغم أنهن في أكثر البلاد إباحية، ناهيك عن فتنة محاربة الحجاب التي عمت وطمت في هذه البلاد، مع أن مسلمات بلادنا لا يتمسكن بحجابهن لهذه الدرجة، بل منهن من لا يقتنعن بمسألة الحجاب من الأساس، فلو كان السبب في البعد عن الله كثرة الفتن لانْعَكَس الوضع، ولتفلَّتت مسلمات أوربا ومسلموها من أحكام الشريعة الإسلامية.

لكن السبب الأول والأهم هو قلة معرفتنا بالله - عز وجل - إننا لا نعرف ربنا حق المعرفة، لا نعرف كيف يعطي ولا كيف يمنع، لا نفهم مراده سبحانه، فكأنما نمشي في طريق مظلم، لا نعرف معالمه ولا نحسن المشي فيه.

ومن أهم ما ينبغي أن نعرفه عن اللَّه - سبحانه وتعالى - طريقة معاملته لنا، فإنه - سبحانه وتعالى - هو العدل ذو الفضل والإحسان:

- يعامل عباده بالعدل: أي يعطيهم على قدر ما عملون دون نقص.

- يعاملهم بالفضل: أي يعطيهم فوق ما يستحقون.

- يعاملهم بالإحسان: أي يعطيهم دون أن يقدموا شيئًا وهو الغني عنهم.

ومعنى هذا أنه يعامل عباده بالعدل، وهو أن يعطيهم على قدر ما عملوا دون نقص، ويعاملهم بالفضل أي يعطيهم فوق ما يستحقون، ويعاملهم بالإحسان، فهو - سبحانه وتعالى - يعطيهم دون أن يقدموا شيئًا، وهو غني عنهم، وتلك الصور الثلاث يعامل الله - عز وجل - بها مَن لم يؤمن به، فهو عدل معهم، ومتفضل عليهم بنعمه الكثيرة، بل إنه محسن إليهم؛ فهم في ملكه رغم كفرهم به، فلا شك أنه يتعامل مع المسلمين بذلك كله وزيادة، أي بصفة الحياء، فالله - عز وجل - حييٌّ مع المؤمنين به، وثمة صور كثيرة لتلك الصفة في تعامله معنا - سبحانه وتعالى - وفيما يلي بعضها.

لقد خلق الله - سبحانه وتعالى - خلقه وأراد لهم النفع وحرص على صالحهم، فأمرهم بمراده - عز وجل - منهم، وكان له، سبحانه، وهو الرب الخالق والرازق أن يأمر بكلمة واحدة؛ «افعلوا» وليس بمقدور عباده أن يعصوا، ومن يعص يحاسب، لكنه - عز وجل - يأمرنا بحياء يليق به - سبحانه وتعالى - وعلى الرغم من أن الخلق خلقه والأمر أمره، إذ يقول - عز وجل -: { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54] ونحن لا نعجزه فخلقنا جميعًا كخلق نفس واحدة بالنسبة إليه، وموتنا كذلك وبعثنا، يقول - عز وجل -: } مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ { [لقمان: 28]، ويقول - سبحانه وتعالى -: } وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ { [الشورى: 29] - فإنه يعاملنا بحياء حنانًا منه علينا، كما قال - سبحانه وتعالى -: } وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا} [مريم: 13] فكان يأمرنا برفق وكأنه يستحيي منا، ومثال ذلك أمره بالحجاب، وبالإنفاق.

من مظاهر حيائه عز وجل عندما يأمر عباده:

أولًا: الأمر بالحجاب.

ثانيًا: الأمر بالإنفاق.

يقول - سبحانه وتعالى - آمرًا بالحجاب: } يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ

جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الأحزاب: 59].

لكأنه يقول - سبحانه وتعالى - لعباده: مروا النساء بالحجاب؛ لأني لا أريد أن يؤذين لأن اللاتي يلبسن الحجاب يعرفن - وقتها - بأنهن حرائر غير إماء فلا يتعرض لهن أحد بالأذى، فما أعظم رفقه وحياءه تبارك وتعالى!

لقد أنعم الله - عز وجل - على الإنسان بكل شيء حوله، فلا نعمة إلا وهي منه - سبحانه وتعالى - وقد قال عز وجل: } وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ{ [النحل: 53].

وهذه النعمة وإن بدت نعمة واحدة، فإنها تحتوى على

نعم كثيرة، لذلك قال، عز وجل: } وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النحل: 18]، ولم يقل: نعم الله فإن النعمة الواحدة تشتمل على نعم كثيرة لدرجة أنها يمكن أن تُحصى وتعد. كنعمة الإبصار مثلًا؛ فإنها تحتوي نعمة العين بمكوناتها، والعصب الموصل إلى المخ، والمخ الذي يترجم الصورة إلى شيء مفهوم، وغير ذلك مما لا نعلم، فكل النعم التي نرغب فيها إنما هي من

عند الله - عز وجل - بما في ذلك نعمة المال، فإنه مال الله - عز وجل - استخلفنا فيه، يقول - سبحانه وتعالى -: } آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ{ [الحديد: 7].

فهو مال الله، ثم تراه يطلبه بحياء يليق به عز وجل، فيقترضه منا، وكأنه مالنا، يقول - عز وجل -: } مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ{ [البقرة: 245] فهو - سبحانه وتعالى - يقترضه ليضاعفه لنا أضعافًا كثيرة؛ حياء منه وكرمًا وإحسانًا إلى عباده المؤمنين به الذين يطيعونه ويمتثلون أوامره.

فسبحان من له الخلق والأمر، يخلقنا بحكمته، ويغمرنا بنعمته، ويأمرنا وهو مشفق علينا وقد شملنا برحمته، يا له من حياء لا يكون إلا من رب العالمين عز وجل.

يسعى كل إنسان إلى صالحه وإلى من لديه نفعه، ويستأذن عليه ويحسب حساباته كثيرًا قبل الدخول عليه، فأنا وأنت لا نستطيع الدخول على عظيم من عظماء الدنيا حتى يأذن لنا بعد أن نشير إلى الموضوع مسبقًا، فيقبل دخولنا أو لا، ويحدد الموعد ويحدد مدة اللقاء، ونخشى أن نضطرب في عرض الموضوع حتى لا

يُخطئ فهمنا، وحتى لا يغضب منا، أما ملك الملوك - عز وجل - فإنه على خلاف ذلك، فأنت تحدد الموعد والمدة و الموضوع وتخطئ في التعبير ويعاملك على قصدك ونيتك. وإذا تنزَّل هو عليك اختار وقتًا يناسبك، بعد أن تكون قد انتهيت من عملك نهارًا واسترحت أول الليل وأوسطه، فينزل عليك هو في آخر ساعة من الليل، قبل قيامك لصلاة الفجر بقليل.

لا لحاجة له، فحاشاه - سبحانه وتعالى - أن يحتاج لأحد من خلقه، لكنه يتنزل علينا ليقضي حاجاتنا ويغفر زلاتنا وينعم علينا ويكرمنا، ففي الحديث الشريف.قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله - عز وجل - في كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر».

فما أعظم حياءه - سبحانه وتعالى - لا يتنزل علينا إلا في وقت يناسبنا، حتى يرفع عنا الحرج ويدعونا إلى التوبة والمغفرة، ثم إذا هو نادانا رغَّبنا بحنانه وحلمه، وبشرنا بأن رحمته تسع كل شيء وأن مغفرته أكبر من كل الذنوب، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:

53] فإنه يدعونا بكلمة «عبادي» ففي ذلك النداء رسالة ضمنية معناها أننا مهما فعلنا فإننا عباده وأحبابه يمهد لنا طرق التوبة، فهو يشجع عباده على العودة إليه مهما اقترفوا من ذنوب، خاصة أنه يستحيي من عبده إذا سأله أن يرد يديه خائبتين كما يقول النبي ﷺ: «إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا»(2) .

فإنه يستحيي من عبده وهو رب العالمين.

يوم الحساب يوم أخذ الحق وإقامة الحجة، فمن أخطأ في الدنيا جُوزي في الآخرة، غير أن الله - سبحانه وتعالى - الرحمن الرحيم الحيي، يستر على عباده يوم القيامة، بل يغفر لمن شاء منهم. يقول النبي ﷺ: «إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»(1) .

فإنه يستحيي من عبده أن يؤاخذه بما ستر عليه في الدنيا فهو الرب الحيي الرحمن الرحيم.

إذا كان ذلك في الحساب فإنه - عز وجل - حييٌّ أيضًا، وهو يأمر بدخول الجنة، إنه لا يقول ادخلوا الجنة برحمتي، أو تفضلًا مني، بل يقول - سبحانه وتعالى -: } الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ { [النحل: 32].

مع أن النبي ﷺ يبين لنا أننا ندخل الجنة برحمة الله - عز وجل - لا بعملنا.

يقول ﷺ: «لن يُدخل أحدًا منكم عملُه الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة» .

فها هو الله - سبحانه وتعالى - يتغمد عباده بالرحمة والفضل ويدخلهم الجنة، لا على أنَّ ذلك تفضل منه، بل على أنه مكافأة استحقوها بما عملوا في الدنيا.

ثم إذا دخلنا الجنة برحمة الله - عز وجل - وفضله، ورأينا ألوان النعم التي بها، وأيقنَّا أنها محض كرم وفضل من الله - عز وجل - فإننا نرى ربنا سبحانه، وهو الحيي الكريم، يقول لنا إن هذا النعيم جزاء لما قدمتم في أيام الدنيا الماضية كما ورد في القرآن الكريم، حيث يقول الله - عز وجل -: } كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ

الْخَالِيَةِ { [الحاقة: 24] ، ويسلم علينا جل وعلا تفضلًا منه ويصور ذلك على أنه جزاء صبرنا في الحياة الدنيا، مع أن سلامه علينا جائزة كبيرة تفوق ما قدمنا من عمل آلاف المرات، فإنه يقول - عز وجل -: } سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ{ [الرعد: 24]، بل إن صبرنا وأعمالنا إنما هما نعمة منه سبحانه، فهو الذي هدانا ووفقنا إلى الأعمال الصالحة، يقول - عز وجل - في كتابه: } وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{ [الأعراف: 43] فالهداية والصبر والأعمال الصالحة منه عز وجل.

وهذا ما عرفه عباد الرحمن الصالحون من الصحابة، رضوان الله عليهم، كانوا يبنون المسجد النبوي ويقولون:

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

فاللَّه - عز وجل - يكافئنا على نعمه التي أنعم علينا ويشكرنا على هذه النعمة، ومع أنها منه - سبحانه وتعالى - وفضل ورحمة كما قال عز وجل: } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [النور: 21] فهو فضله ورحمته - سبحانه وتعالى - في هداية عباده وإدخالهم الجنة وتنعيمهم فيها بشتى صنوف النعيم.

لعلك عرفت مما سبق كيف أن الله - عز وجل - حيي معنا إلى أبعد مدى؛ في أمره إيانا وتنزله علينا وحسابه إيانا يوم القيامة، وهو رب العالمين الذي إذا قضى أمرًا كان، ولا معقب لأمره - عز وجل - ونحن في النهاية عباده، لا طاقة لنا بقوته وجبه، ولا نعجزه، فهو على كل شيء قدير، ولا نملك له ضرًّا و لا نفعًا فهو غني عن العالمين، بل نحن محتاجون إليه في الرزق والمعافاة والمغفرة والستر وكل شيء في دنيانا وأخرانا.

وبعد أفيكون ربنا - عز وجل - حييًا معنا ولا نستحيي نحن منه! فلتكن حييًا مع ربك - سبحانه وتعالى - في حياتك كلها؛ لأنها هبة منه إليك وتفضل منه عليك.

وفيما يلي نماذج للحياء المنشود مع العبد في حق ربه، عز وجل:

يقول الله - عز وجل - في كتابه العزيز: { وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا } [النساء: 86] فهذا مراده - سبحانه وتعالى - من عباده في تعاملهم مع إخوانهم الذين يحيونهم، وأمرهم - عز وجل - أن يزيدوا في الفضل، أو يلتزموا على الأقل برد التحية كما هي. فإذا كان هذا مراده - عز وجل - في شأن معاملة العباد، فكيف نعامله - عز وجل - وقد قدم إلينا كل خير.

ثم عاملنا بالحياء، أفلا نرد تلك المعاملة العظيمة قدر استطاعتنا أن نرضيه عز وجل، خاصة أننا لن نستطيع الزيادة في حق الله - عز وجل - فإنه الأعظم والأتم عملًا، ولا نستطيع أن نزيد عليه ولا أن ندانيه، ولكن حسبنا الاجتهاد في إرضائه ومحاولة التعامل معه - عز وجل - بحياء كما يعاملنا بحياء.

وعلى ذلك إذا كان الله، تبارك وتعالى، يأمرنا بحياء، فإن علينا أن نتقبل الأمر بحياء وتعظيم.

إن الحياء في تقبل الأمر من ربنا - عز وجل - يدفعنا إلى الإحسان في العمل والزيادة في الطاعات، لأننا ندرك حينئذ أن عملنا الذي أمرنا به أقل كثيرًا مما ينبغي، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ- فإنه كان يصلي حتى تتورم قدماه الشريفتان. فقالت له عائشة: هون عليك يا رسول الله، ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال لها: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»(1) .

فإن حياءه ﷺ حمله على أن يزيد في العبادة شكرًا لله - عز وجل - على نعمه، فقد جعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وشرح صدره ووضع وزره ورفع في العالمين ذِكْره كما قال - عز وجل - في كتابه الكريم: } أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (8) { [سورة الشرح] ففي الآيات الأربع الأولى بيان لجانب من نعم الله - عز وجل - على النبي ﷺ وفي الآيتين الخامسة والسادسة تسلية له ﷺ وبشرى بأن اليسر آت وقريب، بل هو مع العسر، وتلك نعمة أخرى، أما الأمر فجاء في آيتين فقط، وهما، السابعة والثامنة، فقد أنعم الله - عز وجل - في ست آيات، وكلَّف في آيتين،

فاجتهد النبي ﷺ شكرًا لله - عز وجل - حتى تورمت قدماه الشريفتان، حياء منه ﷺ.

إننا نسأل كل الناس بأدب وخضوع واحترام بالغ، ولا ندري أيجيبوننا إلى ما نطلب أم لا، أما رب العالمين فتجد أناسًا يسألونه وكأن لهم دينًا عليه، حاشاه عز وجل، أو كأنهم عملوا ووجب عليه أداء الأجر، فمنهم من يقول مثلًا يا رب لقد صليت، وصمت، وزكيت، فلم ابتليتني بكذا وكذا؟ ومنهم من يقول: إنني لا أؤذي أحدًا وأحب الخير للجميع فأعطني كذا وكذا! وغاب عنهم أنهم يسألون رب العالمين أكرم الأكرمين، الذي يحب عباده؛ المؤمن فيثبته، والعاصي فيهديه، فإنه كما في الحديث القدسي: «إذا دعاني عبدي المؤمن قلت له: لبيك عبدي، وإذا دعاني عبدي العاصي قلت له: لبيك عبدي، لبيك عبدي، لبيك عبدي».

فرحًا منه - عز وجل - بعودة عبده إلى الطاعة وسؤال الله وحده.

فلنستحي من ربنا عز وجل، وإذا سألناه فلنسأله بتواضع وخضوع, ولنقل له مثلًا: «لقد جئناك نسألك لأنك أنت الرب الكريم، ولا عمل لنا ولا اجتهاد لنا في الطاعة، ولكن أنت الغفور الرحيم، ومن لنا إن لم تكن أنت لنا؟!

أنت إلهنا وربنا وسندنا، لا إله إلا أنت, سبحانك إنا كنا من الظالمين». لنقل له ما كان يقوله خير البشر محمد ﷺ يقول حامدًا ربه عز وجل: «ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك» فنحن كبشر لا نستطيع أن نقوم بالحمد له - عز وجل - كما يليق به، لكنه - سبحانه وتعالى - يعلم، فالنبي ﷺ يسأله - عز وجل - أن يرقِّي حمدنا إياه إلى الدرجة التي تليق به عز وجل، والتي لا يعلمها إلا هو, فنحن نحمده ونشكره بتقصير لكنه يقبل منا بنعمته وفضله ورحمته, تبارك وتعالى، وهذا وحده يكفي لأن ندعوه بحياء ونشكره عند الإجابة بحياء؛ لأننا نسيء الطلب عند من يعطي الجزيل الكثير.

إن الخطأ يسبب الخزي لصاحبه بسبب أنه جانب الصواب واقترف ما لا يليق، خاصة إذا كان ذلك مع عظيم من العظماء، فما بالك بالخطأ في حق الله - عز وجل -! فلا بد من أن نخجل ونستحيي منه لأننا لم نعرف قدره ولم نراع حقه، جل وعلا، وأسوق نموذجًا لاثنين من الخلق أخطآ فتكبر أحدهما فغضب الله عليه ولعنه، واستحيا أحدهما وتذلل إلى الله - عز وجل - فتاب عليه ورضي عنه، أما الأول فهو إبليس، فقد أمره الله - عز وجل - بأن يسجد لآدم، كما أمر الملائكة فأطاعوه، لكنه

رفض كما قال عز وجل: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ { [البقرة: 34]، وقال له عز وجل: } وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ { [الحجر: 35]، أي لعنة الله وكل الخلق لأنه استكبر رغم خطئه، وكان الأولى بمن أخطأ أن يعتذر ويستحيي من ربه، عز وجل.

أما الآخر فهو سيدنا آدم، فإن الله - عز وجل - أمره بألا يأكل من الشجرة، يقول تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)} [البقرة: 35]، لكنه أخطأ فأكل منها بعد أن وسوس له الشيطان، يقول تعالى: } فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ{ [البقرة: 36]، فلم يتكبر على الله - عز وجل - بل استغفر، يقول، تبارك وتعالى: } قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: 23]، فتاب عليه الله - سبحانه وتعالى - يقول عز من قائل: } فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُبى{ [البقرة: 37].

وقلة الحياء عند الخطأ تورث القلب قسوة وجفاءً حتى يرى الذنب هينًا، يقول سيدنا عثمان بن عفان، : «سيأتي

على الناس زمان يَبْلى القرآن في صدورهم؛ إذا قصروا قالوا: سنبلغ. وإذا أذنبوا قالوا: سيغفر الله لنا؛ إنا لا نشرك بالله شيئًا!».

وبعدُ، فلعلك عرفت أهمية العلم بالله - عز وجل - لأن العلم عامة يحصن صاحبه، والعلم بالله سبحانه يبعدنا عن النار ويدخلنا الجنة، وينجي من الكفر إلى الإيمان، ولعل هذا ما حدث مع ابن سيدنا نوح عندما صنع السفينة وركب معه أهل الإيمان دعا ابنه كما أخبر القرآن الكريم:

{ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ{ [هود: 42] غير أن ابنه كان جاهلًا بالله - عز وجل - فظن أن جبلًا يمكن أن يمنعه من قدرة الله.

{ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ{ [هود: 34] لكنَّ سيدنا نوحًا عليه السلام علمه معلومة مهمة جدًّا وهي أن الله - عز وجل - إذا قضى أمرًا فلا راد لقضائه: { قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ { [هود: 43]

، لكن ابنه لم يعلم بهذه المعلومة فهلك، أهلكه جهله بالله - عز وجل - وإصراره على ذلك الجهل، مع أنه ابن نبي من أنبياء الله، عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ومن خطورة نقص معرفتنا بالله أيضًا أنه يزهدنا في الخير، وهذا لأننا لا نعرف معلومات كافية عنه كما هو حالنا مع الجنة مثلًا، صحيح أن أغلبنا يعرف أنها جزاء المؤمنين وأن بها كل النعم وأفضل الأشياء لكن يزداد حرصنا على الجنة إذا علمنا حديث رسول الله ﷺ الجامع الشامل في هذا المقام عند ما قال:

«فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، وفضلًا عما صوره القرآن الكريم من نعيم الجنة في ختام سورة الرحمن.

فلا شك أن لهذه المعلومات وقعها الحسَن في الصدر والقلب، ولا شك أنها تعين على الطاعة، وتجعلنا أحرص على الفوز بالجنة.

وقريب من ذلك ما يتعلق بالكعبة الشريفة، فنحن جميعًا نشتاق إليها ونسأل الله - عز وجل - أن يرزقنا زيارتها، لكن هذا الشوق سيزيد أضعافًا مضاعفة إذا علمنا أنها بيت الله الحرام، وهي تحت البيت المعمور، وضع

قواعدها الملائكة ورفع تلك القواعد إبراهيم أبو الأنبياء ﷺ وولده إسماعيل، يقول الله - عز وجل -: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127] وإذا عرفنا أنها مكان قد يغفر فيه الذنوب أو استشعرنا أن النبي ﷺ كان يصلي في هذا المكان، والصحابة رضي الله عنهموأرضاهم، وما إلى ذلك من روحانيات متعلقة بالكعبة والحج لزاد شوقنا إليها.

وأكثر من هذا وذاك ما يشعر به من زار الكعبة فعلًا، لأنه قد ذاق حلاوة تلك الزيارة، وكما قيل: «من ذاق عرف» فلا شك أن من زار، فقد حصل من العلم بالكعبة والبيت الحرام أكثر مما يسمع، لذا تجد الحاج يبكي متى رأى الكعبة، ويسأل الله - عز وجل - أن يرزقه العودة إليها ثانيةً. اللهم ارزقنا حج بيتك الحرام وزيارة قبر نبيك عليه الصلاة والسلام.

وختامًا:

فلنعرف عن الله - عز وجل - أكثر وأكثر؛ بالقراءة، والاستماع إلى البرامج الدينية، وحضور الدروس في المساجد وسؤال أهل العلم عما يدور بأذهاننا، حتى يحصل لنا علم يقربنا من الله - عز وجل - ويرغبنا في

الطاعات ويبعدنا عن المنكرات والمعاصي، فنفلح في الدنيا والآخرة، ويُختم لنا بخاتمة السعادة، ونرغد في جنة الله ودار كرامته، مع النبي محمد ﷺ وصحابته، رضوان الله عليهم أجمعين.

* * *

«خدعوك فقالوا...«عادي

لقد خلق الله الإنسان وهيأ له الأرض بما عليها ليكون خليفته فيها، يلتزم أوامره ويتجنب نواهيه، ومتى لم يكن لكلمة التوحيد وجودٌ على الأرض، فسيأذن الله - عز وجل - بالنهاية، كما حدث مع سيدنا نوح ﷺ فإنه بعد أن

مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين لم يؤمن معه سوى ثمانين، فأمره الله أن يصنع الفلك ليركبها ومن آمن

معه، وأن يأخذ من كل شيء زوجين لأن الطوفان سيهلك الكافرين. يقول الله تبارك و تعالى { وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالم ين (44) ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (47) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48) تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا

نَحنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) إن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا
بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ (54) مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ
(55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ
آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (56) فَإِن
تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي
قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
حَفِيظٌ (57) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58) وَتِلْكَ عَادٌ ۖ
جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ (59) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا
إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (60) ۞ وَإِلَىٰ
ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ
ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (61) قَالُوا يَا صَالِحُ
قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62) قَالَ يَا
قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً
فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ
تَخْسِيرٍ (63)} [هود 44-63]

والشيء نفسه سيحدث في نهاية العالم عندما يأذن اللّٰه بيوم القيامة، فقد قال ﷺ: «تقوم الساعة على شرار الناس»(1) لأنه لم يعد موجودًا مَن له أكبر قيمة على الأرض، وهو الإنسان المؤمن باللّٰه - عز وجل - الذي يرى اللّٰه - سبحانه وتعالى - في كل شيء ويطيعه فيما يحب

فالإنسان مخلوق غير عادي، وقيمته غير عادية، فقد كرمه اللّٰه - عز وجل - حين قال سبحانه: }وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ{ [الإسراء: 70] فهذا المخلوق المكرم غير العادي إذا آمن صار أهم من على الأرض؛ كما يقول العلماء، فهي أمة غير عادية، ولها قيمة كبيرة عند اللّٰه - عز وجل - حيث جعلها خير أمة فقد قال تبارك وتعالى: }كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ{ [آل عمران: 110] ومن ثم فلا يليق بهذه الأمة غير العادية أن تحيا حياة عادية، بل عليها أن تتحرى قمة كل أمر نافع، وأن تحمل هم كل الناس فتتحرك لتصلح علاقاتهم بربهم - عز وجل -.

لكن للأسف قد اكتفيت وأنت من أمة النبي ﷺ بما هو عادي، بل والأسوأ من ذلك أنك قد اقترفت الذنوب والمعاصي بدعوى أنها أمور عادية، وليست كذلك في الحقيقة، لكنها شاعت فظن كثير منا أنها عادية،

وأصبحت ترى المعاصي والذنوب أمامك، فإذا قلت لمرتكبها: كيف تصنع هذا؟ قال: كلمة واحدة: «عادي» وكأن هذه الكلمة صارت مصطلحًا على كل خطأ شاع وكثر، فما على فاعله إلا أن يقول: «عادي» ليخرج من الحوار وإشكالاته.

وفيما يلي نقف على كل شيء منها بالتفصيل:

تحدثنا عن مسألة المصاحبة من قبل بما يغني عن ذكر تفاصيلها في هذا المقام، لكن نتعرض هنا لها من زاوية أخرى، وهي أن كلا الطرفين ينظر إليها على أنها أمر «عادي» فالشاب يمسك يد الفتاة في الطريق العام دون تورع أو خجل، فإذا سألته قال لك: «عادي». وهي تمزح معه بصورة مبتذلة لا تراعي دينًا ولا تقاليد، فإذا كلمتها في ذلك قالت: «عادي» والأسوأ من ذلك أن الأهل يعرفون ذلك ولا يغيرون شيئًا، بل إذا أخبرتهم أن ابنتهم أو ابنهم على علاقة مصاحبة مع الجنس الآخر قال لك: «عادي». ومن ثم أخذت المصاحبة صورًا شتى في الجامعة والعمل وعلى النت في غرف الدردشة وعلى المواقع التي تقدم تلك الخدمة كالفيس بوك وغيره، ثم تحدث اللقاءات والخروج، والمقابلات في المطاعم والحدائق وما إلى ذلك مما ينذر بكارثة محققة، والغريب

أن كل الأطراف بما في ذلك الأهل يرى أن الأمر «عادي»! أما غير العادي فيرى أن قلبه ملك لله - عز وجل - وأنه لا يليق أن يطلع الله على قلبه فيجد فيه شريكًا كائنًا من كان، ويسأل الله أن يغنيه من فضله بالحلال الطيب.

ولكل منها مجاله، غير أن الرابط بينها جميعًا اعتبار الإباحية أمرًا عاديًّا:

أولًا: مواقع الإنترنت:

ينزلق بعض شبابنا إلى تصفح المواقع الجنسية الصارخة بالإباحية والداعية إلى التحلل من الالتزام الأخلاقي والديني، ومن العفة التي ينبغي أن يكون عليها المسلم، بدعوى أن ذلك أمر عادي، وأن كل الشباب يفعلون ذلك، وليس كل الشباب كما زعم، غاية ما هناك أن الأمر الفاضح يشيع، ويتناوله الناس ويزيدون فيه، حتى يظن أن الأغلب الأعم من الشباب على هذا النحو، مع أن الواقع خلاف ذلك، بدليل الكثرة الكاثرة من المنضبطين الذين نراهم بفضل الله - عز وجل - يعمرون بيوت الله - سبحانه وتعالى - وهو القائل في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: 18]. والمؤمن بالله أيضًا لا ينبغي

له أن يطلق على مشاهدة هذه المواقع أن هذا شيءٌ «عادي».

ثانيًا: التلفزيون:

من منافع التلفزيون كل مادة تقدم تبني ولا تهدم، أما العكوف على أي مادة غير أخلاقية تؤذي المجتمع وتعزف على وتر الشهوة والأفلام والإعلانات المخلة والبرامج فهو أمر محرم لا يليق بالمسلم أن يأتيه.

ولا يظن أحدكم أنه «عادي» فمن المؤسف حقًّا أن تجد الأسرة بالكامل ملتفة حول التلفزيون يرون مشاهد الحب المحرم والعشق وما تحويه من تجاوزات تصل إلى حد الإباحية، وهم معتقدون أن ذلك أمر «عادي».

هل ترضى أن يقبضك الله على مشهد يغضبه؟ سل نفسك هذا السؤال، ثم طبقه على ما تراه في التليفزيون، وبه وبفطرتك السليمة ستعلم ما هو عادي، وما الذي لا تحبه أن يكتب في صحيفتك.

ثالثًا: الشواطئ:

لا شك أن الشواطئ من أجمل أماكن الطبيعة التي يستمتع بها الإنسان، ولا تأتي الشريعة فتحرِّم الشاطئ إذ إن الاستمتاع بخيرات الله من المباحات، بل من العبادات

التي أوصى بها خالق الجمال، والتحدي أمام من يريد أن يستمتع ببديع صنع الله هو العري المنتشر على كثير من الشواطئ والتحدي الأكبر إذ أَلِف الإنسان هذا العري حتى يصبح «عاديًّا» فلا يتورع أو يجتهد في غض بصره وهو في هذه الأماكن.

اذهب مع أصدقائك أو مع أسرتك وتنعم مع حفاظك على قلبك، اختر المكان الذي ستذهب إليه وكلٌّ على حسب وسعه وطاقته، أعني في قدرته على الاستمتاع مع الحفاظ على الحياء؛ لأن رسول الله ﷺ قال، عن يزيد بن طلحة بن ركانة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل دين خلق وخُلق الإسلام الحياء».

لا حرج في جلوس البنت مع أبيها وأخيها وعمها وخالها وسائر محارمها كاشفة شعرها، متبسطة في الملابس وفي القول والفعل، فلا شيء في هذا، لكن يقع كثير منا في خطأ جسيم عندما نسمح بالاختلاط بين البنين والبنات في بيوتنا وهم يحلون لبعضهم، كأن تجلس البنت متبسطة مع ابن عمها أو ابن خالها ونحن نظن أن ذلك أمر «عادي». بل قد تجلس هكذا مع زوج أختها معتبرة إياه أخًا، والأسرة كلها ترى أن ذلك «عادي»!

إن مثل هذه الأمور تسبب مشاكل كبيرة في بيوتنا يصعب حلها، والواجب علينا أن نراعي الحلال والحرام جيدًا، وأن نراقب الله - عز وجل - الذي قال في كتابه العزيز: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: 31].

لعل الآيتين السابقتين بينتا ما يجب مراعاته في هذه الأحوال، فإن الاختلاط والتفكه وما إليهما أمر «غير عادي».

يقضي الإنسان في عمله ساعات طويلة، ربما فاقت ما يقضيه مع أهله؛ لذا من الضروري أن يهتم بسلوكه في تلك الفترة ويقوم نفسه حتى لا يكون عمله وبالًا عليه، فينبغي أن ينظر إلى علاقته بالعمل وصاحبه وعلاقته

بزملائه وزميلاته حتى يتجنب ما يمكن أن يقع فيه من مخالفات.

من أولى مهام العامل أن يحفظ وقته فلا يضيعه؛ لأنه حق من حقوق صاحب العمل، فعليه ألاَّ يتأخر في حضوره، إذا تأخر رغمًا عنه لا يجوز له شرعًا أن يتصل بزميله ليوقع له في كشف الحضور، حتى لا يلحقه العقاب؛ لأن ذلك يجره إلى أكل الحرام، ولأنه سيأخذ راتبه على هذا الحضور، فإن زوَّر فيه أخذ أكثر مما يستحق، ومن العجيب أنه يعتقد أن ذلك «عادي»!

ومن قبيل «عادي» يستخدم العامل ورق الشركة في أمور شخصية، بل يستخدم التليفون في مكالمات لا تخص العمل، وهذا بالطبع عبء على صاحب العمل، بل يستخدم شبكة الإنترنت فيشغل جهاز الكمبيوتر لصالحه، وخطورة هذه الأعمال أنها ذات ضررين؛ الأول بوقت العمل، والآخر بمال الشركة، لكنه يفعل ما يريد معتقدًا أنه «عادي»!

ومن أبرز ما يجب أن نتحدث عنه في هذا المقام مخالفات بعض المدرسين، فكلنا يعلم ما يصدر عن بعضهم، من تكاسل عن الشرح أو تقصير فيه؛ حتى يضطر التلاميذ إلى الدروس الخصوصية، معتقدين أن

ذلك شيء «عادي» ولا يدرون أنهم بذلك يخدعون ولي الأمر الذي عينهم وأعطاهم رواتب، وأولياء أمور التلاميذ الذين استأمنوهم على أبنائهم. بل الأخطر من ذلك أنهم يتنازلون عن ميراثهم من النبي ﷺ الذي قال: «وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وأورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(1).

فما أسوأ أن يترك اسم العالم أو المعلم ليصبح اسمه المخادع أو السارق الذي يسرق من وقت العمل ومن مال أولياء الأمور تحت مسمى الدروس الخاصة ليعطي للطلبة حقهم الذي سلبهم إياه بتقصيره في الفصل. إنك أيها المعلم في مكانةٍ تُداني درجةَ الأنبياء والرسل كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

قم للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولًا
أرأيت أشرف أو أجل من الذي
يبني وينشئ أنفسًا وعقولًا

فكيف تضحي بهذه المكانة لتصبح مجرد جامع للأموال! إنك بذلك تخسر خسارة عظيمة، وهي صلاة الملائكة عليك، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله

وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير»(1) .

ولا شك أنك تعلمهم الخير فأنت مربٍّ فاضل، فلا تتنازل عن هذه المكانة وتفعل ما يقع فيه كثيرون بدعوى أنه شيء «عادي».

إن أغلب الأسر اليوم - إلا فيما ندر - قد ابتلي بعض أفرادها بالتدخين، مما أغرى آخرين به، فأخذوا يدخنون ظانين أن ذلك أمر «عادي»، وهو ليس كذلك، فهو أمر خطير على الصحة والمال، وعاقبته وخيمة في الآخرة.

بعيدًا عن الإغراق في المعلومات الطبية من قبيل أن الرئة ستمائة مليون حويصلة هوائية تقريبًا؛ مما يدل على دقة حجم هذه الحويصلات وانسدادها بالدخان! وبعيدًا عن الإغراق في معلومات تصنيع السجائر من قبيل أنها تحتوي على القطران والنيكوتين وبعض المبيدات! بعيدًا عن كل هذا يكفي أن نعلم أن ثلاثة عشر ألفًا (13،000) يموتون يوميًا بسبب التدخين، أي حوالي أربعمائة ألف شهريًا، وهو ما يقارب خمسة ملايين كل عام!!

المال رزق كريم من رب كريم، لعبد ينبغي أن يكون كريمًا؛ فينفق المال في وجوه الخير، الضروري منها كالإنفاق على النفس والأهل والزكاة، والاختياري كالصدقات مثلًا، أما أن ينفق في المحرمات فذلك ممحقة للمال ومذهبة له، كما أنه يفتح بابًا للتقصير في حق الأهل؛ لأن من استحكم التدخين في بدنه يقدم شراءه على كل شيء، فيضيع بذلك الأهل والأولاد، وهذا خطر عظيم. فقد قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول»(1) وفي رواية «أن يضيع من يقوت».

يقول رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم وضعه، وعن علمه ماذا عمل فيه»(2).

فأنت مسئول عن عمرك، فإن توفيت بسبب التدخين فماذا تقول لربك؟ ومسئول عن شبابك، فإذا تراجعت صحتك فيه بسبب التدخين فماذا تقول لربك؟ ومسئول عن مالك، فإذا أنفقته على السجائر والشيشة فماذا تقول لربك؟ ومسئول عن علمك فإذا علمت أن التدخين حرام فدخنت فماذا تقول لربك؟ وإذا علمت أن الله - عز وجل - قال: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ { [البقرة: 195] ثم أهلكت نفسك ومالك وأهلك فماذا تقول لربك؟

إن أبناءك سيخاصمونك يوم القيامة ويقولون: يا رب، لقد ضيعنا ولم ينفق علينا كما ينبغي، ويشكونك إلى الله - عز وجل - ويقولون: يا رب، لقد أساء إلينا بتدخينه وعكر الهواء الذي نستنشقه بعد أن خلقته هواء نظيفًا، يخاصمونك ويشكونك، لعلهم يفوزون بحسنة واحدة منك تدخلهم الجنة، فهذا يوم لا ولد فيه ولا والد، يقول عنه - عز وجل -:

} فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37){ [عبس: 34-37] وإن الله - عز وجل - قد يسامح في حقه لكن لا يسامح في حقوق العباد، فاحذر تلك العاقبة ولا تفسد أخراك بدنياك، ولا تفسد دنياك بعصيانك فإن التدخين حرام شرعًا وليس مجرد أمر «عادي».

يقول اللّه تبارك وتعالى: } مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ { [ق: 18] ورقيب ملك الحسنات، وعتيد ملك السيئات، وليس هناك ملك للعادي الذي يزعمه بعضنا، فإما أن نفعل مباحًا نثاب عليه إن احتسبناه، وإما

أن نفعل محرمًا نجازى عليه بالسيئات. فقول من قال: «عادي» تصريح بأن هذا الشيء ليس محرمًا، وهذا معناه أنه تجرأ على الله - عز وجل - إذا كان الفعل محرمًا.

فالمدخن- مثلًا- الذي يقول: «إن التدخين عادي» كأنه قال: «إن التدخين حلال» وهذا معناه أنه وقَّع أحكامًا من الحلال والحرام عن الله - عز وجل - أي إنه حَكَمَ، فلابن القيم كتاب عنوانه: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» فكلمة «الموقعين» معناها الذين يقولون هذا حلال وهذا حرام، فإن لم يكن ما يقوله عن رب العالمين صحيحًا فقد أجرم وافترى على الله غير الحق.

في المجتمع الجاهلي كان الكفار يعبدون أصنامًا لا تنطق ولا تنفع ولا تضر ولا تهديهم ولا ترشدهم، ولم يكن لدى الكفار منهج وعقيدة يسيرون عليها ولم تكن لهم آلهة تبين لهم الحلال والحرام.

لقد كان الكفار يتجهون إلى الأصنام طالبين الرأي والمشورة فيما يعن لهم من أمور حياتهم كالزواج والطلاق والمعاملات والمواريث فلا يجدون من الأصنام إجابة، ومن هذه الأمور التي دارت بأذهانهم أيضًا كيف تخرج زوجاتهم وبناتهم، هل يخرجن دون تغطية لأجسادهن؟ فلا يجدون إجابة عند هذه الأصنام التي

يعبدونها وإذا خرجت الزوجة عن طاعة زوجها، فكيف يعالج هذا التمرد؟ كل هذه الأمور واجهها الكفار والمشركون، لأنهم بالعادة وبالأمر العادي وجدوا آباءهم يعبدون هذه الأصنام التي لا تملك نفعًا ولا ضرًّا لنفسها، فعبدوها دون أن تقدم لهم منهج حياة يسيرون عليه، ودون أن تبين لهم الحرام والحلال، فتخبطوا على غير هدى، ويبين ذلك قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) مع قومه الذين عبدوا الأصنام وهم يعلمون أنها لا تنطق ولا تملك نفعًا لنفسها ولا ضرًّا، حيث قال اللّه - عز وجل -:

} وَلَقَدْ آَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58){ [الأنبياء: 51-58].

ومن يتأمل هذه الآيات، فسوف يجد أن سيدنا إبراهيم

قام بإعمال الفكر والعقل عندما أنكر على قومه عبادتهم لهذه التماثيل، فكانت إجابتهم أنهم وجدوا الآباء لها عابدين، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتأمل، هل هذه الأصنام تستحق العبادة أم لا تستحق؟ هل هذه الأصنام تنفع أم تضر؟ ولكنه الخطأ الذي صار أمرًا عاديًا فساروا عليه دون وعي أو تفكير.

كان الكفار رجالًا ونساء يطوفون حول الكعبة عراة؛ لأن الشيطان وسوس لهم ألا يطوفوا بنفس الثياب التي عصوا الله فيها، وجاء الإسلام ونزلت الآيات التي تأمر الرجال بغض البصر وتأمر النساء بالحجاب وأصبح من الأمور العادية أن تكون المرأة مستورة وأصبح للمرأة مكانة ومنزلة، لقد كرمها الإسلام وألبسها ثوب العفة بعد أن كانت متاعًا لكثير من الرجال فنهاها عن ذلك، بعد أن كان من الأمور العادية - عند قلة من النساء - أن تعاشر المرأة رجلًا واثنين وثلاثة في الحرام، على أنهم أصحاب لها، فنزلت الآيات التي تحرم أن تتخذ المرأة أخدانًا {وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} [النساء: 25] ومن هنا أعف الإسلام المرأة وصانها وجعل السبيل إليها هو الزواج على سنة الله ورسوله.

ومن الأوضاع المتردية التي كانت عليها المرأة أنها كانت جزءًا من ميراث الرجل تورث بعد موته، فبعد موت أحدهم يدخل أقاربه، فمن يدخل أولًا ويلقِ عباءته عليها تصبح من نصيبه.

كما كانت المرأة إذا أصابها الحيض اتخذت ناحية من الخيمة أو الخباء، لا أحد يقترب منها حتى تطهر؛ لأنهم كانوا يعتبرونها نجسة، وظلت المرأة هكذا مهانة حتى جاء الإسلام وكرمها وأنزلها منزلة طيبة، ومن ذلك قوله تعالي: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران: 195] والرسول ﷺ في أحاديث كثيرة يوصينا بالنساء حتى صارت للمرأة منزلة عظيمة.

من الآفات الخطيرة التي كان المجتمع الجاهلي يعانيها آفة شرب الخمر التي يغيب فيها العقل ويصبح مهيأً لارتكاب الجرائم مثل الزنا والسرقة والقتل بالإضافة إلى عدم التركيز في الصلاة، بل كانوا يشربون الخمر بكثرة لدرجة أنها كانت تملأ «براميل»، حتى نزلت الآيات

القرآنية من فوق سبع سماوات تحرم الخمر وذلك في قوله تعالي: } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (91)} [المائدة: 90-91] فما إن سمع المسلمون هذه الآيات الكريمة حتى قالوا: انتهينا ياربنا. وأخذوا كل ما لديهم من خمور وألقوا بها في الشوارع والطرقات حتى امتلأت الطرقات بها.

إن الإسلام حسم قضية أخرى، ألا وهي حيرة الإنسان المسلم وتردده عند قضاء حاجة من الحوائج، ففي أمور كثيرة مثل الزواج أو السفر أو الإقدام على أمر من أمور الدنيا نحتاج إلى من نستشيره ونستخيره؛ إذ يصعب علينا في الغيبيات الوصول إلى قرار صائب.

وكان المشرك قبل الإسلام يلجأ إلى الأصنام يستشيرها فلا يجد الرأي والمشورة، فيلجأ إلى ضرب القداح وما شابه ذلك. فلما جاء الإسلام علمنا كيفية الرجوع إلى الخالق - عز وجل - عالم الغيب والشهادة من خلال صلاة الاستخارة وعلمنا الرسول ﷺ دعاء الاستخارة الذي يقول: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك

وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني»(1).

بعد بعثة الرسول ﷺ ونزول الوحي ووجود القرآن الكريم بيننا وسنة الرسول ﷺ لا يحق لنا أمة الإسلام أن نغضب الله - سبحانه وتعالى - ولو في أدق الأمور وأصغرها ونقول عنها إنها أمور عادية، فلا يحق للمرء أن يشهد زورًا وبهتانًا ويقول «هذا أمر عادي».

عندما سئل رسول الله ﷺ عن أكبر الكبائر قال: «الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور. ألا وشهادة الزور - قالها ثلاث مرات». هذا فيما يتعلق بأمور البشر، فما بالك بالكذب على الله وشهادة الزور على الله وادعاء أن هذه الأخطاء والمعاصي التي نهانا الله عنها أمور عادية؟!

يجب على المرء المذنب أن يعترف بذنبه ويستغفر الله ويتوب إليه ولا يقر هذا الذنب ويزعم أنه أمر عادي؛ لأن المرء عندما يعتاد مثل هذه الذنوب فالقلب أيضًا يعتاد عليها، وعندما يعتادها القلب يألفها ولا ينكرها ويعتاد الأكبر منها ويصبح هذا الكبير من الذنوب صغيرًا إلى أن تشيع الفاحشة وتنتشر الكبائر، ويألفها، ويعتاد عليها وتصير هذه الذنوب والمعاصي حائلًا بين المرء وربه، بين المرء والحق، بين المرء والعمل الصالح، لدينا مثال على ذلك قوم لوط، كيف تدرجت المعصية بينهم عندما اعتادوا كشف العورات فارتكبوا الفواحش وتفشت فيهم الكبائر، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، هكذا كان مصير الأمم الأخرى التي اعتادت المعصية الصغيرة، فأدت بهم إلى ارتكاب الكبائر حتى صارت أمرًا عاديًا في حياتهم.

فيها مشكلة في الفهم لو حاولنا أن نتتبع الأسباب التي أدت إلى أن نتعود الخطأ لوجدنا أن الأمة الإسلامية أمة تميزت عن سائر الأمم؛ لأن الله اصطفاها وجعلها خير أمة، يقول - عز وجل -: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: 110].

بهذه الخصائص التي اختصنا الله بها - الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- فضلنا وأكرمنا بالقرآن الكريم والرسول الأمين ﷺ ولذلك أصبحنا أمة متميزة غير عادية، ولا بد أن نبقى هكذا، لا نسكت عن معصية نراها، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونكون من المستغفرين كما قال الله - عز وجل -: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135] ونتواصى بالحق ونتواصى بالصبر، وبهذا نكون أناسًا غير عاديين.

أولًا: تقلب القلب:

سُمِّي القلب قلبًا لكثرة تقلبه، فإذا فعل الخطأ ثم الصواب ثم تقلب بينهما فقد يألف الخطأ، أو المعاصي فإذا ألفها وجدها عادية، فيستمر عليها دون أن ينكرها ولايحرمها، ويظن أنها شيء «عادي» .

ثانيًا: الأمية في المعلومات الدينية:

إن لقلة المعلومات عن الدين إلى حدٍّ يقترب من الأمية أثرًا كبيرًا في أن نرى الخطأ والذنوب أمرًا عاديًّا، فما دمنا لا نعرف جزاء تأخير الصلاة أو تضييعها أو التكاسل عنها

فنجمع الصلاتين معًا - فلن ننزعج، وسنظل نرى ذلك الأمر عاديًّا، وما دمت لا تعرف خطورة اعتياد الكذب أو خطورة الغش في البيع والشراء ولو في شيء يسير سيظل هذا الأمر عاديًّا..

ثالثًا: مجاراة الناس في أعمالهم:

كثير منا يستمد أحكامه على الأمور من أفعال الناس، فإن كان الناس مطبقين على فعل شيء ما؛ فهو في نظره مقبول وعادي، وإذا كانوا ينكرون أمرًا، فهو عنده غير لائق. وهذا أمر يوقع المسلم في مخالفات كالتي سبق ذكرها، ففعل الناس ليس دليلًا على الصحة أو الجواز، وتركهم ليس دليلًا على الخطأ أو التحريم، وإلا وجدنا أنفسنا عبادًا للناس، مع أنهم لن يغنوا عنا من الله شيئًا ولا يملكون لنا ضرًّا ولا نفعًا، بل إن الله - عز وجل - أحق بأن نطيعه. يقول، - عز وجل -: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: 37]

فنحن مأمورون بطاعته وحده في الأمر كله وأن نلجأ إليه وحده في كل شيء، لأن من سواه لن يقدم لنا شيئًا، وسيتركنا دون مساعدة. يقول - سبحانه وتعالى -: } وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا} [الإسراء: 67] وهو وحده تبارك وتعالى يملك خزائن كل شيء، فقد قال في كتابه العزيز:

} وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ { [الحجر: 21].

من رحمة الله بنا أن خلق داخل كل فرد منا النفس اللوامة، وهي التي تنبه الإنسان دائمًا إلى ما يرتكب من ذنوب وأخطاء، سواء فيما يتعلق بالأخلاق أو العبادات أو المعاملات، وتلومه وتعيده إلى الصواب والحق والندم والاستغفار، ولكن الشيطان يزين لبعض البشر المعصية فيمضي في ارتكاب هذه الذنوب والمعاصي كشرب الخمر وجرائم الزنا، وحتى يستمتع بالمعصية فإنه يحاول أن يسكت هذا الضمير وهذه النفس اللوامة ويقنع نفسه بأن هذا «أمر عادي لا عيب فيه».

كما بينت لنا الآية الكريمة: } وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135].

عندما يرتكب الإنسان معصية، فليذكر الله الذي بين له الحرام والحلال، وبين له أن الزنا ليس أمرًا عاديًا وكذلك الرقص والكذب والغش وسائر المعاصي، فإن فعل هذا أقلع عن المعصية ونجا من عذاب النار، وإن لم يفعل ولم يذكر الله وتمادى في إقناع نفسه بأن هذه الأمور أمور عادية حتى لا تؤنبه، فسوف يستمرئ هذه الأخطاء ويعتادها، ولا أمل في إصلاحه، إلا من رحم ربي.

ويمكن علاج هذه الأمية بأن نقرأ كتبًا عن أسماء الله الحسنى، فالمكتبة الإسلامية عامرة بالكتب التي كتبت في أسماء الله الحسنى لكبار الكتاب والدعاة أمثال الشيخ محمد متولي الشعراوي والدكتور محمد راتب النابلسي وغيرهما.

ولا بد أيضًا أن نقرأ في كتب السيرة النبوية، وكذلك سير الأنبياء السابقين وسير الصالحين؛ حتى نمحو هذه الأمية ونعرف كثيرًا عن هذا الدين العظيم.

البيئة التي نحيا بها ونعيش فيها هي أيضًا سبب من أسباب اعتيادنا المعاصي، فنحن نعلم أن رسول الله ﷺ

قال: «المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل»(1) .

فإذا كان الخليل والصاحب متدينًا وقريبًا من الله - عز وجل - قاد صاحبه إلى الجنة، وإذا كان غير ذلك قاده إلى النار، والعياذ بالله، وكان الندم في الآخرة، يقول المولى، عز وجل في ذلك: } يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (29) { [الفرقان: 28-29]، ويقول تعالى: } الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ { [الزخرف: 67].

ويقول الشاعر العربي أبو تمام:

إذا جاريت في خلق دَنِيًّا

فأنت ومن تجاريه سواءُ

رأيت الحر يجتنب المخازي

ويحميه عن الغدر الوفاءُ

حاول أن تختار أصحابك، فالمرء على دين خليله، يعني على عادة وسلوك خليله، فكلما كانوا أسوياء يحبون الحياة لكنهم يحبونها في ظل الإله.

لهم طموح لكنه طموح تحميه القيم، ويحبون الترفيه والاستمتاع؛ لكنه استمتاع لن يحاسبوا عليه غدًا بين يدي الله، لا يرون ارتكاب الكبائر في سبيل الاستمتاع «عادي».

لا يسخرون من صلاتك حتي ولو كانوا لا يصلون لكنهم يحترمون اختيارك لو كنت وسط هؤلاء أعتقد أنك ستكون من الله قريبًا.

وبعد، فلا يليق أن تكون معاملتك لربك عادية؛ لأنه لا يعاملك معاملة عادية، فأنت تتقلب في نعمه ليل نهار؛ تسمع، وتبصر، وتلمس، وتشعر ويدق قلبك دون توقف، وتأكل، وتشرب، وتلبس، وتسكن، وتتعلم، وتلعب، وتركب مواصلات، وتجد من يتحدث معك، ومن يطمئن عليك، وغير ذلك من نعم الله الكثيرة، فإذا سئلت: كيف حالك؟ فلا تقل: عادي، لأن هذه النعم كلها ليست أمرًا عاديًا، بل هي تكرم ورعاية وتفضُّل من اللَّه - عز وجل

علينا أن ندع ما يفعل الناس وما يقولون وأن نتمسك بما يرضي الله - عز وجل - ورسوله ﷺ فذلك صمام الأمان لنا حتى لا نضل. كما قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي»(1).

وقال ﷺ: «ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي، وعليكم بالطاعة وإن كان عبدًا حبشيًّا. عضوا عليها بالنواجذ».

فالنبي ﷺ ينبهنا إلى أن من يحيد عن سنته سيقع في اختلافات كثيرة؛ وذلك لأنه سيتبع الناس فيضل، أما من يتبع طريقه فلن يضل، لأنه طريق واحد، كما قال - عز وجل -: ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: 135].

وإذا كنت مبتلى بشيء من الأخطاء فلا تقل إنه «عادي» فتلك كلمة اجترأت بها على الله - عز وجل - فحللت ما حرَّم، فقد تكون سببًا في غضب الله - عز وجل فقد قال النبي المعصوم ﷺ: «إن العبد لَيتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم»(2).

فلنحذر كلمة «عادي» حتى لا نُغضب الله - عز وجل - دون أن ندري ولنحذر يوم القيامة، فإننا جميعًا سنعرض على الله - عز وجل - ويكلمنا دون وسيط.

يقول رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئًا قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة»(1).

فلنتق الله - عز وجل - في أفعالنا وأقوالنا، حتى ننعم برضوانه يوم القيامة، وندخل جنته ودار مقامته مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا.

* * *

خدعوك فقالوا...
السيجارة أقوى منك

إن التدخين في مجتمعاتنا أصبح داءً وأصيب به كثير من الناس وإن كانت هناك نسبة قليلة لا تدخن، وإذا نبهت أحد المدخنين قال لك: لاغنى لي عن التدخين مع أنه في الحقيقة لاحاجة له إلى التدخين .

إن المسئولية الكبرى تقع على كاهل الآباء والأمهات فهم أول قدوة يقتدي بها الطفل.. أيها الوالد وأيتها

الوالدة إن التدخين خطر جسيم، يمكن أن يتعرض له أي شخص، من الناس من بدأ يدخن عند سن 30 سنة أو 40 سنة، والآن نجد أطفالًا في عمر الزهور يدخنون، وهم لا يدركون أن هذه السيجارة تدمر صحتهم وحياتهم، وما أيسر أن يقلعوا عن التدخين لو عزموا على ذلك واستعانوا بالله - عز وجل - وسأذكر لك أيها القارئ طرق الإقلاع عن التدخين.

هناك طريقتان:

أولاهما: طريقة التوقف فجأة، وهي كما يقول الأطباء أفضل الطرق للامتناع عن التدخين.

ثانيتهما: طريقة التوقف بالتدريج، أي تقليل كمية السجائر التي تدخن يومًا بعد يوم، فإن كنت تدخن عشرين سيجارة، تخفض هذه الكمية إلى خمس عشرة ثم إلى عشر ثم إلى خمس ... وهكذا.

أو إن كنت معتادًا على أن تدخن سيجارة بعد الاستيقاظ من النوم مباشرة، فيمكن أن تؤجلها إلى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة، والسيجارة التي تدخنها في الثانية عشرة يمكن أن تؤجلها إلى الثانية أو الثالثة، وهكذا، حتى تتمكن من تقليل عدد السجائر التي

تدخنها يوميًا. إن التدخين هو أكثر الأسباب للوفيات في العالم. هل تتصورون أنه في كل ست ثوانٍ يموت إنسان بسبب التدخين؟!! لقد تعرض المفسرون لتفسير الآية الكريمة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]

لقد رفضت السماوات وهي من مخلوقات الله العظمى والأرض أيضًا والجبال بضخامتها وعظم خلقتها، رفضت جميعًا أن تحمل هذه الأمانة، هل تدرون ما هي؟

إنها أمانة التخيير، أن يكون عندك عقل وتستطيع التمييز بين الصواب والخطأ.

قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)﴾ [الشمس: 7، 8] فلديه الشهوة ولديه التقوى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9] وسار في طريق ربه ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: 10] أي سار في طريق هلاكها، واتبع هواه ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3] أما بقية المخلوقات فهم مجبولون على التسبيح بلا اختيار ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:

44] ولذلك فإن بقية المخلوقات تتحول يوم القيامة إلى تراب، وهذا ما يجعل الكافر يتمنى أن لو كان ترابًا يقول تعالى: } إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا{ [النبأ: 40] أي يا ليتني كنت حيوانًا في الدنيا حتى أتحول إلى تراب.

أما المؤمن فإن الله كرمه وخلقه إنسانًا وأعطاه أمانة التخيير وألهمه اختيار طريق الحق طريق رب العالمين.

إن العبد الحقيقي الذي يخاف سيده ويحبه في نفس الوقت، هو الذي يستحي من سيده أن يراه على هيئة لا يرضاها.

فالتدخين مرتبط بالأمانة التي حملها البشر، فإن اخترت الطاعة، فقد اخترت طريق الله وفزت بالجنة ورضا الله، بل والنظر إلى وجهه الكريم.

إن الإنسان مركب من جسد وروح ونفس، فالنفس هي التي تشتهي، ولذا شبهوا النفس والجسد بشخص يركب دابة ليصل إلى مكان ما، فقد يهلك الشخص دابته، وفي هذه الحالة لن يصل إلى مبتغاه. فالنفس إن تركتها وما تهواه أفسدت جسدك الذي تفعل به الطاعات.

من صلاة وصوم وغيرهما، حتى تصل إلى طاعة الله - سبحانه وتعالى -. إن العبد الذي خلقه الله وأعطاه عقلًا يميز به بين الحق والباطل والصواب والخطأ ثم أعطاه جسدًا يتقوى به على طاعته، إذا عصى هذا العبد ربه، ووقع في أسر الشيطان يكون قد ابتعد عن حمى ربه، فكأنه إنسان في صحراء قاحلة، ابتعد عن سيده ووقع في أسر عدوه الشيطان، فأرسل إليه سيده زادًا، حتى يفر من عدوه، فإذا به يأكل الزاد ويهلك الدابة التي تستخرجه من أسره وتوصله إلى سيده. هذا هو الذي يفعله المدخن بالضبط .

والتدخين سبب في خراب بنيان الإنسان وخراب دنياه بالتبعية؛ لأن الإنسان هو الذي يعمرها، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود: 61].

وهذا أحد أسباب وجود الخلق، انظر إلى قول المصطفى، ﷺ: «إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها»(1) أي أن القيامة لو قامت وبدأت أحداثها وانشقت السماء وتساقطت النجوم ... إلخ، وكانت في يد أحدكم نبتة صغيرة وهو موقن أنها لن

تنمو؛ لأن القيامة قد قامت بالفعل فعليه أن يغرسها حتى في هذا الوقت؛ لأن الإنسان خُلق لعمارة الأرض. فما بالنا إذا بعث الإنسان يوم القيامة وقد خرب الدنيا بدلًا من أن يعمرها، فأفسد صحته وخرب جسده وأفسد صحة إخوانه ولوث الهواء الذي استأمنا عليه اللَّه؟!

لقد قامت جمعية برئاسة ثلاثة أشخاص أو أربعة وأنفقوا ستة مليارات دولار للترويج لها وبدأت هذه الجمعية تتوسع ويزداد أعضاؤها حتى وصلوا إلى مائة مليون عربي مسلم، وهدف هذه الجمعية هو قتل خمسة ملايين إنسان في كل سنة!!

أي قتل ستمائة إنسان في الساعة أي عشرة أشخاص في الدقيقة الواحدة. هذه الجمعية ترأسها ثلاث أو أربع شركات لصناعة التبغ أو السجائر التي يتم حشوها بمختلف أنواع السموم، وقد تحول كل أعضاء هذه الجمعية إلى أدوات لقتل أنفسهم وقتل إخوانهم بسلاح واحد، هو السيجارة. ونحن الآن نطلق الدعوة لأعضاء هذه الجمعية؛ للمدخنين حتى يلقوا أسلحتهم ويعودوا إلى عقولهم.

تتكون السيجارة من مجموعة من السموم الضارة جدًّا بالإنسان، وهي:

- الأمونيا، الذي يستخدم في تنظيف الأرضيات.
- مذيب صناعي، يستخدم في تذويب المواد الصلبة.
- الزرنيخ، وهو أحد أنواع السموم.
- الفينول، وهو مطهر للأرضيات لقتل البكتيريا والميكروبات.
- غاز البيوتين، الذي يوجد في الولاعات.
- ال D.D.T، وهو المبيد الحشري المعروف.
- الأسيتون، الذى يستخدم في إزالة طلاء الأظافر.
- الميثانول، وهو أحد أنواع الوقود.
- النفتالين، مبيد الحشرات المعروف.
-
النيكوتين، وهو أشهر مكونات السيجارة، ويُبقي أثرًا سيئًا في الدم يدفع المدخن إلى معاودة التدخين.
- الكالديوم, وهو يوضع في بطاريات السيارات.
- أول أكسيد الكربون، وهو العادم السام الذي يخرج من السيارات.

تصور أن هذه المكونات كلها (بما تحويه من سموم تنزل إلى جوف الإنسان كفيلة بتخريب جسده الذي هو

بنيان الله، ويا ليته يكتفي بتدمير نفسه فقط، بل يدمر المحيطين به أيضًا، فكل مدخن هو مشارك في عملية قتل نفسه والمحيطين به بل أقرب الناس إليه؛ زوجته وأولاده، الذين يضحي من أجلهم ويعمل طوال اليوم حتى يوفر لهم أسباب المعيشة، ولا يدري أنه ينفث في وجوههم السم ليقتلهم.

إن الآلة الإعلامية الضخمة التي سخروها للترويج لهذه السجائر نجحت في مهمتها في الربط بين تدخين السجائر وكل ما هو راق في عيون الغافلين، فربطوا بين السيجارة ومشاهير الفنانين وبينها وبين الرجولة وبينها وبين الثراء، وهذا ما يسمى في علم النفس بالرابط الذهني، فارتبطت البطولة بالسيجارة.

ولكن رغم كل هذا، فإن منظمة الصحة العالمية تبذل قصارى جهدها للتنبيه على أخطار التدخين، حتى ألزمت الشركات المصنعة للدخان بوضع تحذير على علب السجائر يفيد بأنها ضارة جدًّا بالصحة وتؤدي إلى الوفاة، ثم أضافت إلى هذا التحذير الكتابي تحذيرًا مصورًا بوضع صورة لإنسان مريض على العلبة، ثم أخذت الصور تتغير كل فترة إلى ما هو أبشع ولكن المدخنين وقد

ضعفت إرادتهم وصلتهم بربهم، أصبحوا لا يتأثرون بذلك كله!

إن كثيرًا من الأمراض المنتشرة الآن من الالتهاب الرئوي والضعف الجنسي وغيرهما سببه التدخين، لكن المدخنين في غفلة من هذا، تراهم مقبلين على هلاكهم وإيذاء غيرهم وهم لا يشعرون.

فلك أن تتخيل نفسك يوم القيامة وقد أفسدت صحتك وجسدك الذي ائتمنك عليه خالقك، وقد أمسكت زوجتك برقبتك وتعلق بك أولادك وطالبوا بحقهم، فقد كنتَ السبب في تدميرهم وقتلهم. لقد قام البعض بتجربة لتوضيح أثر التدخين على جسد الإنسان فمرروا الدخان الخارج من السيجارة على كمية من الماء وبعد فترة قصيرة وجدوا الماء قد تحول إلى اللون الرمادي ثم الأسود القاتم، فلك أن تتخيل رئتك بهذا الشكل.. يا ألله .. كم أفسدت خلق الله !! كم أدخلت على جسدك الزفت والقطران!

يا من يريد دمار صحته

ويهوى الموت منتحرًا بلا سكين

أبشر فإنك إن أردت لواجدٌ

كل الذي ترجوه في التدخين
تعطي العِدَى المالَ الذي لولاه لم
يستجمعوا كيدًا لهذا الدين
فاهنأ لما حققت للشيطان من
نصر وللأعداء من تمكين

هل تعلمون أن السجائر التي نستهلكها في الشرق الأوسط والوطن العربي أردأ أنواع السجائر، مقارنة بالتى تقدم إلى الشعوب الغربية؟

لقد أضعنا الأمانة، أمانة الصحة التي رزقنا إياها الله - سبحانه وتعالى - الذي قال في كتابه العزيز:{ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [البقرة:195] ، فكيف نتحول من محسنين إلى مبذرين، ذمهم الله - عز وجل - بقوله: } إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورا{ [الإسراء: 27].

فالتبذير هو إنفاق المال في أبواب الحرام، والتدخين من هذه الأبواب، فيه تبذير للصحة لا للمال فحسب، ونحن مسئولون أمام الله - عز وجل - عنها يوم القيامة.

الدوسي، وقد هاجر إلى النبي ﷺ، ثم أصابه مرض ما في يوم من الأيام أنه لما طال عليه المرض قطع يده فرئي في الحلم وهو مسرور، لكنه يداري يده، فقيل له نراك مسرورًا، فلماذا تداري يدك؟ قال: إن الله غفر لي بهجرتي، ولكنه قال لي: لن نصلح ما أفسدته، فقال النبي ﷺ: «وليديه فاغفر يا رب»، فكيف بك وقد أفسدت رئتيك، وغيرها من أجزاء بدنك؟ فأقلع عن التدخين، واحفظ نفسك في الدنيا والآخرة.

إن مصر تعد من الدول الفقيرة النامية، ومع ذلك وحسب إحصائيات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء المصري لعام 2015 استهلك المصريون خلال عام 2015 نحو 85 مليار سيجارة، فيما يتراوح سعر علبة السجائر التي تحتوي على 20 سيجارة؛ بين 15 و25 جنيهًا (1.5 و2.5 دولار أمريكي)، وحسب تلك الإحصائيات فإن حجم الإنفاق على التدخين يتراوح بين 106 مليارات و177 مليار جنيه بمعدل وسطي يبلغ نحو 141 مليار جنيه. ويسدد المصريون ملايين الجنيهات سنويًا على تدخين السجائر ومستلزمات «النرجيلة» التي يتم استيرادها من الخارج، فيما تتضاعف تكلفة الواردات من منتجات السجائر، على الرغم من أن الضرائب

المفروضة على هذه المنتجات قد تصل إلى 200 %.
ومع ذلك نجد ضمن المصريين من لا يجد قوت يومه، ومن لا يجد سقفًا يظله ويحميه من برد الشتاء، وقد وقعت من فترة كارثة الدويقة، حيث انهار جزء من الجبل على السكان المقيمين أسفله، فأصبحت بيوتهم مقابر لهم، فلو أن المصريين المدخنين أنفقوا مبلغ ال 141 مليار جنيه على هؤلاء المساكين لوفروا مساكن لعدد كبير منهم، فلو فرضنا أن الشقة تبلغ قيمتها 100 ألف جنيه لاستطعنا توفير شقة لعدد 75 ألف أسرة متضررة من هذه الكارثة، فأيهما أفضل، أن ننفق 141 مليار سنويًّا لإهدار صحتنا، 141 مليار تطير مع الدخان أم ننفق هذا المبلغ لإيواء هؤلاء الأطفال والشيوخ وحمايتهم من البرد والمطر؟! بالله عليكم أيها المدخنون أيهما أفضل؟!

إن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة إلى كل مليم، الإخوة الفلسطينيون محاصرون في بلدهم، لا يجدون اللقمة التي تسد جوع أطفالهم، أيها العرب يا من تنفقون 100 مليون دولار، قال ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»، ونحن في العالم

الإسلامي مثخنون بالجراح، جرح في فلسطين وآخر في العراق وآخر في أفغانستان ... إلخ.

ومع ذلك نجد المدخنين يفضلون إنفاق أموالهم على سيجارة بدلًا من أن ينقذوا أخًا لهم في الإسلام، سيأتي يوم القيامة متعلقًا برقابهم؛ لأنهم ضيعوا الأمة وأفسدوا الدنيا، ضيعوا الأمانة التي أوكلها إلينا الله - سبحانه وتعالى -.

هناك إحصائية أخرى تقول إن عدد المدخنين في مصر يزيد بنسبة 8 % كل سنة، أي أن عدد المدخنين يزيد في اليوم الواحد بمعدل 4000 مدخن.

يا أيها المدخنون ألقوا أسلحة القتل والدمار من أيديكم، ألقوا السجائر من أيديكم قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم، قبل أن يأتي يوم يتعلق برقابكم أبناؤكم ونساؤكم يطالبون بحقوقهم بعد أن قتلتموهم بأسلحتكم، بسجائركم، ألقوا بأسلحتكم ولا تكونوا عبيدًا للسيجارة، بل كونوا عبادًا لله وحده، هو الذي أنعم عليكم بالمال والعافية.

نعم إن المدخن في حقيقة الأمر هو عبد لسيجارته. إن تعريف العبودية هو أنها: قمة الحب، مع قمة الذل، مع

قمة الاستغناء بالحبيب عن أي شيء.

إن المدخن إذا نادته السيجارة في أي وقت حي على التدخين، فإنه يترك كل شيء، كل شيء من أجل أن يدخن ويلبي نداءها؛ يترك عمله ويترك أولاده ويترك زوجته ليخرج ويدخن السيجارة، فكأنه يصلي لهذه السيجارة ويعبدها؛ لأنها نادته فأسرع بالتلبية، وإذا ناداه ربّ العالمين ربما لا يستجيب، ومن العجب أنك تجد أحدهم يدخل إلى المسجد ليصلي، وعلبة السجائر في جيبه، على قلبه مباشرة! كيف تقف بين يدي ربك ومعك إله آخر تعبده من دون الله؟! إن هذه العلبة التي تحملها هي أداة معصيتك لله، كيف تقابل ربك وأنت تبارزه بالمعاصي؟!

«إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»(1).

فما بالك برب العالمين، تقف بين يديه حاملًا المعصية وهو يكره ذلك؟!

إن المدخنين يعيشون في وهم كبير، ويظنون أنهم لا يستطيعون الكفّ عن التدخين. هناك حالات كثيرة استطاع أصحابها أن يتوقفوا عن التدخين بعد عشر سنوات وعشرين سنة، اتخذوا القرار بالتوقف، وقد كان،

ولم يعودوا إليها. وهذا يثبت صحة نظرية التوقف عن التدخين فجأة، فهذا الأمر ليس مستحيلاً.

إن الذين يذنبون ثم يتوبون تمحى خطاياهم، ليس هذا فحسب، بل يزيد الله في إكرامهم بأن يحول كل هذه السيئات إلى حسنات، لأنهم استطاعوا أن يتخذوا القرار ويتوقفوا عن المعصية. قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[الفرقان: 70].

إنك أيها المدخن تستغرق دقيقتين فقط في تدخين السيجارة، فلو كنت تشرب 40 سيجارة في اليوم فإنك تدخن لمدة ساعتين في اليوم وتظل باقي اليوم بلا تدخين 22 ساعة، إنك تستطيع أن تتوقف عن تدخين هاتين الساعتين، بدليل أنك تتوقف تمامًا عن التدخين طوال نهار رمضان، ولذلك فأنت تستطيع أن تتوقف عن التدخين وقتما تشاء.

إننا نريد حياة بلا تدخين . قال، ﷺ: «لا يزال المسلم في فسحة من دينه» أي أن باب التوبة مفتوح حتى قيام الساعة أو حتى لحظة الغرغرة قبل الموت.

لقد صدرت فتوى بتحريم التدخين، إن البائع الذي يتاجر في الدخان يظن أن الله لن يرزقه إلا عن طريق بيعه هذا السم للناس! كيف وهو القادر على كل شيء! إن الله سيرزقك أضعاف ما تكسبه من بيع هذه السموم. يجب أن تكون متأكدًا من ذلك، يا أيها المدخن كن عبدًا للرحمن، ولا تكن عبدًا للدخان. إن الله تعالى يغار على عبده عندما يرتكب الذنب؛ لأنه يذل نفسه لشيء حقير، يا أخي استعن بالله، وكلما فكرت أو احتجت إلى السيجارة أو غيرها، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، إن أقوى علاج للتدخين هو الاستعانة به - عز وجل - والتقوّي به على ترك هذه المعصية. فلتقلع عن التدخين ولتعلم أنك تستمد قوتك وإرادتك في ذلك من القوي العزيز من رب العالمين، ولا تستمع إلى شيطانك فهو لك عدو مبين.

⋆ ⋆ ⋆

خدعوك فقالوا... الاقتراب من اللَّه يولد الابتلاء؛ لأن المؤمن مبتلًى

يعتقد كثير من الناس خطأً أن الاقتراب من الله والسير في طريق الإيمان يولد دائمًا الابتلاء ويوجد الكثير من العقبات التي لا نتحملها وتعرقل السير في طريق الإيمان، وبالتالي فهم يعتقدون أن الله - عز وجل - لا يريدهم ولا يحبهم ولا يقبلهم. والحقيقة أن الله - عز وجل - رحيم

بعباده وحكيم في أفعاله، لكن العبد كثيرًا ما ينخدع فيما يأتي من عند اللّٰه - عز وجل - من رسائل، خافيًا عليه أنها جاءت كي تشجعه على فعل الخير والقرب من اللّٰه سبحانه؛ لأن اللّٰه تبارك وتعالى يحب لنا الخير دائمًا ويهدينا إليه مرة بعد مرة حتى نلتزمه ولا نحيد عنه.

إن للّٰه - عز وجل - علامات يضعها في طريق عباده ليرشدهم إليه وليثبتهم على طاعته ويبعدهم عن الخطأ، وهذه العلامات لا يدركها إلا من فتح اللّٰه عليه بنور العلم والبصيرة تمامًا كإشارات المرور وعلامات الطريق، فإنها فاصلة ومهمة جدًّا، ولا ينبغي أن تفوتنا؛ لأنها تؤسس علاقتنا باللّٰه - عز وجل - وتهدينا إلى الطريق الصواب الموصل إليه - سبحانه وتعالى - حتى يرفع درجاتنا ومنزلتنا، ومن هذا القبيل تكون الابتلاءات التي تواجه الباحثين عن رضا اللّٰه.

فحياة الالتزام تكون أحيانًا شديدة وجادة، وهم غير واعين كيف يستطيع العبد أن يلتزم ويخشع للّٰه وهو في أفضل حالاته، وهو سعيد؛ لأنه ارتكن إلى ركن، صحيح أنه متين، لكن الرسول ﷺ أمرنا أن نوغل فيه برفق.

حيث قال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق»(1).

فلا تستمع إلى من يقول: إذا كنت ستقترب من اللّه - عز وجل - فتلقَّ المشاكل والابتلاءات؛ لأن المؤمن مبتلى ومصاب، فإن هذا الابتلاء تكمن فيه الرحمة، فاللّه - عز وجل - لا يبتلي العبد إلا إذا علم أن العبد يستطيع أن يخوض هذا الابتلاء، ويتحمله، ويقاومه، فاللّه خبير بعباده، لطيف بهم ورحيم، حكيم في أفعاله كلها - سبحانه وتعالى - فلا تقل: «أخشى أن ألتزم فأواجه المشاكل والبلايا»؛ فإذا قدر اللّه عليك البلاء فسينزل سواءً كنت قريبًا من اللّه أم بعيدًا.

بدايةً، ليس الابتلاء بالشر فحسب، بل يكون بالخير أيضًا، وهو فتنة كذلك، يقول اللّه - عز وجل: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } [الأنبياء: 35]، فهناك ابتلاء يكون بالتوسعة والفتح؛ أو بكثرة الأموال والعقارات، بكثرة الأولاد، فاللّه - عز وجل - يعطي ويمنع، ويرفع ويخفض، ولو تصرفنا وفق إرادة اللّه - سبحانه وتعالى - سيرضى عنا؛ لأنه يحب أن نقترب منه، فاللّه حكيم. فأحيانًا يوسع عليك لأنه يعلم أنك لن تقترب إليه إلا بالتوسعة، وأحيانًا يمنعك لأنه يعلم أن التوسعة عليك ستضرك. لذا قال تعالى: } كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ

لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } [البقرة: 216].

فإذا جاءك من يحذرك من طريق اللّٰه لأنه محفوف بالمشاكل والمخاطر فاشكره لأنه أعطاك العلامة والإشارة، أعطاك الدليل، وهذه العلامة هي أن اللّٰه - عز وجل - قد قبلك؛ لذا اختبرك وابتلاك، حتى يكون التعامل بينك وبينه - سبحانه وتعالى - أكثر قربًا ورغبة ورهبة، فلا يكتب في حقك أنك قد نسيت اللّٰه - عز وجل - فأنساك نفسك، كالذين قال - عز وجل - فيهم: } الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ { [التوبة: 67].

ثم إن هناك ما يسمى بقانون الحب، فلا يستطيع كائن من كان أن يثبت لحبيبه حبه في الأوقات العادية، في أوقات الرخاء، بل لا بد من الشدة والمشقة حتى تظهر التضحية، ففي الشدة يظهر الاختيار؛ أختار حبيبي أم غيره، أم أختار نفسي وراحتي، فالمواقف التي فيها معاناة تثبت فيها أن حبيبك أغلى عندك من الدنيا وما فيها، ومن روحك ونفسك التي بين جنبيك.

ولنضرب على ذلك مثالًا: فالشركات الكبرى عندما تميز الموظفين وترقيهم، يكون ذلك على أساس إحساس الشركة بأن هذا الموظف يتفانى في حب الشركة؛ لأنه لا يتعامل مع الشركة تعاملًا عاديًا، فهناك من الموظفين غيره من يأتي في وقت الحضور، ويذهب في وقت الانصراف، ولا يجلس دقيقة واحدة فوق وقته، وهناك من ينتظر فوق وقته بكثير، ويضحي بنومه وبراحته وباجتماعياته وبصحته في سبيل الشركة، في أوقات الذروة واحتياج العمل إلى ذلك فهو إنسان مخلص، ولديه انتماء لعمله، وهذا هو الذي تلتفت إليه الشركة وترقيه، وتضع له اعتبارًا، فذلك هو قانون الحب؛ من أعطى وجد، ومن أحب بذل.

فلقد حوصر النبي ﷺ والصحابة ﵃ في شعب أبي طالب محاصرة اقتصادية واجتماعية في أوائل الدعوة لمدة ثلاثة أعوام، وذلك عندما قررت قريش أن تحرمهم من التعامل معها في وقت كان النبي ﷺ محتاجًا لكل الدعم والسند والتأييد، لكن حاشا للنبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أن يَشُكُّوا في هذا الطريق، طريق الدعوة؛ لأن هذا الطريق هو الذي صنع لهم الثقة بالله، والثقة في أنفسهم، لكنها العبرة إلى الناس جميعًا،

ويدخل النبي ﷺ ومن معه من الصحابة في مجاعة، فأكلوا معًا، وقسموا اللقمة فيما بينهم، واقتسموا ملابسهم فيما بينهم، وازدادوا ترابطًا ومحبة وأخوة، حتى جاء مجموعة من المشركين الذين أشفقوا على المسلمين من هذه الحالة، فاتفقوا أن ينقضوا العهد مع قريش، وكأن الله يقول للمسلمين وللنبي إنها ليست مسألة كفار، إنهم ليسوا بأقوى منك، بل أنت الأقوى، والدليل أنهم هم الذين صنعوا الأزمة، وهم الذين أنهوها، وهذا كله بقدر الله - عز وجل - وبقضائه حتى يثبت المؤمنين على عقيدتهم في الدنيا، ويقوّي شوكتهم؛ لأنهم سيجدون كثيرًا من المصاعب في سبيل الدعوة بعد ذلك.

وانظر إلى سيدنا علي بن أبي طالب، فقد تعرض لابتلاء منذ مولده، فقد أنجب أبوه أولادًا كثيرين، وواجهته أزمة مالية في بيته، فكيف سينفق على هذا العدد الكبير! فهذا في ظاهره ابتلاء ومصيبة، لكن في باطنه الرحمة، حيث تولى النبي ﷺ تربية سيدنا علي, حتى صار من أكابر الصحابة، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا { [النساء: 19].

فليس هناك نجاح بلا كفاح، ولا رفعة دون تضحية، وتلك سنة إلهية، فلا يزعجنك ما قد تجد من مشقة، واحتسب ذلك كله عند اللّه - سبحانه وتعالى. إذن فالذين يحبون الله تعالى يرون أن كل أفعاله مصدرها الحب وإرادة الخير والحكمة، فلا تخشَ طريق الله ولو كان حافلًا بالمشاكل، بل قل: حبيبي يعلمني شيئًا، ويأخذ بيدي بالطريقة الأنسب.

هل سمعت عن نبي من الأنبياء لم تحدث له أي ابتلاءات أو أزمات؟! كلهم بلا استثناء تعرضوا للابتلاءات وكان يأتي بعدها فتح مبين. سئل الإمام الشافعي رحمه الله: الابتلاء أفضل أم التمكين؟ فرد قائلًا: «لا يأتي التمكين إلا بعد البلاء».

لذا قال الله تعالى: } أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) { [العنكبوت: 2، 3].

إن الله - عز وجل - يبتلي العبد محبة منه, لا ليعذبه بل يبتليه ليهذبه، وما ابتلاك ليبعدك، ولكنه ابتلاك ليقربك، والدليل على ذلك أنه أرسل النبي ﷺ لنا، ووصاه بالرحمة بنا؛ لذلك قال تعالى مخاطبًا حبيبه: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، ثم جعل له في الآخرة مكانة عظيمة وهي الشفاعة، فإنه سيشفع لنا يوم القيامة رحمة من الله - عز وجل - بنا، فلا تقل إنني كلما اقتربت من الله وشعرت بالسكينة وحلاوة الإيمان، اقترفت ذنوبًا أرجعتني إلى الوراء عشرات الخطوات، بل اقترب منه أكثر والجأ إليه - عز وجل - وجدد التوبة إليه سبحانه، فإنه سيثبتك ويرفع همتك ويزيد إيمانك.

هناك أمور مرتبطة بالجو المحيط والأصحاب، فإذا اقتربت من الله - عز وجل - وعاقتك البيئة والأصحاب، فلا تتردد أن تغيرهما وإلا عدت إلى ما كنت عليه، فليس المرء سوى نفسه وبيئته وأصحابه، وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(1) . فكأن الإنسان نصفان؛ الأول نفسه، والآخر من حوله، فلو أن نصفه الأول حسن، والآخر سيئ، فسيحدث - لا محالة - نزاع، أما إذا اتفق النصفان كان ذلك خيرًا له وكان العون على الخير.

تمامًا كمن يستعين بأصدقائه ليتمكن من الاستيقاظ لصلاة الفجر، فالمنبه وغيره لا يصلح معه، لا بد من الأصحاب، لا بد من الأصدقاء حتى يواظب المرء على فعل الخيرات، وحتى يستمر في الطريق إلى الله.

وتلاحظ أنه قبل الهداية إلى طريق الله - عز وجل - كانت هناك أشياء كثيرة خطأ في حياتك، تجلس في أي مكان، تخرج في أي مكان، تشغل وقتك بأي شيء، تشاهد أي شيء، وعندما اقتربت من طريق الله - عز وجل - ظللت تضحي بهذا، وتبعد عن ذاك، لكن للأسف بعد هذه التضحية بكل ما كنت تصنعه لم تصنع شيئًا يشغل هذا الفراغ، لم تضع هدفًا، فمن قبل كان كل هدفك أن تكون سعيدًا، تضحك، تلعب، تخرج، تسهر. وبعد الالتزام انتهى كل هذا، لكن ما البديل، فلو ظللت هكذا بدون أن تضع لنفسك برنامجًا فستسوقك نفسك المليئة بالشهوات إلى الهاوية، ستعود بك إلى حيث كنت، ولكن لو سقتها أنت، وشغلتها بصالح الأعمال فلن تحيد عن طريق الله مرة أخرى.

فقراءة القرآن، ومدارسة العلم، ومجالسة العلماء، ولعب الرياضة، والدورات التدريبية، وعملك، كل هذه الأشياء تشغلك في الحق، فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك

بالباطل، فلذلك نحن نكرر التركيز على الصحبة؛ لأنها هي السبيل إلى شغل النفس في طاعة اللّٰه. والهجرة أي «المكان» مهمة جدًّا لأن المكان الذي كان يصنع فيه المرء المعاصي أصبح لا يلائم الجو الإيماني الجديد، وكلنا يعلم قصة الرجل الذي قتل 99 نفسًا وذهب للراهب فسأله: هل لي من توبة؟ فقال: لا. فقتله فأتم به المائة، ثم ذهب إلى العالم، فقال: (قتلت مائة نفس فهل لي من توبة؟) قال: نعم، ولكن اذهب إلى الأرض الفلانية فإن بها أناسًا يعبدون اللّٰه - عز وجل - فذهب وبينما هو في طريقه قبضه اللّٰه - عز وجل - فاختلفت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، حتى توصلوا إلى أن يقيسوا المسافة بين الموضع الذي مات فيه والمكان الذي خرج منه والمكان الذي سيذهب إليه، فإن كانت المسافة بين موضع موته والمكان الذي خرج منه أقل أخذته ملائكة العذاب، وإن كان العكس أخذته ملائكة الرحمة، فطوى اللّٰه - عز وجل - الأرض ليقترب الرجل من الموضع الذي ينتقل إليه، فغفر له، وذلك بعد أن قتل مائة نفس، فالهجرة مطلوبة والمكان مهم لإعانتك على طاعة اللّٰه - عز وجل -.

وكل هذه الأمور تحتاج إلى تضحية وإلى بذل الغالي والنفيس، يقول الله عزوجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴾ [البقرة: 218]. ظل النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى الله في مكة، وآمن به ما يقرب من المائة والعشرين، وذهب يدعو القبائل في أنحاء شبه الجزيرة العربية، فأوذي وضرب، حتى جاء ستة من شباب يثرب إلى مكة، فجلس يدعوهم ﷺ فآمنوا به، وقد كانوا يسمعون عنه ﷺ من يهود يثرب، وذهبوا ورجعوا بعد عام اثنتى عشر رجلًا ثم بعد عام آخر عادوا سبعين فردًا، واتفقوا مع النبي ﷺ على نصرته وحمايته حتى يبلغ رسالة رب العالمين، لكن عم النبي ﷺ سيدنا العباس، وأرضاه، (الرجل الحكيم)، قال لهم: إنه منا في حمية ومنعة، فشاوروا أنفسكم حتى لا تضيعوه. فقام سيد من سادات الأنصار السبعين وهو أسعد بن زرارة وتحدث للقوم وبين لهم أن الإيمان بالنبي ﷺ ليس أمرًا سهلًا قائلًا: إن كنتم خرجتم من دياركم لنصرة هذا النبي فاعلموا أن هذا الأمر سيضطركم إلى مفارقة العرب، وستحدث الحرب لا محالة وسيحدث القتال، وقد تقتلون في سبيل نصرة هذا النبي،

فإن كنتم تصبرون على ضرب السيوف من أجله فافعلوا، وإلا فذروه. وهنا لم يتراجع القوم عما يحملون في صدورهم من إيمان بالنبي ﷺ ، بل ظلوا صامدين مؤمنين، وهنا كان الاختبار، وكان الابتلاء الذي تحدثنا عنه، فلم يخشوا ولم يجبنوا ولم يخافوا، فكانوا أفضل خلق اللّه - عز وجل -.

لكنهم قالوا: يا رسول اللّه، إن نصرناك تتركنا وتذهب إلى عشيرتك بعد أن يتحقق لك النصر، وبعد أن نفترق مع اليهود وتصبح بيننا وبينهم عداوة؟. فقال النبي ﷺ وهو أوفى الأوفياء: «بل الدم الدم، والهدم الهدم»(1)، أي إن دمكم أصبح دمي، وما يهدم مصالحكم يهدم مصالحي.

يقول اللّه - عز وجل -: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، صلى اللّه على محمد وسلم. إذا كنت ممن يقولون إن سبب بعدي عن اللّه - عز وجل - أنني كلما أذنبت ذنبًا ضاق صدري واسودَّ طريقي وشعرت أن اللّه - عز وجل - لا يريدني – فأبشر فقد وضعت يدك على المشكلة، مبارك عليك أنك عرفت طريق جنتك، مبارك عليك كثرة التوبة والاستغفار، وكثرة الرحمات التي

تنزل عليك عندما تخطئ فتتوب، ودليل توبة الله عليك أنه فتح لك باب التوبة.

يقول الله تعالى: } وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ { [التوبة: 118]، مبارك عليك أنك قد عرفت أن الله يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، يقول الله تعالى: } حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3){ [غافر: 1- 3] عن أبي هُرَيْرَةَ عنِ النبي ﷺ «أن رجُلًا أذْنَبَ ذنبًا فقال ربِّ إني أذْنَبْتُ ذنبًا أو قال عَملْتُ عملًا ذَنبًا فَاغفِرْهُ، فقال - عز وجل -: عبدي عمِلَ ذَنبًا فعَلِمَ أن له ربًّا يَغفِرُ الذَّنبَ وَيَأخُذُ بِهِ قد غَفَرتُ لعبدي. ثمَّ عمِلَ ذَنبًا آخرَ أو أذنَبَ ذَنبًا آخرَ فقال: ربِّ إني عَمِلتُ ذَنبًا فَاغفِرْهُ. فقال - تبارَكَ وتَعالَى -: علِمَ عبدي أن له ربًّا يَغفِرُ الذَّنبَ وَيَأخُذُ بِهِ قد غَفرتُ لعبدي.. ثمَّ عمِلَ ذَنبًا آخرَ أو أذنَبَ ذَنبًا آخرَ فقال ربي إنى عَمِلتُ ذَنبًا فَاغفِرْهُ فقال علِمَ عبدي أن له ربًّا يغْفِرُ الذّنْبَ ويَأْخُذُ بِهِ قد غفَرْتُ لعبدي فلْيَعْمَلْ ما شاءَ» (1). ويقول رسول الله ﷺ في هذا: «ولا يمل الله حتى تملوا». أي أن الله لا

يمل من كثرة التوبة على العبد التائب العائد حتى يمل هو من الرجوع إلى الله، وفي هذا يقول الله - سبحانه وتعالى -: } قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)} [الزمر: 53-54].

فلا تيئس من التوبة فأنت مسلم مؤمن بالله - عز وجل - الذي قال في كتابه العزيز: {قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78)} [يوسف: 78] والله - عز وجل - هو الذي خلقك وسواك وهو أعلم بنيتك وتفكيرك، يقول الله تعالى: } كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216]، فهو يعلم أنك ستذنب. يقول رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم»[1].

ويقول الله - عز وجل -: } هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ۖ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ

قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: 38]. ويقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي مبلغًا عن ربه - سبحانه وتعالى -: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(2).

وهكذا تتجسد رحمة اللّه - سبحانه وتعالى - ورأفته، وهكذا يفرح اللّه - عز وجل - بتوبة عبده، وقد بين النبي ﷺ هذا عندما فقد أعرابي دابته في الصحراء، وعليها طعامه وشرابه، فقد أخذته سِنةٌ من النوم، وعندما استيقظ لم يجدها، فذهب إلى مكان نومه لينام حتى يأتيه الموت، وعندما استيقظ وجد دابته فوق رأسه ففرح فرحًا شديدًا حتى أخطأ وقال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك» أخطأ من شدة الفرح.

فقال ﷺ: «اللّه أفرح بتوبة أحدكم من رجل بأرض دوِّيَّة مهلكة، ومعه راحلته عليها زاده وطعامه وما يصلحه، فأضلها، فخرج في طلبها حتى إذا أدركه الموت، قال: أرجع إلى مكاني فأموت فيه، فرجع إلى مكانه الذي أضلها فيه، فبينما هو كذلك إذ غلبته عينه، فاستيقظ،

فإذا راحلته عند رأسه، عليها زاده وما يصلحه، فالله أفرح بتوبة أحدكم من هذا الرجل»[1] .

هيا لنفرح الله - عز وجل - ، هيا لننطلق إلى طريق الله - عز وجل - حتى ولو كان في الطريق مصاعب، هيا نحطم الصعاب ونضرب المثل في الالتزام بما يرضي الله - عز وجل -.

* * *

خدعوك فقالوا... الفهلوة أهم من العلم في هذا الزمن!

ينصرف كثير من الناس عن القراءة والتعلم في هذه الأيام؛ ظنًّا منهم أن هناك وسائل أخرى أقل جهدًا وأكثر سرعة للوصول إلى أهدافهم المنشودة في الحياة! فأصبح الكثير يستسهل استخدام الفهلوة والاعتماد على المعلومات المتوارثة والشائعة في المجتمع بصرف النظر

عن مرجعيتها العلمية ما دامت تحقق لهم مبتغاهم على المدى القصير مع عدم إدراكهم بحقيقة آثارها على المدى البعيد، ومن ثم أصبحت تلك المبادئ الخاطئة تُغني عن العلم والتعلم!

مثلًا تجد الكثير من الناس اهتموا بجمع المال بالطرق المعتادة في مجتمعاتهم بدون علم حقيقي لدراسة السوق وظروفه، أو الزواج والإنجاب وتربية الأولاد معتمدين في هذا على أنفسهم وخبراتهم البسيطة في الحياة وعاداتهم الموروثة التي اكتسبوها من المجتمع، وقد غفلوا عن أن الوصول إلى هذه الأهداف المنشودة يحتاج إلى القراءة والعلم الصحيح، فمن يجمع المال وهو ملم بأحكام التجارة شرعًا يعصم ماله من الربا والعقود والمعاملات الفاسدة، وإذا قرأ في فنون التجارة كالتسويق ودراسة السوق واختيار مواصفات المنتج وأفضل النماذج له (الموديلات) استطاع أن يغزو السوق على علم بدلًا من أن يفاجأ بأمور لم تكن بحسبانه.

والزواج والإنجاب وتربية الأولاد أمور تحتاج - كذلك - إلى علم شرعي بأحكام الخطبة والزواج والزفاف، واستقبال المولود وعقيقته، وتسميته وتربيته على الفضائل كيف تكون، وتعليمه الصلاة كيف تكون، ثم

تحتاج إلى علم حياتي كفنون الاتصال مثلًا في مرحلة الخطبة وكيف يتعامل مع الأهل والأصهار وزوجته بعد ذلك، وكيف يتغلب على مخالفات الأبناء، وكيف يخلصهم من العادات السيئة التي قد يكتسبونها من بعض أفراد المجتمع؛ واختيار أفضل نظم التعليم لهم، ومساعدتهم في المذاكرة وغير ذلك مما يحتاج إلى علوم حياتية. وصنفا العلوم هذان من الدين؛ فالعلم الشرعي من الدين، والعلم الحياتي من الدين أيضًا لأنه يساعد في عمارة الأرض، فنحن مكلفون شرعًا بإعمارها على نحو يرضي الله - عز وجل - القائل في كتابه العزيز: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: 61].

لعل السبب وراء ذلك الاعتقاد بعض المعوقات الشخصية التي تصد عن القراءة والتعلم؛ من قبيل نقص المعلومات عن القراءة وخطواتها، وعن العلوم التي يحتاج إلى تعلمها، وضعف الثقة بالنفس، والخجل، والتكبر، وقد عالجها خبراء العلوم الإنسانية، ومنهم الدكتور إبراهيم الفقي، والذي اعتمدنا على كتبه في هذا الموضع.

- تعرف الفكرة وشرحها:

لكل موضوع فكرة أساسية يحاول مناقشتها، بمعرفة تلك الفكرة يسهل على القارئ تحصيل معلومات أولية عن الموضوع، فإذا عرف الأفكار الفرعية أو الداخلية حصل معلومات أكثر وأعمق.

ومن المفيد بعد تعرف الأفكار أن يشرحها القارئ لنفسه؛ فهو بذلك يثبت ما فهم من المعلومات ويؤكدها بذهنه.

- تحويل الفكرة إلى صورة:

بعد معرفة الفكرة يحسن أن يحولها القارئ إلى صورة؛ فإن ذلك يسهل شعوره بها، فيكون بهذه الخطوة قد فهمها مرة بالشرح وأخرى بتحويلها إلى صورة، فكأنه فهمها مرتين؛ لأنه استخدم طريقتين من الطرق التي تدخل بها المعلومات إلى المخ.

- الكتابة والتكرار:

وبعد أن تكون المعلومة قد أدخلت إلى المخ عن طريق الشرح والتحويل إلى صورة يأتي دور الكتابة؛ حيث إنها تضع المعلومة في الذاكرة المتوسطة المدى. وبتكرار المعلومة تنتقل إلى الذاكرة طويلة المدى، بحيث يسهل تذكرها. عملية التذكر هي استدعاء المعلومات من الذاكرة طويلة المدى، وذلك عند الحاجة إليها.

- كيف نتذكر بسهولة:

وحتى تكون هذه العملية سهلة ينبغي أن نتخلص من أنواع البرمجة السلبية المتمثلة في مشاعر القلق والتوتر والخوف والإحباط، وغيرها من المشاعر التي تؤثر سلبيًّا على التذكر؛ وذلك لأن المخ يعطيها الأولوية في العمل، فينصرف عن العملية الأساسية، وهي استدعاء المعلومات.

- العلوم التي ينبغي تعلمها:

قد يسبب عدم الوعي بما ينبغي تعلمه تفريق الجهد في علوم كثيرة، وهو ما يسبب الملل وضعف الثقة في الوقت نفسه؛ نظرًا لعدم تحصيل شيء يذكر؛ وذلك لتشتته في اتجاهات كثيرة.

ولكي يتغلب الإنسان على هذا الصارف ينبغي أن يكون له رؤية وغرض وغاية: فهي ما تريد أن تصل إليه بعد فترة زمنية كخمس سنوات أو عشر مثلًا.

فأما الرؤية..

وأما الغرض: فيتكون من مجموعة أهداف تحققها لتصل إلى تلك الرؤية؛ والهدف: كل شيء يريده الإنسان وينتهي بمجرد تحقيقه

والهدف هو: كل شيء يريده الإنسان وينتهي بمجرد تحقيقه. فهي أن تربط رؤيتك بشيء عظيم، ولا أفضل من أن تربطها باللَّه - عز وجل - فهو أعظم من كل شيء.

وأما الغاية:

فإنك إذا أردت أن تكون مديرًا فهذه هي الرؤية، وغايتك في ذلك أن تخدم أكبر عدد من العمال ابتغاء وجه اللَّه - عز وجل - والغرض من تلك الرؤية أن تكون ذا وضع مميز، وأن تحقق أموالًا أو ثروة كبيرة. وهذا يستوجب أن يكون لديك مجموعة من الأهداف، كأن تتخرج بتقدير ممتاز، هذا العام مثلًا، وأن تتعلم أكثر من لغة في العام المقبل، وأن تحصل على دبلومة في تخصصك العام الذي يليه، وأن تقترح مشروعًا أو خطة لسير العمل في الشركة التى تود العمل بها في العام التالي، فإذا حققت هذه الأهداف تحققت رؤيتك وأصبحت مديرًا في أربع سنوات.

- ضعف الثقة بالنفس:

قد ينصرف الإنسان عن القراءة والعلم لأنه ضعيف الثقة بإمكانيته، كأن يكون كبيرًا في السن، أو غير ماهر بالقراءة، وما إلى ذلك من عوامل تسهم في ضعف ثقة

الإنسان بنفسه وسبب هذا الشعور هو ما يعرف بالمفهوم الذاتي.

فلكل منا مفهوم عن نفسه، يتكون وفق ما ربي عليه وما تعلمه وما اقتنع به، وهذا المفهوم يؤثر على تصرفاته وقراراته في الحياة؛ فقد ولدنا بغير مفهوم ولا إدراك فأخذناهما من البيئة المحيطة بنا؛ أسرتنا وأقاربنا وجيراننا وتعليمنا فتكون لدينا لغة داخل اللغة، وقيمة داخل القيمة، واعتقاد داخل الاعتقاد.

ثم كون لنا المفهوم الذاتي ما يعرف بالمثل الأعلى الذاتي الذي قد يضطر الإنسان إلى الكذب مثلًا حتى يحافظ على صورته أمام الناس. وحتى لا يضع نفسه في موضع دفاع عن ذلك المثل الأعلى؛ فإنه يظهر ما يسمى بالصورة الذاتية التي تكونت بسبب سلوكياته وثقة الناس به، فأصبح يصدق نفسه في أنه ناجح ومتميز، وهذا يكون ما يعرف ب التقدير الذاتي، وهو فكرة الإنسان عن نفسه وتقبله وهيئته وأفكاره وعلمه ونحو ذلك.

ثم يتكون الحب الذاتي للنفس حتى تستطيع حب الآخرين، فهذا هو التقدير الذاتي الذي يفسر المفهوم الذاتي.

يأتي أخيرًا ما يعرف بالتحقيق الذاتي، ويكون بالعمل المعتمد على الفكر والفعل، وهما ضروريان لتحقيق أمر الله - عز وجل - في قوله - سبحانه وتعالى -: }وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{ [التوبة: 105]، فما علينا في أي شيء نقبل عليه إلا أن نفكر ثم نفعل، والنتيجة بعد ذلك بيد الله - عز وجل - فليس بعد العمل فشل أو نجاح، بل هناك نتائج وهي من عند الله وحده لحكمة يعلمها - سبحانه وتعالى - فلنأخذ بالأسباب كلها، ونتوكل على مسبب الأسباب، وبعد ذلك كله تأتي الثقة بالنفس.

قد يشكو إنسان من أنه كلما تقدم خطوة تأخر خطوتين، وأنه لا إرادة له ولا عزيمة، وذلك بسبب ضعف الثقة بالنفس والقدرات، وعدم الإفادة من الموقف الذي أخفق فيه، وليس معنى إخفاقه أنه إنسان سيئ.

فقانون النجاح يعلمنا أن النجاح قد يقود إلى نجاح آخر، وقد يقود إلى فشل، ولعل الله - عز وجل - قدر ذلك على عبده ليتعلم شيئًا مهمًا حتى يتفادى الوقوع فيه مرة أخرى، وأن يعلم أن الإخفاق بداية وليس نهاية كما يظن كثيرون.

قد يغفل عن هذا من يبالغ في الاهتمام بنظرة الناس إليه ويحذر في تصرفاته كلها حرصًا منه على التقبل الاجتماعي، وحتى يظهر بالصورة التي يشكره الناس عليها، فمتى أخفق فكر في ذلك كثيرًا، وهذا معناه أن لديه ضعفًا في التقدير الذاتي.

يخفف من وطأة ذلك الشعور أن الإنسان يكون مراقبًا الله - عز وجل - مبتغيًا مرضاته في أعماله كلها، فيكون همه الأول وشغله الشاغل هو الله - عز وجل - لا الناس، فيفعل ما يرضي الله - عز وجل - عنه غير آبه بالناس.

إن الثقة بالنفس هي سر النجاح، ومعناها أن تكون على ثقة بأنك ستنجح، بالإضافة إلى الفعل، فالنجاح يساوي عملًا وثقة.

- الخجل (سخرية الآخرين):

قد يخجل الإنسان أن يسأل في أمر لا يعرفه، إما لسِنِّه أو لمكانته أو لشيوع المعلومة التي يطلبها، كذلك قد يكون لسخرية الناس دور في تحرجه، فقد يسخر منه الناس إن هو طلب العلم وقد تقدمت به السن، بل قد يسخرون منه ولو كان في سن صغيرة، كما لو كان طالبًا!!

إننا في مجتمع يرى المتعلم والمثقف (أو من يحاول) إنسانًا غريبًا، وتجد من يثبط من همته، والمخرج من هذا كله أن يكون الإنسان مقتنعًا بجدوى ما يفعل وأهميته، وبأنه عمل يرضي الله - عز وجل -. فلا تلتفت إلى من يسخر منك، بل لا تلفت إلى من ظلمك بسخريته أو بغيرها من وسائل الظلم، وأفضل ردٍّ هو النجاح.

لنعلم جميعًا أن الناس لا يتفقون على كلمة واحدة، ولا يرضيهم شيء، ولا إنسان كائنًا من كان، فلتطرح رأيهم جانبًا، ما لم يكن بنَّاءً، ولتقل لمن يحاول أن يثبطك: رأيك فيَّ ليس دليلا علَيّ ولن يدل عليّ.

- التكبر:

من الصوارف التي تصرف الإنسان عن طلب العلم أن يظن أنه يعلم كل شيء، فلا يحاول أن يرقي نفسه بالقراءة أو المذاكرة أو المدارسة فيكون بذلك قد تكبر؛ لأنه لبس رداءً أكبر من حجمه، بل يكون أجهل الناس؛ فإنه قد جهل حقيقة نفسه، فضلًا عن أنه يصرف نفسه عن العلم بدعوى أنه عالم، فكما يقال: «لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإن قال: علمت. فقد جهل».

بل قال النبى ﷺ: «آفة العلم النسيان, وآفة العبادة الرياء, وآفة النجابة الكبر»(1).

وختامًا:

فإن العلم والقراءة شرف عظيم، لا يرتبط بسن، ولا ينبغي أن يعوقه عائق، فلا بد أن أعلم كل يوم شيئًا جديدًا؛ عن علاقتي بربي - عز وجل - وعن علاقتي بالناس ومعاملاتي معهم، وعن مهنتي أو عملي الذي أعمل. فإنك لا تدري ما أنت فيه غدًا، فلعلك تكون مسئولًا أو مديرًا، أو صاحب عمل، أو ذا نشاط دعوي، وأنت محتاج في ذلك كله إلى العلم، ولا تقل فاتني طلبه.

ولا تخجل أن تسأل عن أمر ولو كان معلومًا من الدين بالضرورة، ولا تتكبر بمكانتك أو بمنصبك، فإن ذلك يورث الجهل، وإنك متى تغلبت على نفسك، فلم تخجل ولم تتكبر حصلت من العلم الكثير، كما حصل الإمام ابن حزم صاحب المذهب الظاهري، فإنه دخل المسجد ذات مرة فجلس ولم يصلِّ فقيل له: قم فصل ركعتين تحية المسجد، ففعل، ثم دخل بعد العصر وقبيل المغرب، فصلى ركعتين، فقيل له: لا تصلِّ. فسأل: أصلي أم لا أصلي؟ فَعُلِّمَ أن تحية المسجد في كل الأوقات إلا أوقات الكراهة، ووقت غروب الشمس من تلك الأوقات فهو لم

يخجل أن يسأل في أمر متعلق بالصلاة، بل عزم على طلب العلم ولم يتكبر مع أنه من عائلة ثرية ذات منصب وجاه، فأخذ في التعلم لمدة ثلاث سنوات، جمع فيها الفقه جمعًا، حتى صار صاحب مذهب من المذاهب. ولو قال سيسخر الناس مني ما حصَّل من العلم شيئًا.

فصالح بن كيسان، وهو أحد رواة البخاري، طلب علم الحديث وهو في السبعين، حتى حصله وهو في التسعين من عمره، وظل يعلمه الناس خمسين سنة حتى مات عن مائة وأربعين سنة، فلو قال وهو في السبعين لقد فاتني طلب العلم وأصبحت شيخًا مسنًا لما وصل إلى هذه المكانة، وبديهي أنه لم يكن يعرف أن عمره سيطول إلى هذا الحد، فقد طلب العلم وهو متيقن أنه قد يموت من توه، أو غدًا، أو بعد سنة، فالرجل قد بلغ السبعين، والنبي ﷺ يقول: «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين»(2)، لكنه لما تعلم أصلح عمره الذي كان يتبقى منه سبعون سنة غير السبعين التي عاشها! ولا تقل: علمت. ولو كنت من أعلم الناس، فإن هذا باب من أبواب ضياع العلم، بل اسأل الله - عز وجل - أن يعلمك من فضله.

فإن رسول الله ﷺ وهو خير الأنبياء والرسل وهو يوحى إليه من رب العالمين أمره الله - عز وجل - أن

يستزيد من العلم، فقد قال، عز وجل: }ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ{ [طه: 411]. وقد عمل النبي ﷺ بهذا الأمر، فقد روي أنه ﷺ كان يقول لجبريل (): «ما لك لا تأتينا أكثر مما تأتينا»، فأنزل الله - عز وجل - قوله الكريم: { وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } [مريم: 64]. بل كان ﷺ يتعجل القرآن الكريم، ويكرره خلف جبريل (عليه السلام)، حتى أنزل الله - عز وجل - قوله تعالى: } لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19){ [القيامة: 16-19]، فلتحرص على العلم في كل أحوالك. وإذا كنت لا تستطيع القراءة مثلًا فلتتعلم بالسماع كما كان النبي ﷺ يتعلم من جبريل (عليه السلام)، وليكن ببيتك مكتبة شرائط بدلًا من مكتبة الكتب. فالعلم جهاد في سبيل الله - عز وجل - فقد روي أن زيد بن ثابت جاء النبي ﷺ يريد الجهاد، فطلب إليه أن يتعلم لغة اليهود لأنه لا يأمن مكرهم، فعكف زيد بن ثابت - - على تعلم اللغة العبرية سبعة عشر يومًا فأتقنها، وكان مستشار النبي ﷺ في التفاوض مع اليهود.

* * *

خدعوك فقالوا... الجهاد هو جهاد السيف فقط

إن ابن القيم - رحمه الله - عندما صنف الجهاد، قال إنه أربع عشرة درجة، وأول أربع درجات متعلقة بالعلم:

1 -

مجاهدة النفس في تعلم العلم: فمجاهدة النفس مطلوبة في تعلم العلم، ولا بد أن أشجعها على القراءة وعلى

المدارسة، ثم المتابعة والتقصي والمداومة على طلب العلم.

2 -
مجاهدة النفس في العمل بما نتعلمه: فالعلم بدون عمل لا فائدة منه؛ فنحن نتعلم حتى نحول هذا العلم إلى واقع عملي نستفيد منه، ونفيد الناس.

3 - دعوة الناس إلى ما تعلمته وعملت به:

والدعوة إلى الله - عز وجل - أحب الأشياء إلى الله، يقول الله - عز وجل -: } وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ{ [فصلت: 33]، ولذا ينبغي أن تكون على بصيرة وعلم، يقول - عز وجل -: } قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ{ [يوسف: 108].

4 -
مجاهدة النفس للصبر على مشقة الدعوة، فالصبر هو المفتاح للعلم، فتعلم العلم، ثم العمل به، ثم تعليمه والصبر على تعليمه، هو السبيل إلى العلم، والسبيل إلى العلم سبيل إلى الجنة، وهذا الجهاد في سبيل الله - عز

وجل - لا يقل أهمية عن جهاد السيف؛ فهذا جهاد بالقلم. وسيدنا أبو الدرداء الصحابي اتبع تربية النبي ﷺ وعاش كما عاش النبي ﷺ وقال: «من لم ير الغدوة والروحة في سبيل العلم فقد خسر عقله ورأيه».

لا بد أن أراك وأنت ذاهب وآت في سبيل العلم؛ حتى لا تخسر عقلك ورأيك. ولذا قال رسول الله ﷺ: «ما من شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة عين بكت من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، والأثرين: أثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله»(1).

فلا تدمع عينك إلا عند قراءة القرآن الكريم أو عند تدارس سير الصالحين في تناول العلم، ولا يراق دمك في سبيل الله إلا إذا علمت فضل الجهاد في سبيل الله، ولا تسير خطوة في الجهاد إلا إذا علمت أنها تكفر عنك من الذنوب ما لا يعلم إلا الله - سبحانه وتعالى - ولا تمضي في قضاء فريضة أو قضاء حاجة أخيك، إلا إذا علمت أن هذا أفضل عند الله من عبادة سبعين سنة أو أن تعتكف في مسجد النبي ﷺ، وقد جاء لابن عباس رجل وهو معتكف في مسجد النبي ﷺ يريد منه سداد دينه، فهمَّ سيدنا ابن عباس أن يخرج معه ليسد عنه الدين لصاحبه، فذكره الرجل بأنه في اعتكاف، فقال سيدنا ابن

عباس حبر الأمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين».

وهل عُلمت فضيلة المجاهد إلا عن طريق العلم؟ والمجاهد الذي قتل في سبيل الله ليس شرطًا أبدًا أن يموت في الحرب؛ إذ إن هناك أناسًا كثيرين سيبعثون يوم القيامة مع الشهداء، حتى لو ماتوا في بيوتهم وعلى فراشهم؛ لأنهم عاشوا عيشة المجاهدين الصابرين المحتسبين، فهم مع الشهداء ومن الشهداء وإن لم تقطر من أجسادهم قطرة دم واحدة.

هل كان أحد يعلم فضيلة كافل اليتيم إلا عن طريق العلم؟ فقد قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار النبي بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئًا، ومنذ قال النبي ﷺ ذلك أصبح الملايين من البشر يحدبون على اليتامى.

هل كان أحد يعلم فضيلة صيام يوم عرفة؟ فهناك الكثيرون لم يحجوا, وهم على رجاء شديد لله - عز وجل - أن يحجوا، ويأتي وقت الحج فيشاهدون وقفة عرفة؛ لأنهم يعلمون أن الله - عز وجل - يغفر للحاج كل ذنوبه، لكن الله - عز وجل - عوضنا بصيام يوم عرفة؛ فهو يكفر

سنة ماضية وسنة قادمة. فهناك فرق بين أناس عاشوا وماتوا وهم غير مدركين لكلمة الذنوب التي ارتكبوها، وآخرين عاشوا مدركين أن هناك ما يكفر هذه الذنوب.

فهم يدركون أن من قال: سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة غفرت كل ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، أي مثل «رغاوي» البحر، والحديث الثاني الذي قاله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بمثل ما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه».

هل يعلم أحد فضل التأمين خلف الإمام؟ قال رسول الله ﷺ: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»آمين.. أربعة حروف فقط لا غير عندما أقولها مع الملائكة تغفر كل ذنوبي، ما أرحمك يا ربي!

قال ﷺ: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه»، ونحن نصلي كل يوم خمس مرات ونؤمّن كثيرًا خلف الإمام، فنرجو أن يوافق تأميننا أو قولنا: «ربنا ولك الحمد» تأمين الملائكة أو قولهم، فرحمة الله ومغفرته قريبتان منا.

ولو سأل أحدنا: هل أجاهد في سبيل الله - عز وجل - أم أجلس مع أبي وأمي؟ فقد يظن البعض أن الجهاد أفضل كثيرًا، ولكن النبي ﷺ يوضح لنا أن مرافقة الوالدين أحب إلى الله من الجهاد في سبيله.

وفي مجال العمل إما أنك تستمد الخبرة على مدى 20 عامًا من أخطاء تقلل في الأصل من مستواك، والعمل لا يحتمل هذا، وقد تضيعك هذه الأخطاء وإما أنك تسمع المعلومة وتأخذ خلاصة خبرات الناس في دورة تدريبية مثلًا، أو تطلع عليها في كتاب، وقد تسمعها في شريط .

هناك إحصائيات تقول: إن قائد السيارة يقضي في سيارته ألف ساعة في السنة، وألف ساعة يمكن أن يُحَضِّر فيها الباحث ماجيستير، أو قد يُحَضِّر فيها دكتوراه، فتخيل لو أنك قائد سيارة، فعندك ألف ساعة في العام لا تستغلها، فلو أنك استمعت إلى شرائط أو سيديهات في هذا الوقت يمكنك أن تسمع معلومات كثيرة جدًّا، يمكن أن تغير حياتك كلها، حياتك العملية أولًا، فكثير من الشباب يتخصصون في تخصص واحد ولا يريدون تطوير أنفسهم، وربما تفيدك هذه المعلومات في حل مشكلاتك في بيتك، أو مع جيرانك، أو مع أقاربك، قد

تساعدك في التقرب إلى الله - عز وجل - قد تفقهك في دينك.

معلومة واحدة يمكن أن يسمعها الشخص فتفيده أكثر من كورس أو من خبرات السنين، وسأضرب لكم مثالًا خاصًّا بي شخصيًّا، فأنا عندما أتحدث أمام أي شخص أجد نفسي أتحرك بجسمي كله، وأحرك يدي في كل اتجاه، حتى قال لي صديق: أمسك في يدك قلمًا. وأخذت بنصيحته، فوجدت أنني عندما أمسك في يدي قلمًا لا أتحرك وعندما أنسى أتحرك بجسدي كله، هذه المعلومة عالجت عندي مشكلة كبيرة فماذا كنت فاعلًا لو لم أعلمها؟ كنت سأروض نفسي على عدم الحركة، أحاول مرة، وأنجح، وأفشل عشرات المرات، ثم أعود وأكرر نفس الشيء، وهكذا...

ومثال آخر: كثير جدًّا من الناس من يلقنون أولادهم، أو كثير جدًّا من المدرسين يلقنون الطلبة ويعلمونهم وعندما يقع الأولاد في الخطأ سواء في البيت أو في المدرسة، عندما يكونون في مفترق الطرق وفي أهم الخطوات في حياتهم، ماذا يحدث؟ فإما أن تعاقب عقابًا يوجه ويربي، وإما أن تعاقب عقابًا يدمر الشخصية، فأنت محتاج لخبرة وهذه الخبرة يمكن اختزالها في معلومة تسمعها

في سيارتك أو في «كورس» أو في دورة تدريبية، فأنت حينما تعاقب تقول: يا حمار. وتظل تشتم، وفي النهاية يخرج الأطفال مصدقين أنهم لا يفهمون والصحيح أنك عندما تذم لا تذم طفلك أو ولدك أو تلميذك، بل ينبغي أن تذم الفعل، حتى يكره الطفل الفعل ولا يكره نفسه.

هناك معلومات خطأ يمكن أن تترسخ في أذهاننا، ونعتقد أنها من المسلّمات وهي خطأ، ونبني عليها أمورًا كثيرة خطأ، فمثلًا شباب كثيرون يقولون إن الخمر تنجس الفم 40 يومًا، تخيل شبابًا كثيرين جدًّا وقعوا في شرب الخمر ويخشون أن يصلوا؛ لأنهم يحسبون أنفسهم نجسين, وهذه المعلومة لم يقلها النبي ﷺ، والظاهر أن أحد شاربي الخمر كان ضائقًا بنفسه, فردد هذه المعلومة, ونسبها للنبي ﷺ, حتى يكره الشباب فيها، والصحيح أن النبي ﷺ قال: «لا تنجسوا موتاكم، فإن المؤمن ليس بنجس حيًّا ولا ميتًا». فالشاب يريد أن يتوب, يريد أن يركع ويسجد لله, يريد أن يمتثل لأمر الله، فيقولون له إنه نجس, لا يصح أن يقوم بين يدي الله - عز وجل - فيخدعونه بقولهم ويصرفونه عن طاعة الله - عز وجل -. في الواقع هناك أمثلة كثيرة, وأشياء كثيرة ليس لها حل إلا بالمعلومة.

فلو أخطأت وأنا أصلي, سهوت أو قام الإمام مثلًا للركعة الخامسة ماذا أفعل؟ هل أقوم معه وأتبعه, أم أظل جالسًا أختم صلاتى وأذهب؟ مثلًا خروج الدم هل ينقض الوضوء؟ القيء هل ينقض الوضوء؟ هل يبطلان الصلاة لو حدثا في الصلاة؟

لو اقترب مني كلب ولعق ملابسي، ماذا أصنع؟ أغير ملابسي؟ أغسلها بالماء؟ أغسلها بالماء والصابون؟ أغسلها سبع مرات إحداهن بالتراب؟

هذا الكلام يا إخوتي موجود, ليس في بطون الكتب لكنه موجود في أول باب في أول مجلد في الفقه, اسمه باب الطهارة وباب الصلاة.

ويعتقد كثيرون أن الذي يبلغ الأربعين من عمره, ولم يقترب من الله - سبحانه وتعالى - يطبع الله ويختم على قلبه. والنبي ﷺ لم يقل هذا، والصحيح أن العبد لو تاب قبل أن يقابل اللَّه - سبحانه وتعالى - بساعة يقبله الله - عز وجل. كم فرد بلغ أربعين سنة, وكان يعتقد أن هذا الاعتقاد له أثر، وكان يود أن يقترب من اللَّه - سبحانه وتعالى! ومعلومة أخرى اعتقدها بعض الناس وهو أن الذي يزني لا بد أن يُزْنَى بأهله، ولو ارتكب خطأ والعياذ بالله ووقع في الزنا, ثم تاب إلى الله - عز وجل - وتزوج

يظل يشك في أهله, في زوجته، أنها قد تزني، وقد يؤدي هذا إلى خراب البيوت والعياذ بالله بسبب هذه المعلومة، وهذه معلومات لم ترد عن النبي ﷺ, وهذه المعلومات لا تتفق مع رحمة ربنا - سبحانه وتعالى - وقبوله التوبة. وآخرون يظنون أن النبي ﷺ قال: «من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا»(2). في حين أن النبي ﷺ عندما عرف أن هناك من يخطئ ومع ذلك يصلي, قال: «ستنهاه صلاته»(3). لا بد من معرفة الأحاديث الصحيحة من الموضوعة أو على الأقل معرفة الأحاديث الضعيفة. ومن هذه الأحاديث: «مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها في عشر سنين»(1). وهذا الحديث ضعيف. لاحظ أن كل نظريات التربية توصي بألا تضرب, والنبي ﷺ سيد المربين, فهل تعتقد أن يوصي بأن أبدأ بتعليم ابني عند سن 7 سنوات, وعندما يكبر ويصل إلى عشر سنوات أمسك بعصا في يدي أو أضم يدي قابضًا على أصابعي وألكمه في وجهه؟! والعكس فإنه كان ﷺ رأى أبا مسعود يضرب غلامًا له فقال له: «اعلم، أبا مسعود، لله أقدر عليك منك عليه». فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، هو حر لوجه الله. فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار»، أو

«لمستك النار»(2). فمستحيل أن يكون النبي ﷺ أمرنا بضرب الأولاد للصلاة, فيخرج الأولاد كارهين الصلاة وكارهين كلام النبي ﷺ، فالحديث له أكثر من طريق وكلها ضعيفة متروكة، وهذا يعلمه من له معرفة بعلم الحديث، كما أنه روي في كتب لم تشترط الصحة، لم يروه البخاري أو مسلم, بل رواه العقيلي في كتاب اسمه الضعفاء, وابن حبان في كتاب اسمه المجروحون، أي أنه روي في كتب تتحدث عن الأحاديث الضعيفة, واسأل أهل الحديث حتى تتعلم.

وفي الصحيحين أن السيدة عائشة ؓ قالت: ما ضرَبَ رسول اللّهِ ﷺ شيئًا قطُّ بيده. أما حديث: (شاوروهن وخالفوهن) فمشهور عن النبي ﷺ, وهو منه براء، فهل من المعقول أن النبي ﷺ يقول شاور أمك أو شاور زوجتك أو أختك ثم خالفها؟ كيف, وقد كان يستشير زوجاته ويأخذ برأيهن! ومن النساء من إذا سمعت هذا الحديث ضاقت به واعتقدت أنه كلام النبي ﷺ, وتغضب من كلام النبي ﷺ, مما يوقعها في حرج شديد، كيف أقبل كلامًا للنبي ﷺ فيه مناقضة لفعله, والنبي ﷺ منه براء، حاشاه أن يقول كلامًا متناقضًا.

ومن الأمور المفهومة على غير وجهها الصحيح مفهوم القوامة، فمفهوم القوامة أن الرجل يتولى المسئولية كاملة, ويكون له الحق على زوجته في طاعته كاملة. والصحيح أن مفهوم القوامة كما يقول الإمام القرطبي أن يخدمها ويحميها. ولعلك تعجب إذا عرفت أن حديث: (لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها) - ضعيف، وثلاثة أرباع النساء واجدات من النبي ﷺ من هذا الكلام، وهذا الحديث لم يصح

وليس أن تكون قدمه فوق رأسها، والصحيح أنني لا بد أن أفهم أنه من المفروض أن أخدم زوجتي وأصبح قائمًا على شئونها. عن النبي ﷺ، وله أكثر من سند وأكثر من رواية، وسنده فيه سليمان بن سليمان وهو ضعيف جدًّا، والثاني حديث أنس, فيه خلف بن خليفة, وهو مختلط، والسند الثالث فيه انقطاع وفيه مجهول، والسند الرابع فيه من رواة الحديث من هو سيئ الحفظ. والذي يصح عن النبي ﷺ أنه عندما رأى أسماء بنت يزيد, فقال لها: «أي هذه أذات بعل أنت؟» قالت: نعم. قال: «كيف أنت له؟» قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. قال: «فأين أنت منه ؟ فإنما هو جنتك ونارك»(1) .

وأكثر من ذلك أن يعتقد بعض الناس بكفرهم, والصحيح أن الشيطان يأتي لبني آدم ليوهمهم أنهم قد كفروا باللَّه - عز وجل - فعندما يأتي إليك هذا الخاطر استعذ بالله من الشيطان الرجيم, وقل آمنت بالله, لا إله إلا الله، فلن يأتي لك هذا الشيطان الرجيم، وفي نهاية الكلام عن العلم لا بد أن نبين كيف تطلب العلم.

ولو علمت أن النبي ﷺ في غزوة من الغزوات سار ألف كيلو وهي غزوة تبوك، وفي غزوة ذات الرقاع سار سبعمائة وخمسين كيلو، لتيسر لك السير في طريق العلم. كم خطوة ستضطر إلى سيرها حتى تذهب لتلقي درس علم في المسجد؟ كم خطوة ستضطر إليها حتى تذهب لتناول كورس؟ كم خطوة ستضطر إليها للذهاب إلى المدرسة أو الكلية؟

هيا نشرف النبيﷺ، هيا نشرف الحبيب الذي وصانا بالعلم وبالعلماء، هيا ننطلق باسم الله - سبحانه وتعالى - إلى العلم وإلى العلماء، نجلس على أيديهم وتحت أقدامهم، هيا نبحث عن المعلومة، هيا نبحث عمَّا يرضي الله - عز وجل - ويرضي رسول الله ﷺ.

ولتقرأ ولتتعلم؛ لنفسك، ولأولادك، وللمسلمين، حتى يثيبك الله على حياتك، ويمد لك النفع بعد مماتك، فإن

العلم باب عظيم من أبواب الخير، فقد قال اللَّه - عز وجل -: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28]، فالعلم يورثك خشية اللّٰه - عز وجل - ويرفع قدرك لتكون من ورثة الأنبياء كما قال النبي ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وأورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(1).

بل يحظى طالب العلم بتقدير الملائكة ورضاهم.

يقول رسول اللّٰه ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما طلب»(2).

فلتحرص على ذلك الشرف العظيم، ولتقرأ ولتتعلم ابتغاء وجه اللّٰه عز وجل.

* * *

خدعوك فقالوا... لا وَقْتَ لَدَيَّ لفعل ما أريد!

لقد صارت هذه العبارة جزءًا لا يتجزأ من حياتنا، فتجد أحدهم يقول: ليس لديَّ وقت لكذا أو كذا مما يخص دينه أو دنياه .

فالناس نوعان:

نوع لا يفعل أي شيء في حياته، ورغم ذلك يقول: ليس لديَّ وقت لفعل ما أريد!

والنوع الآخر ناجح في جزئية واحدة من حياته، ويهمل بقية الجزئيات بحجة أنه ليس لديه وقت!

فليكن هدفنا من الآن أن نمحو عبارة «ليس لدي وقت» من حياتنا، فيجب علينا تنظيم أوقاتنا وإيجاد وقت لكل شيء نريد فعله، فإذا أخلصنا نيتنا للّٰه - عز وجل - فسنجد البركة في أوقاتنا وفي أعمارنا.

وهذا النوع يعاني خللًا في الاتزان في حياته، سواء في علاقته برب العزة - سبحانه وتعالى - أو بالناس.

يجب علينا إيجاد وقت للنجاح في أعمالنا وفي صلة أرحامنا، وقبل ذلك كله للنجاح في علاقتنا مع رب العزة - سبحانه وتعالى -.

إن الخطوة الأولى هي تحديد الهدف، ومن ثم إيجاد الوقت لتحقيقه، فلو قام كل واحد منا بحساب ما يضيع من عمره في النوم والأكل وغيرهما لوجد أنه يضيع من عمره أكثر من عشرين عامًا، ولذلك يجب استغلال ما تبقى من أعمارنا استغلالًا صحيحًا مفيدًا نافعًا.

يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز: «يا بني آدم، إنكم لا تفنون، وإنما موتكم انتقال من دار إلى دار».

فنحن نريد طول الأمل في الدار الآخرة، فالحياة ثلاثة أيام: يوم مضى، ويوم أحيا فيه، ويوم لم يأت بعد.

فالذي مضى لا يمكنني استرجاعه، والذي لم يأت بعد لا أضمن أن أحيا حتى يجيء، فيجب عليَّ استغلال الوقت جيدًا في اليوم الذي أحيا فيه في رضا الله - سبحانه وتعالى - وتعمير الكون، فأنا أشتري بهذا الوقت مملكتي في الجنة إن شاء الله تعالى.

نحن المسلمين لا يوجد عندنا شيء اسمه «دنيا» وشيء اسمه «دين» ولكن هما شيء واحد، وكل شيء نعمله في دنيانا هو من أجل ديننا وآخرتنا، فالذي يقول: «ليس عندي وقت» يجب أن نبادره بسؤال: «لماذا ليس لديك وقت ؟» فالذي له هدف في الحياة يسعى طوال الوقت لتحقيقه، ومن منا لا يريد أن يسعد نفسه ويسعد الناس من حوله ويرضي ربه عز وجل؟!

يجب ألا تكون كل أمورنا في الروحانيات، بل علينا القيام بأعمال ملموسة حتى لا نكون كمن يقطع شجرة بسكين غير حادة، بدعوى أنه ليس لديه وقت، فماذا سيكون الحال؟ لن تنقطع الشجرة إلا بجهد جهيد، أما إذا فكر قليلًا وخطط فبوسعه أن يصل إلى هدفه بسهولة أكبر.

إن الذي لا يرى هدفًا لحياته مخطئ تمامًا، فهل خلقه - سبحانه وتعالى - هكذا عبثًا؟ حاشا وكلا!

يقول رب العزة - سبحانه وتعالى -: } وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ{ [الذاريات: 56]، فعبادة الله هي الغاية العليا التي من أجلها خلق جميع المخلوقات؛ جنها وإنسها، فليسع كل منا في الحياة، وسيهديه ربه إلى الهدف وإلى الحكمة التي خلق من أجلها؛ فالهداية هي أن أطرق باب المولى – عز وجل - وأجتهد، والله - سبحانه وتعالى - سيبصرني بمشيئته بمراده من خلقي.

إن الذي عاش في الدنيا بلا هدف كمن دخل إلى الامتحان، وبدلًا من أن يجيب في ورقة الإجابة قام بالإجابة في ورقة الأسئلة. إنك إن لم يكن لك هدف فستصبح جزءًا من أهداف الآخرين، كأن تقضي كل وقتك في مشاهدة التليفزيون، فأنت هنا تحقق أهداف من تشاهدهم، أو بالأحرى تصبح جزءًا من أهدافهم.

المشكلة الحقيقية أن الكلام الذي يجري على ألسنتنا بكثرة يصبح عندنا عقيدة، فيجب علينا طلب البركة من الله - عز وجل - وذلك بالتقرب إليه سبحانه، وهذا يزيل الكآبة عن نفس الإنسان، فالذي لا يذكر الله - سبحانه وتعالى - يعيش في هم وغم: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ

لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه: 121]، ومن يذكر الله - سبحانه وتعالى - يعش آمنًا مطمئنًا: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)} [الرعد: 28].

عندما تصبح نفسية المرء في حالة ارتياح يمكنه تنظيم الأوقات واستثمارها كما ينبغي، وهذا هو واجبنا.. عمارة الأرض كما أمرنا رب العزة - سبحانه وتعالى.

نعم فلقد طلب من رب العزة - سبحانه - أن ينظره إلى يوم البعث: } قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ { [الحجر: 36]، لكي يقوم بمهمة إغواء البشرية، فالشيطان قد حدد هدفه، وهو لا يضيع لحظة واحدة في سبيل تحقيق هذا الهدف، فلقد ذكر رب العزة أن الشيطان قال: } ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ { [الأعراف: 17]. والشيطان له أعوان من الإنس: } لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا { [النساء: 118]، ولكن لو توقفنا قليلًا لنفكر لوجدنا أن هناك من هو أقوى من الشيطان، إنه الإنسان الصالح الذي اتخذ الشيطان وسيلة لتحقيق هدفه، ألا وهو رضا الله - عز وجل - فكلما وسوس له الشيطان استعاذ بالله منه، واستغفر، وعمل عملًا صالحًا مؤمنًا بقول الله تعالى: } وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ

النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114]، وعندما يوسوس له الشيطان بأنه «مُراءٍ» يقول له شكرًا لأنك ذكرتني بمسألة إخلاص النية للَّه - عز وجل - فيخلص نيته، ومثل أولئك هم الذين قال اللّه - عز وجل - عنهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42]، والشيطان نفسه يعرف هذه الفئة جيدًا ويستثنيها من الذين يغويهم فقد قال لرب العزة: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)﴾ [ص:82-83].

إن الناس في استثمار الوقت على فريقين:

1 - فريق له هدف لكنه يحتاج إلى من يعلمه كيف يدير وقته؛ لأن الوقت يتسرب من بين يديه، وهذا الفريق يحتاج فقط إلى ضبط وقته.

2 - فريق آخر ليس له هدف، بل ليس لديه ثقافة تحديد الهدف، وللتغلب على تلك المشكلة يجب أن تضع أمامك أولًا هدف تحقيق رضا اللّه - سبحانه وتعالى - فلتسأل نفسك في كل عمل تقوم به.. هل هذا العمل يرضي اللّه - عز وجل؟ فستجد بالقطع أن هناك أشياء تفعلها ليست في رضاه، فتبدأ في الإقلاع عنها، وعندها

ستجد وقتًا لأشياء أخرى ترضي الله -عز وجل- فليحاسب كل منا نفسه قبل أن يخلد إلى النوم: هل فعلت ما يرضي الله - عز وجل؟ وليجتهد في إزالة العوائق التي تجعله يقول: (ليس عندي وقت).

وأول هذه العوائق: ضعف الثقة في النفس وفي أن يكون لنا هدف في الحياة، ويمكن إزالة هذا العائق إذا تدبرنا قوله تعالى:

} وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ { [الذاريات: 56]، وقول النبي ﷺ: «كل ميسر لما خلق له» .

ثاني هذه العوائق: عدم ضبط الوقت، ويمكن التغلب عليه بأن تفكر جيدًا في كل أعمالك وأن تستنفر طاقتك ولا تجعل للشيطان سلطانًا عليك، وإياك أن يثبط من همتك أو يفت في عضدك أو يضعف من عزيمتك.

علينا القيام بشيء عملي، وعدم الاقتصار على سماع النصائح وذرف الدموع. فلا تكن «إمعة» تنساق وراء الغير بدون تفكير، ولا تلتفت وراءك، بل امض في طريقك بكل عزم وإصرار.

عندما بدأ الرسول ﷺ دعوته للإسلام كان واحدًا، وبتوفيق من الله - سبحانه وتعالى - أولًا، ثم بمثابرته

وإصراره وصبره على الأذى أصبح المسلمون أمة، فعندما وجد ﷺ التعذيب في مكة هاجر من أجل هدفه وهو «نشر الدعوة»، هاجر إلى المدينة حيث وجد مساندة من الأنصار. فليكن عندك تصميم على تحقيق الهدف، ولتبحث عن الأعوان الذين يساندونك في تحقيقه، وكفانا ما ضاع من أعمارنا.

ولنا في سيدنا موسى عليه السلام أسوة حسنة، فهو لم يلتفت عن هدفه في تبليغ الدعوة ولم يتكاسل أمام تخاذل بني إسرائيل: } وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (84)} [طه: 83-84]، فلنرفع من الآن شعار «ليس عندي وقت أضيعه».

فلو أنك موظف وجاء زميل لك ليجلس معك بحجة أنه أنجز مهامه، فلا تضيع وقتك معه، وقل له «لا» ولكن اذكر السبب «ليس لديَّ وقت أضيعه» .

ما أريد قوله هو ألا تجعل أحدًا يثنيك عن هدفك أو يضيع وقتك، بل يمكن أيضًا أن تجعله معينًا لك على تحقيق هذا الهدف.

إذن لك أنت الخيار، فبإمكانك أن تجعل من الناس عائقًا لك إذا رضيت أن تكون هدفًا من أهدافهم وأن تسير في ركابهم، أو أن تجعلهم وسيلة لتحقيق أهدافك.

يجب أيضًا أن « نضغط» الوقت وننجز أهدافنا في أقصر وقت ممكن، حتى نوجد وقتًا آخر لهدف آخر.. وهكذا.

يجب أن نبعد «القواطع» عن طريقنا، فلو أن أحدنا على سفر، وبقي على ميعاد الطائرة ساعة واحدة، وجاءت له مكالمة تليفونية ربما تشغله عن ميعاد الطائرة، أفكان يستقبلها، فكذلك يجب عدم الالتفات إلى هذه القواطع، التى تعترض طريقنا والتركيز في الهدف الرئيسي الذي نريد إدراكه.

ولكن هذا لا يعني الإهمال في الأشياء الأخرى، فلكل شيء وقته، ويجب التركيز فيما تفعله في اللحظة الراهنة، فأنت مثلًا الآن تقرأ في هذا الكتاب، فلا ينصرف تركيزك إلى شيء آخر ولتجعل كل تركيزك في شيء واحد، حتى تستطيع إنجازه في أقل وقت ممكن وعلى أكمل وجه مستطاع.

ولنخصص جزءًا من أوقاتنا لأعمال الخير التطوعية، كالتبرع بالدم وغيره، تلك الأعمال التي نبتغي بها وجه الله - سبحانه وتعالى - وترقق قلوبنا، ونحس فيها بنعم اللَّه - سبحانه وتعالى - علينا.

وما أجمل أن نستثمر «الأوقات المهدرة» .. كأوقات الانتقال من مكانٍ إلى آخر في المواصلات العامة مثلًا، فبإمكاننا في هذه الأثناء مثلًا القراءة في كتاب مفيد عن ديننا، يقربنا إلى الله - عز وجل - ويعرفنا أشياء قد نكون نجهلها، أوالاستماع عبر مسجل صغير أو ما يعرف الآن بال (إم . بي . تري) مثلًا إلى القرآن الكريم أو المحاضرات الدينية.

«ما دام الوقت مهمًّا بالنسبة لك، فلماذا تضيعه؟ وفيم تقضيه؟ إن الوقت بدون هدف كأن لم يكن؛ فالإنسان بدون هدف كالمركب بدون دفة». إبراهيم الفقي - خبير التنمية البشرية

ويحضرني هنا بعض ما قاله الدكتور إبراهيم الفقي عن استثمار الأوقات:

فلتحدد أي الأمور أهمية في الحياة بالنسبة لك؟ هل يمكنك إدارة الوقت؟ هات ورقةً وقلمًا وابدأ في تحديد

أنشطتك وأولوياتك اليومية، وأهدافك التى تريد تحقيقها، ولتعرف الأسباب التي تحفز لبلوغ هذا الهدف فإنها تعطي قوة له ؛ فالهدف كدرجات السلم، درجة تسلمك إلى درجة، حتى تصل إلى غايتك الأساسية التى لا ينبغي أن نغفل عنها، وهي رضا الله - سبحانه وتعالى - .

اجعل هدفك نصب عينيك وحاول الوصول إليه مهما كانت الظروف، ومهما كانت التحديات، ومهما كانت المؤثرات داخلية أم خارجية، أنت أفضل ما في الوجود عند الله - سبحانه وتعالى -. وابدأ بالعمل، فالعمل هو الفارق بين النجاح والفشل. واعلم أن العمل ينقسم إلى الفكر والفعل، ففكر أولًا، وافعل ثانيًا.

ولتحافظ على صحتك، لأنه بدون الصحة لن تستطيع إنجاز أي شيء، فلتجعل من وقتك نصيبًا للرياضة والاطمئنان على صحتك متى شعرت بفتور.

اجعل الوقت أداة طيعة بين يديك تعش سعيدًا، بل ستجد النجاح هو الذي يسعى للحاق بك، وابتعد قدر الإمكان عن الأعذار بجميع أنواعها، واعلم أن الحياة ما هي إلا إدارتك لأنشطتك.

إن الوقت لن يخذلك أبدًا؛ لأنك قد عرفت له قدره وقيمته، فالقيمة هي السبب في السلوك وهي التي تفرق بين النجاح والفشل والسعادة والتعاسة والحلال والحرام والخطأ والصواب.

تعامل مع كل لحظة، وكأنها آخر لحظة في حياتك، ولذلك اجعلها في طاعة الله - عز وجل - وفي تطبيق أخلاق الرسول ﷺ.

جاهد وصابر واجتهد واستعن بالصحبة الصالحة: } وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ { [العنكبوت: 69] . ولا تغفل عن الذكر حتى أثناء المسير في الشارع فلا تكف عن التكبير والتهليل والتحميد والاستغفار والصلاة على الرسول ﷺ.

وأخيرًا يجب تحديد وقت الانتهاء من إنجاز الأعمال، والابتعاد عن «الأوقات المفتوحة».

ويمكننا تلخيص ما تقدم في نقاط محدودة:

أولًا: تحديد الهدف، والهدف الأسمى هو رضا الله - سبحانه وتعالى -.

ثانيًا: لا للتسويف وطول الأمل.

ثالثًا: يجب ألا يكون المرء جزءًا من أهداف الآخرين.

رابعًا: إزالة القواطع والعوائق من الطريق؛ كي نصل إلى هدفنا ومن أخطرها التليفزيون والتليفون والإنترنت والصحبة غير الصالحة.

خامسًا: ترتيب الأولويات، وإبعاد الأشياء غير المهمة وغير العاجلة.

سادسًا: تحديد وقت لكل شيء والالتزام بذلك دائمًا.

سابعًا: ويمكن أيضًا الاستفادة من الوقت في الدعاء بنصرة إخواننا المسلمين في كل مكان، واستثمار الثلث الأخير من الليل في الصلاة، إلى غير ذلك من الأمور التي تقربنا إلى الله - عز وجل -..

إخواني المسلمين.. إننا سنسأل أمام الله - عز وجل - عن أوقاتنا، وفيم أفنيناها.. هل في طاعته سبحانه، أو في أي شيء آخر، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم وضعه، وعن علمه ماذا عمل فيه» (1)، فليتق كل منا الله – عز وجل- في أوقاته، عسى الله أن يبارك لنا في أوقاتنا وأعمارنا ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين.

خدعوك فقالوا... لا يوجد حب في هذا الزمن!

يفتقد كثير من الناس تبادل الحب مع أهليهم وأقاربهم وجيرانهم وزملائهم في العمل، ظانين أنه لا يوجد حب في هذا الزمن فقد أصبح عملة نادرة. في حين يرى بعض الناس أن الحب موجود لكن يضعونه في قالب محدود مرفوض وهو حب المصاحبة بين الولد والبنت، فيضيع المفهوم الجميل للحب بين من يفتقده ومن يشوهه،

فكأنه غير موجود. لكن الإسلام قدم مفهومًا عميقًا نظيفًا طاهرًا لكلمة حب، وربطه بغاية من أسمى غايات المؤمنين، وهي الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟» قالوا: ما هو يا رسول الله ؟ قال: «أفشوا السلام بينكم»(1) .

فها هو ﷺ يؤكد ضرورة الحب بأن جعله طريقًا للإيمان الذي هو شرط دخول الجنة، بل بين وسيلة الوصول إلى هذا الحب، ألا وهي إفشاء السلام.

فالسلام هو كلمة السر في حدوث الحب على كل المستويات؛ حب الإنسان لنفسه، وحبه لأهله، وحبه لسائر الناس، بل حبه للمخلوقات كلها من جماد ونبات وحيوان. فإنك متى حققت السلام النفسي كنت إنسانًا سويًّا، تشعر بإيجابيات نفسك، والتي تدلك بدورها على إيجابيات الآخرين، فتتحرك نحوهم بنفس هادئة ووجه مبتسم، بتصرفات تحمل رسالة قصيرة فحواها: «أنا أحبكم» فتجد الناس يعاملونك بحب، وقبول لتصرفاتك كلها.

إنك إذا أحببت الناس بإخلاص وأشعرتهم بذلك الحب بالقول كأن تقول لمن تحبه: «إني أحبك في الله» وبالفعل كأن تقدم له العون والمساعدة وتهتم بشئونه -

فسترى الحب متبادلًا، وسترى العالم من منطلق جديد جميل؛ وهو منطلق الحب.

وثمة جائزة أخرى لمن يحب بصدق، وهي أن حبه للناس معناه أنه مستقبل جيد للحب، الذي لا مصدر له إلا الله - عز وجل - فهذا معناه أنه قد امتلأ قلبه بحب الله - عز وجل - فأحب عباده، فعاملهم بالحب، ونتيجة ذلك أن الله سيرد إليه هذا الحب بقدر أكبر وأعمق لأن الله - عز وجل - أكرم الأكرمين، ويجازي من جنس العمل بأكثر مما قدمه العبد، فأَحِبَّ عباد الله لوجه الله - عز وجل - قل لهم: «أحبكم في الله» فإنها عبارة تفتح القلب وتملؤه حبًّا، بل سعادة أيضًا. إذا أقبلت على التعامل مع الناس فتصور أن هذه اللحظة هي آخر لحظة في حياتك فاقضها في حب الله - عز وجل - وحب عباده؛ فسيملأ قلبك حبًّا لتحب كل الناس، فتنعم بالراحة النفسية والسعادة، فضلًا عن ثوابه عز وجل.

أَحِبَّ نفسك أولًا حتى تستطيع حب الناس، ولا يكون حب النفس إلا بالرضا عن الله - عز وجل - في كل تقديراته التي قدرها لك، فهو الحكيم العليم، الرزاق ذو القوة المتين، الرءوف الرحيم، وهو يعاملك بهذه الصفات كلها، ويحبك ويحب مصلحتك، ويحب راحتك، فلترض

عنه وعن اختياراته لك؛ حتى ترضى عن نفسك فتحبها؛ فتحب الآخرين وأنت السبب إذن في كون الناس يحبونك أم لا، فإذا كنت صافي النفس باسم الوجه منطلقًا في تصرفاتك عن حب وجدتهم كذلك؛أما إذا كنت ساخطًا على نفسك عابس الوجه وتنطلق من خلفية سوداء رأيت الناس كلهم أعداءك، فعاملتهم بخشونة، بل ربما عاملتهم ببغض، فوجدت المعاملة بالمثل. إنك أشبه في هذا برجل واجم عابس الوجه ينظر في مرآة فيفزعه شكل ذلك الذي في المرآة، ولا يدري سبب وجومه وعبوسه، وهو يغفل عن أن ذلك الواجم ما هو إلا صورة وجهه هو، فهو السبب، وكذلك العلاقة بالناس، فأنت السبب في معاملتهم إياك بنفور، وأنت السبب في معاملتهم إياك بحب وتودد، لأنهم مرآتك التي تصدقك ولا تكذبك.

ما أسهل أن تحب إذا تخلصت من معوقات الحب، فثمة أمور تشوش العلاقة بينك وبين الناس، بل تشوهها، فتكون بمثابة حاجز منيع يحول دون أن تحبهم، من أهم هذه الأمور سوء الظن وعدم التسامح.

إنك إذا أحسنت الظن بالناس لم تغضب من فعل أحد، بل لم تنكر على أحد أنه أساء إليك، بل ستلتمس له العذر؛

ربما كان متضايقًا، ربما كان مشغولًا بشيء مهم، ربما كان خائفًا من شيء مزعج.... وهكذا. بل ستجد عقلك يمدك باحتمالات أكثر وأكثر، وستجد قلبك ينبهك إلى

حديث رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»(1).

وهذا سيقودك إلى التسامح، فتعامله معاملة طبيعية كأن شيئًا لم يكن، وكأنه لم يسئ إليك، فإذا شعر بأنه أساء إليك وجاء معتذرًا وجدك أنت تلتمس له أعذارًا لم تخطر بباله، ووجدك تقول له: هوِّن عليك، فإنك لم تخطئ، بل أنا أكثر منك خطأً، المهم أن نتعلم من أخطائنا، وإذا كان الله - عز وجل - يعفو عن المسيء أفلا أعفو عنك وأنت أخ كريم طيب أحبك في الله.

وهكذا قادنا حسن الظن إلى التسامح وقادنا التسامح إلى الحب؛ فإن حسن الظن والتسامح جنديان مخلصان سهَّلا على الحب مهمة الوصول إلى القلب، ويسرا له الخروج إلى الناس في نور يغمر قلب صاحبه بالخير والود الذي يمتد إلى الآخرين فيغمرهم بنفس المشاعر التي تدعوهم إلى التعامل بحب وسعادة مع ذلك الذي أسعدهم وأبهجهم وأهداهم شحنة عاطفية صادقة ابتغى فيها مرضاة الله سبحانه؛ فإن الحب لا يكون سعادة إلا

إذا ارتبط بالله تبارك وتعالى، وتخلص من كل معصية أو فعل أو قول لا يرضاه عز وجل.

ثمة أمور تفتح قناة للتعامل الجيد بينك وبين الناس، بل تثمر المحبة بينك وبينهم، غاية ما هناك أن تحرص على الابتسام في أثناء حديثك، لأن ابتسامتك ستكون بمثابة حضن لمستمعك، فكأنك تحضنه وتضمه إلى صدرك. ثم لتحرص على الشكر والثناء فإن ذلك يجعله مبتهجًا؛ لأنه يفهم أنك تحترمه وتقبله، بدليل أنك تشكره وتثني عليه، ولا أحد يكره الثناء إلا إذا كان نفاقًا، فليكن شكرك إياه وثناؤك عليه موضوعيًا، ولتبتغ فيه وجه الله - عز وجل -. ولتراعِ الاقتراح بدلًا من الأوامر، فإن النفس تستثقل الأمر، خاصة إذا كان من البشر، فإذا أردت أن توجهه إلى شيء أو تطلب منه شيئًا فلتجعله في صورة اقتراح، وهكذا علمنا الله - عز وجل - في كتابه الكريم، فإنه عندما أرسل موسى ﷺ إلى فرعون أمره أن يخاطبه باللين وبصيغة الاقتراح بدلًا من الأمر.

يقول - عز وجل -: { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) }[النازعات: 17-19].

مع أن فرعون طغى وتكبر حتى ادعى الألوهية، لكنه - عز وجل - أمره بحسن الحديث معه؛ لأن ذلك يلين القلوب، فكذلك إذا تعاملت مع إنسان مراعيًا هذه النقطة لان قلبه لحديثك، بل أحبك، خاصة إذا حرصت على تجنب السخرية والنقد اللاذع؛ فإن النفوس تنفر منه أكثر مما تنفر من الأمر والنهي، وإنه يحدث هوة بينك وبين مستمعك، وهو ما يسبب له توترًا وضيقًا يعوقان ما تنشده من القبول والمحبة وقد نهى الله - عز وجل - عن السخرية، إذ قال سبحانه: } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ{ [الحجرات: 11]، واحمل نفسك على الصبر والبعد عن الغضب ولو كان منه ما يغضبك وذكر نفسك بقول الله - عز وجل : { قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10]. ولتتذكر دائمًا حديث رسول الله ﷺ الذي ينصح فيه بتجنب الغضب، فقد قال له أحد الصحابة رضي الله عنه: أوصني يا رسول الله: فقال له

ﷺ: «لا تغضب» فردد مرارًا، قال: «لا تغضب»؛ وذلك لأن الغضب له أثره السيئ على النفس والآخرين، فإنك إذا غضبت لم تستطع انتقاء تصرفاتك من أفعال وأقوال، فالغضب يطفئ نور العقل كما يقال، بل يجعلك في حالة سيئة تنتقل إلى من تخاطبه فتحدث هوة شاسعة بينكما، فإذا بك في علاقة عدائية، بعيدة كل البعد عن المحبة والمودة والحب في الله - عز وجل -.

إننا إذا نظرنا حولنا وجدنا صورًا من الحب البالغ الذي غمرنا به الله - عز وجل - والتي علمنا إياها رسوله ﷺ، وكذلك صحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

لقد أحبَّ الله - عز وجل - عباده فيسَّر لهم سبل الحياة على هذه الأرض، وأسبغ عليهم النعم، يقول - عز وجل -: } أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ { [لقمان: 20]، وقال - عز وجل - مبينًا رحمته بنا وتيسيره علينا: } شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ

وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ { [البقرة: 185]، وغير ذلك من مواطن رحمته وتيسيره وإنعامه التي تعكس مدى حبّه - عز وجل - لعباده.

بل من حبّه أن جعل السماء والأرض تبكيان على الصالحين من عباده دون الكافرين، يقول - عز وجل - في قوم فرعون بعد أن أهلكهم: } فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ { [الدخان: 29]، ومن ملامح حبّه - عز وجل - أن وفق عباده إلى الطاعة، حتى ينعموا بقربه، ويشعروا بأنسه، ويذوقوا حلاوة طاعته وكما قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»(1).

بل خلق المعصية وقدّر وقوع بعض العباد فيها ليشيعوا الإثم في عيون الناس، وليذوقوا البعد عن الله - عز وجل - فيهربوا إليه، سبحانه لا ملجأ منه إلا إليه، فيشعروا برحمته عندما يتوب عليهم، وبتجاوزه عندما يغفر لهم، فيلزموا طريقه ويدعوه ويستغفروه ويسألوه التثبيت. بل إنه - عز وجل - خلق الابتلاء حبًّا منه كما خلق المعافاة فكلاهما يوصل إليه؛ فإذا كانت المعافاة تقود إلى الشكر، فإن الابتلاء يحمل العبد على الصبر واللجوء إلى الله - عز وجل - وكثرة سؤاله، فهما محبة منه - سبحانه وتعالى -.

خلق الله - عز وجل - نبيه الكريم، وجعله حبيبه، فامتلأ قلبه ﷺ حبًّا من ربه تبارك وتعالى، فأحب أمته وكان رءوفًا بهم رحيمًا، يقول - عز وجل -: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: 128]. فأحبنا وأحب أطفالنا بل تعدى حبه إلى الجماد والطير، بل أحب من أراد قتله، وأحب الهداية للكفار.

لرسول الله ﷺ مواقف كثيرة في حب الأطفال، ولقد ذكرنا بعضها (سالفًا) ونسوق هنا معاملته للحسن والحسين ، وهما ابنا ابنته فاطمة الزهراء، فكان رحيمًا معهما، محبًّا لهما، يقول: «الحسين مني وأنا منه» وكأنه يكرس مبدأ مهمًّا من مبادئ الإسلام، وهو أن أبناء البنت كأبناء الولد، لا تفرقة بينهما، كما يفعل بعضنا هذه

ومن أحلى ما روي عن حب النبي ﷺ للأطفال حديث عبدالله بن بريدة الذي رواه عن أبيه، قال: بينا رسول الله ﷺ على المنبر يخطب إذ أقبل الحسن والحسين يمشيان ويعثران، عليهما قميصان أحمران، فنزل رسول الله ﷺ فحملهما، ثم قال: «صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة، إني رأيت هذين الغلامين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى نزلت وحملتهما»(1).

الأيام، وكما كان العرب يفعلون، فقد كانوا يرون أن أبناء البنات ليسوا منهم في شيء، وقال شاعرهم:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا

بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وكان ساجدًا ذات يوم فاعتليا ظهره، فأطال السجود حتى ظنه الصحابة قد قبض ﷺ، فلما قام سألوه فأخبرهم أنه خشي أن يسقط الحسنان عن ظهره، فانتظر حتى نزلا. يذكر أن رسول ﷺ كان يخطب مستندًا إلى جذع نخلة، فصنع الصحابة له منبرًا، فوقف عليه وترك الجذع، فسمع له بكاءً لأنه تركه إلى المنبر، فنزل عن المنبر وحضن الجذع وبشره بأنه سيدفنه في المسجد النبوي تكريمًا له، وأنه سيكون رفيقه في الجنة.

وروي أنه ﷺ رأى الصحابة يحاولون صيد طائر صغير، وأمه تحوم حوله وتصيح، فقال ﷺ: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»(2). فأي محبة وأي إشفاق ورحمة بالجماد والطير، إنه أحب الكون كله فأحبه ﷺ.

ومن عجيب أخلاقه ﷺ عفوه عمن أراد قتله يوم فتح مكة، فإن ذلك لا يكون إلا بحب تشربه قلبه ونضح على أفعاله حتى كسا الآخرين مؤمنهم ومشركهم، فيروى أن

رجلًا من مشركي مكة يُدعى فضالة، سار خلف النبي ﷺ مخفيًا خنجرًا يريد قتله، وكان النبي ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه، فرآه، فقال له: «ماذا تفعل يا فضالة؟» فقال: أحرسك وأذكر الله - عز وجل -. فوضع يده بحب على فضالة ودعا له قائلًا: «اللهم اهد فضالة». يقول فضالة: فقبلها كان أبغض الناس إليَّ، وبعدها كان أحبَّ الناس إليَّ.

إن هذه الحادثة تؤكد أنك متى أحببت الآخرين أحبوك، ومتى عاملتهم باللين والتسامح كسرت ما بينك وبينهم من الحواجز، وصرتم أحبابًا ولو كانوا أعداءك!

لقد أحب النبي ﷺ هداية الكفار والمشركين واليهود، وانشغل بهذا كثيرًا، وشق عليه بعدهم عن الله - عز وجل - حتى عاتبه ربه سبحانه، فقال في كتابه العزيز: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: 6]. وقد روي أنه ﷺ زار غلامًا من غلمان اليهود كان يحتضر في فراش الموت، فأخذ يقول له: «قل: لا إله إلا الله» فنظر الولد إلى أبيه، فقال له الأب: أطع أبا القاسم. فقال الولد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.فخرج النبي ﷺ من عنده مسرورًا. يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»(1).

لقد تخلف عثمان بن عفان عن غزوة من أهم الغزوات، وهي غزوة بدر التي أخبر النبي ﷺ عن شرفها فقال: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فيقره النبي ﷺ ويعطيه نصيبه من الغنائم، لأنه غاب عن الجهاد ليطبب زوجته التي مرضت، فمكثه معها فيه حب لها يرفع من معنوياتها ويخفف عنها الشعور بالألم. ولا يظن أحد أن النبي ﷺ أقر عثمان لأن زوجته هي رقية بنت النبي ﷺ، فإنه لا يجوز عليه ذلك؛ لأنه يوحى إليه قوله وفعله ما دام الأمر متعلقًا بالدين، يقول الله - عز وجل -: } وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) { [النجم: 3-5]، فضلًا عن أنه ﷺ لا يظلم، ولا يحابي في الله أحدًا، بل لا يكتم النصيحة، فلو كان الجهاد أولى من المكث بجوار الزوجة لنصحه بألا يعود، لكنه أقره على ذلك وكافأه بنصيبه من الغنائم.

فاختيار عثمان البقاء مع زوجته - وقد كان من الممكن أن يحل محله إحدى النساء أو الجواري - دليل على حبه إياها وانشغاله بحالها، وتقديم شأنها على كل الشئون ما دام لا يغضب الله - عز وجل - فلم يغب عنه أن حب

الزوجة من حب الله - عز وجل - لأنه حب طاهر عفيف يبني ولا يهدم، ويقود إلى جنة رب العالمين.

بالإضافة إلى ما للحب من مكاسب تحسن حياتك الدنيوية وعلاقتك بالناس فإنه سبب في دخول الجنة، فإذا أحببت المؤمنين كنت معهم، وإذا أحببت رسول الله ﷺ كنت معه، فهو القائل: «المرء مع من أحب»، بل يروى أن أحد صحابته رضي الله عنهم كان مبتلى بشرب الخمر، فيؤتى به إلى النبي ﷺ فيأمر بإقامة الحد عليه فَيُجْلَد، فلما كثر ذلك منه، قال له أحد الصحابة: يلعنك الله، ما أكثر ما يؤتى بك مخمورًا! فقال له النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فَوالله ما علمت: إنه يحب الله ورسوله».

فحبه لرب العالمين وللنبي ﷺ أنجاه من لعنة الناس إياه، وهو بشرى له بدخول الجنة لأن المرء مع من أحب، أما شربه الخمر فلعل الله - عز وجل - يكفره عنه بالجلد.

وأخيرًا.. فإن الحب في الله - عز وجل - من أفضل شُعَب الإيمان؛ حب الأهل، وحب الأقارب، وحب الزوجة، وحب الجيران والأصدقاء والزملاء وحب الطبيعة التي خلقها الله - عز وجل - وحب العصاة مع بغض أعمالهم، فالحب في الله - عز وجل - سبيل الجنة.

خدعوك فقالوا... زوجات هذه الأيام غير جديرات بتضحيات أزواجهن

إن الحياة داخل البيوت من أكثر الأمور المعقدة في حياتنا، ومليئة بالكثير من المشاكل، لكن هذه المشاكل أحيانًا يتخللها الحب، ذلك الشيء الذي يزلزل القلوب، فحب الله، وحب رسوله، وحب المؤمنين الصالحين، وحب الأقارب والجيران، وحب الأصدقاء، وحب الزوجة

والأولاد - كل هذه الأنواع من الحب هي قوام الحياة، فلا يعيش الإنسان لنفسه فقط، ولا يستطيع أن يعتمد على نفسه فقط؛ فقد سخر الله - عز وجل - الناس بعضهم لبعض، قال الله تعالى:}أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ{ [الزخرف: 32] .

والزوجة هي الركن المتين الذي يستند إليه الزوج، وهي السند والمعين، ولا ينبغي أن يقل حبها أو يختفي؛ فإن ذلك يجعل الزوجين يعيشان مع بعضهما البعض مضطرين؛ إما من أجل الأولاد، وإما من أجل المظهر الاجتماعي، وإما من أجل المنفعة الخاصة، فلا تجعل أحد يقول لك زوجات هذه الايام غير جديرات بتضحيات أزواجهن، أو حب أزواجهم لهن.

وكثير من الناس يشكون قلة الإحساس الجميل بينهم وبين زوجاتهم، أو انعدام هذا الإحساس، ماذا حدث؟ ما الذي جرى؟ قد كنت أحبها، ما هذا الفتور الذي اعترى قلبي، هل أنا السبب؟ هل هي السبب؟ فما أحوجنا إلى أن نعرف ماذا يحدث للحب في بيوتنا، نسأل الله ألا يحرمنا الحب، وأن يبارك لنا في زوجاتنا وأولادنا.

أيها الزوج.. أنت الأساس. والكلام هنا مخصص للزوج فقط، حيث إن الزوج هو القائم على زوجته، هو الأساس في المنزل، هو الركن الركين الذي تُبْنَى عليه الأسر، فالرجل هو الذي يبحث عن المرأة، وهو الذي يذهب إلى بيت والدها ويطلبها، ومن ثم تستجيب المرأة وتكون زوجة للرجل، تأتي إلى بيته فيكرمها ويعزها ويقدرها.

من هذا المنطلق عليك أيها الزوج أن تعلم أن النبي ﷺ تعلم كل شيء من الله - سبحانه وتعالى - عن طريق سيدنا جبريل الأمين ﷺ، ورغم ذلك أمره أن يقول: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114]، أي استمر يا محمد في التعلم إلى آخر لحظة في حياتك؛ لذا فلا بد لنا أن نتعلم، وأن نصبر في طريق العلم، أن يذكر أحدنا الآخر، قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]، وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: 10]، نسأل الله أن يلقي الخشية في قلوبنا .

وأهيب بالزوجات عندما يقرأن هذا الكلام ألا يشمتن في أزواجهن، وألا تذهب الزوجة لزوجها بالكتاب لتقول له: خذ، اقرأ، تعلم، اعرف أخطاءك؛ لأن هذا مما يوغر

صدر الرجل، ويورثه العِناد وربما يوقعه في الكبر والعياذ بالله، فلا يستفيد بما يقرأ، بل قد ينقلب الأمر إلى العكس فلا يقرأ حتى هذا الكلام.

فالرفق مطلوب والحكمة مطلوبة، وإن الزوجة الحصيفة هي التي تذهب لزوجها، وتقول له هيا نقرأ حتى نتعلم، تعال علمني شيئًا حتى أستطيع أن أواجه متطلبات الحياة، ووقتها سيعلم الزوج أن زوجته تريد أن تبلغه رسالة، هذه الرسالة هي أن يحسن إليها وإلى أولادها، من غير أن تجرح شعوره وإحساسه.

يعيش بعض الأزواج للأسف عيشة عشوائية، ولأنك أيها الزوج رجل، وأنت سند زوجتك وكل شيء بالنسبة لها، ولأنك رب البيت، لذا فليس من المفروض أن تكون عشوائيًّا، ومثل أي مدير في أي شركة لكي يظل مديرًا ناجحًا، لا بد أن يكون لديه مهارات إدارية عالية الجودة، حتى يحافظ على كل الموارد في شركته، ويحافظ على علاقته بجميع العاملين في الشركة، حتى لا يقطع الخيط الذي بينه وبينهم، فيفقد ثقتهم. ورب البيت - أي أنت أيها الزوج - مدير لأكبر شركة؛ إذ هي شركة الحياة، شركة الحب مع رفيقة دربك، شركة حبك مع أولادك، الذين

يتعلمون منك كل حرف وكل كلمة تتفوه بها أنت وزوجتك، لذا

لا بد أن تكون عالمًا بأفعالك وأقوالك كلها حتى تستطيع أن تدير البيت بنجاح.

في الحقيقة هناك أبواب كثيرة تقربك إلى الله - سبحانه وتعالى - وذلك قبل الزواج، ومن الصعب أن يرتب الفرد منا أي هذه الأبواب أعظم عند الله، أيها أقرب إلى الله - عز وجل - للدخول إليه منها، ولكن بمجرد أن تتزوج تصبح الزوجة هي أعظم الأبواب إلى الله - سبحانه وتعالى - بها تتقرب إلى الله، وبها يعلو رصيد حسناتك، وبها تضمن الجنة، وبها تستعين على الدنيا لتوصلك إلى الآخرة.

والرسول الكريم كان لنا مثالًا عاليًا، ونموذجًا مشرفًا حين قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وكان ﷺ المثل الأعلى لنا ولجميع أمته في معاملة الزوجة، لذا يا صاحبي لو أردت أن تكون أحسن زوج عند اللَّه - عز وجل - فلا بد أن تتبع سنة النبي ﷺ، وألا يكون طموحك غير ذلك؛ لأنك دائمًا لا تصل لما تطلب، فقد تقل عنه بقليل، ولا بد أن تعلم أن زوجتك هي اختيار الله لك،

ولو غفلت عن هذا الأمر غفلت عن خير كثير، لا بد أن تعي جيدًا أنها اختيار الله لك حتى تعيش معك في الدنيا وحتى تكون رفيقتك في الجنة إن شاء الله تعالى، فمن بين كل نساء الأرض قال الله لك: هذه هي هديتي لك فاقبل الهدية. قال رسول الله ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»(1) . لا بد أن تعتبر زوجتك أهم شيء في حياتك لأنها بابك إلى الله بل هي الباب الأعظم.

ولا يظنَّنَّ ظان أن هذا الكلام للمتزوج فقط لكنه أيضًا لغير المتزوج؛ لأنك ستتزوج إن شاء الله، وأن تقدم على الأمر وأنت عالم به خير لك من أن تقدم عليه وأنت جاهل به. والزوجة - كما قلت - هي اختيار الله لك، وقد تكون - بحذف نقطة وإبقاء نقطة - هي اختبار الله لك، حيث إن لها عيوبًا أراد الله أن يختبرك بها، ليرى هل ستحسن إلى آدمي به عيوب مثلك ومثلي ومثل كل البشر أو لا.

فحذار أن يدخل عليك الشيطان فكرة أن زوجتك لا تستحق شيئًا، لا تقل قد صنعت معها الكثير، خدعوك فقالوا زوجتك غير جديرة بما تصنع، زوجتك لا تستحق حبك لها، فأول ما نستوصي به هو الإخلاص، والإخلاص

أن تصنع الشيء لله وحده، ولو صنعت هذا لله فلن تنظر إلى من هو أمامك أيًا كان حتى لو كانت زوجتك، ولن تقول «عملت ما عليَّ عمله». فلتعلم أن الإحسان واجب عليك لا انقطاع له، وتلك سنة الحياة.

وقبل أن تقول: ماذا تعطيني زوجتى، لا بد أن تسأل ماذا قدمت أنت لزوجتك، فالجزاء من جنس العمل، وأنت الرجل فلا بد أن تعطي أولًا قبل أن تأخذ، وقبل أن تقول: أنا محتاج لأن أشعر بتقديري، أشعر بنفسي، أشعر بذاتي وبرجولتي. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث مات صلوات الله وسلامه عليه ورأسه الشريف على كتف السيدة عائشة.فقد قالت : «قبضه الله بين سحري ونحري ودفن في بيتي»(1) .

أي ما بين صدرها ورقبتها، هذا الموضع المليء بالحب والحنان لم ينله النبي ﷺ من فراغ، فقد زرع النبي ﷺ حبًا وحصد حبًا، زرع حنانًا وحصد حنانًا، وتخيل في هذا الموضع، موضع سكرات الموت، والنبي ﷺ يقول: «إن للموت لسكرات» وهو يعاني لم ينسَ أن يوصي بشيئين: النساء، والصلاة. وفي حجة الوداع - وكانت قبل وفاة النبي ﷺ بشهور قليلة - وصّى النبي ﷺبأمور كثيرة في العبادات، وفي المعاملات وصى بالنساء خيرًا، وقد كان

يذكر ملخص دعوته منذ أن بعثه الله إلى أن أنزل عليه قوله تعالى:

{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة: 3]. فقال النبي ﷺ: «ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عَوانٌ عندكم»(1) أي أسيرات مكسورات.

انظر لقد وضع الصلاة وهي الفرض الذي لن يضيع أبدًا حتى قيام الساعة، الفرض الذي لا يسقط أبدًا حتى ولو صليت برموش عينيك، وضعها مع الوصية بالنساء خيرًا صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك يا رسول الله.

كان ذلك حرصًا من رسول الله ﷺ على أن تبقى الجنة في بيوتنا، ولعلمه أن بعض الأزواج لن يفطنوا إلى قيمة الزوجة ومكانتها في الأسرة المسلمة.

إن عز زوجتك من عزك، وفرحتها من فرحتك، وشعورها بالأمان واجب عليك، فاستوصِ بها خيرًا.

وانظر إلى بداية الخليقة يوم خلق الله - سبحانه وتعالى - سيدنا آدم ﷺ، فقد خلقه من طين، وخلق منه زوجته حواء، خلقها من ضلعه، لم يخلقها من مادة مستقلة، بل لم يخلقها من نفس المادة، لكنه سبحانه خلقها من ضلع سيدنا آدم، قال الله تعالى: } هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ { [الأعراف: 189] وما صنع الله - عز وجل - ذلك إلا لتعلم أن زوجتك هي أنت، فهي منك، من جسدك، ولو تخيلت أن زوجتك هي قلبك وعينك، هي جسمك، هي حياتك، فهل يستطيع أحد أن يهين نفسه، أو يفرط في جزء من جوارحه، أن يبطش بحاسة من حواسه، بالطبع لا، بل يجعلها أكرم شيء عنده لو تدبر هذا المعنى.

لا يصرفنك ما تراه في وسائل الإعلام أو ما يتناقله الناس من تسمية الزوجة بالحكومة وما شابه ذلك، فتظل تذكرها بهذا المعنى حتى تخرج من قلبك ويبتعد عنك

حبها، وتصدق فعلًا أنها الحكومة أي أنها تحاسب وتأمر وتنهى، وليس لها عمل غير هذا.

وقد أشتكي حال زوجتي في صلاتي وفي خشوعي وعبادتي ولا أدري أنني سر التعاسة لا زوجتي؛ حيث لم أقدم لها حبًّا يعود إليَّ بعد ذلك، لذا نريد أن نقلب معًا صفحة الماضي، بحلوه ومره، ولا بد أن تذكر هذا لزوجتك، اقلبي معي يا حبيبتي صفحة الماضي بكل ما فيها ولنبدأ صفحة جديدة، ولنترك وسوسة الشيطان، ولنستعذ بالله منه ومن مداخله على العباد، ولنقلب صفحة مليئة بأشياء لا نحب أن نتذكرها حتى نأتي للنبي الكريم يوم القيامة ونقول له حاولنا أن نكون من خير المسلمين، حاولنا أن نكون خير الناس لأهلينا كما كنت يا رسول الله خيرهم لأهلك.

هيا نبدأ معًا رحلة الحياة الجديدة، وهذه الرحلة بها معنيان فقط وليست وصايا كثيرة، ولو وجدت منك الزوجة هذين المعنيين؛ فإنني أستطيع أن أجزم بأنها ستضعك في عينيها وقلبها.

أولًا هل تريد يا صديقي أن يحبك الله - سبحانه وتعالى -. لا بد أن تقول لزوجتك إنك تحبها بالفعل، والله - سبحانه وتعالى - لا يؤخر العطاء لا يمكن أن تعطي

ولا ترى عطاء الله. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: 30].

ولا تقل يا صاحبي إلى متى؟ كم سأعطي من الحب والحنان؟ هل سأعطي بلا حدود؟

فإنك لم تقل لله تعالى: إلى متى أصلي؟ إلى متى أصوم؟ إلى متى أزكي وأنفق في سبيلك؟ والحقيقة أنك تطيع الله - سبحانه وتعالى - إلى ما لا نهاية، حتى الموت، فلماذا لم تطع الرسول ﷺ وهو الذي أمرك ووصاك بامرأتك خيرًا؟ لماذا تقول بأفعالك للرسول ﷺ إلى متى؟ فينبغي أن تعلم جيدًا أن الله - عز وجل - أمرنا بالصبر على أمورنا كلها.

إنك تملك أن تجعل زوجتك أسعد امرأة في العالم، أسعد امرأة في الوجود، والبداية من عندك أنت حتى تشهد هذه المرأة الضعيفة لك يوم القيامة وتقول للنبي ﷺ زوجي كان يحبني، ارض عنه يا رسول الله، اشفع له عند ربك، فأكرمها حتى تدعو لك في صلاتها.

تم عمل بحث لأجمل وأحلى هدية تحبها المرأة، فوجدوا أن أكثر شيء يسعدها هو الوردة، وبالأخص

الوردة الحمراء، فكم ثمن تلك الوردة؟ نصف جنيه، جنيه، جنيه ونصف. أرأيت أن الأمر يسير، ما على الزوج إلا أن يحضر لزوجته وردة حمراء، ولا ينسى أن يبتسم لها عندما يعطيها تلك الوردة، فهذه الوردة بها من المعاني ما لا يعلمه إلا الله، وتلك الابتسامة تسحر القلوب، وتنسي العقل أي شيء حدث من قبل فيه إساءة أو تقصير.

والغريب في هذا البحث أنهم عندما سألوا البنات والنساء عمومًا عن الهدية الثانية التي تحتل مكانة في قلوبهم ذكروا «خاتم الألماس» (أو الألماظ كما هو شائع) يا ألله، الوردة الحمراء التي لا تتعدى الجنيه تقريبًا أولًا، ثم يليها خاتم الألماس وثمنه لا يخفى على أحد، هل تعادل تلك الوردة في قيمتها وما تصنعه في القلب ما يصنعه هذا الخاتم غالي الثمن؟

نعم، إن لها تأثير السحر بالقلب، وتؤثر تأثيرًا بالغًا على العقل. وما هذه المعاني التي تختبئ في تلك الوردة؟! إنها التقدير والشعور بأنك لا تنساها وأنها جزء كبير في حياتك بل هي كل حياتك، بأنك قد فكرت فيها، وجئت بشيء من أجلها، هذا الشيء قد لا تستطيع أن تأتي به لأحد غيرها، هذه هي الوردة الحمراء التي تخبر زوجتك بأنها ليست من مقتنياتك، بل هي كل ما تملك.

هناك بيوت كثيرة يعيش فيها الزوجان تحت سقف واحد مطلقين، لا على سبيل الحقيقة، ولكن لأنهم يعيشون عيشة المطلقين، لا يوجد بينهم أي نوع من العلاقة، وهذا بسبب أن الزوج يهدم كل يوم طوبة من جدار التقدير والاحترام الذي تحلم المرأة أن تجده شامخًا مرتفعًا.

لا تنسَ يا صديقي أن الزوجة قبل أن تأتي إلى بيتك، كان لها أخ يحبها ويكرمها، كانت لها أم تحنو عليها، كان لها أب يريحها ويسعى لقضاء مصالحها، كانت لها أخت تعشقها وتنفذ كل طلباتها، وعندما ذهبت لتقطفها من هذه الحديقة الغنَّاء، وعدتهم بأنها ستكون عندك بمنزلتها في بيت أبيها.

لا تنسَ أيضًا أنهم قالوا إن المرأة تحب بأذنيها، هل تعلم أنك تستطيع أن تخطف قلب زوجتك بكلمة، فقط كلمة واحدة تجعلها أسعد امرأة في الوجود.

الكثير من الرجال عندهم مئات الأشياء في حياتهم تشغلهم عن الدنيا كلها، عملك، أصدقاؤك، أقاربك، جيرانك، مشاكلك..... لكن زوجتك أنت كل حياتها، ليس لها غيرك فأنت تخرج وتقابل هذا وذاك، وتضحك وتعمل، لكنها حبيسة تلك الجدران من أجلك أنت وأولادك.

لا تنسَ أنك تدخل بيتك لا تريد أن تسمع شيئًا، لا تدري أن حياة زوجتك تتمحور كلها حولك وسعادتها كامنة في أن تشعر بها، فأنت سندها في هذه الحياة.

فالزوج اليوم لا يريد أن يتحمل مسئولية بيته، ولا يريد أن يتعب مع أبنائه، لا يريد أن يذاكر لهم، لا يريد حتى أن يساعد زوجته، وقد كان النبي ﷺ في خدمة أهله، كان يقم المنزل (أي يكنسه)، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، وكان في خدمتهم. تقول عائشة: «كان رسول الله يكلمنا ونكلمه ويحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه».

أيسرُّك أن تلجأ زوجتك لغيرك، هل تريد أن تبحث عمن يعطيها التقدير الذي حرمته منك، لذا يقولون في علم التواصل: إذا لم تستطع أن تصنع الشيء فلتتظاهر به، أي تظاهر بأنك تستمع إلى زوجتك، تظاهر بأنك تحبها، تظاهر بأنك لا تنساها أبدًا، وسع صدرك دائمًا.

تخيل لو قالوا لزوجتك صفي لنا زوجك في سطرين ماذا ستقول؟ هل ستتنهد وتنظر إلى الأرض في حسرة أو ستتنهد وتنظر إلى أعلى وهي تتذكر حلمًا جميلًا أنت تحققه لها كل يوم؟

لعل الشيطان يوسوس لك الآن بأن كاتب هذا الكلام شخص رائق البال وأن لديك ما يشغلك، فلتحذر ذلك فإنه يبعدك عن رسالتك التي لن توفيها إلا إذا كنت حقًّا رائق البال. فنحن لا نستطيع العمل إلا ونحن رائقون، ولا نستطيع أن نعبد الله إلا ونحن رائقون، ولا نستطيع أن نمارس حياتنا إلا ونحن رائقون، كذلك لا نستطيع أن نتعامل مع زوجاتنا وبناتنا إلا ونحن رائقون. فأقبل على زوجتك وأنت رائق حتى تستطيع أن تعطيها كلمة حلوة، العالم كله الآن يسعى وراء معنى المبادرة، ويدرس معنى ابدأ بنفسك حتى تغير العالم. لقد اختفى مفهوم الاعتمادية وحل محله اتجاه جديد مفاده أنك لو أردت أن تحقق شيئًا فأفعالك هي التي تحققه لك. انظر إلى النبي ﷺ عندما كان يدلل السيدة عائشة، وقد كان يكفيه أن يعاملها معاملة حسنة، لقد كان يقول لها يا عائش، وكان يسميها الحميراء، أي البيضاء التي في خدها حمرة، وهي من أحلى الصفات في المرأة، لماذا كان النبي ﷺ يقول لها ذلك؟ كان يريد أن يوصل إليها رسالة أنه يناديها باسم لم ينادها به أحد، هذا خاص بي أنا وحدي، يريد أن يخبرها أنها ليست عنده كما هي عند الناس.

أما الآن فبعض الناس يطلق على زوجته أبشع الألفاظ بل يسجلها على هاتفه المحمول بأسماء غريبة،وهذا منافٍ لفعل الحبيب المصطفى ﷺ.

فكن من الذين يمتثلون لفعل النبي ﷺ، حتى تكون معه يوم القيامة.

حكت السيدة عائشة: خرج بي رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالحرة انفرد وأنا على جمل لي , فكان آخر العهد منهم وأنا أسمع صوت رسول الله ﷺ وهو بين ظهري ذلك السمر وهو يقول: «واعروساه». قالت: فَوالله إني لعلى ذلك إذ نادى: أن ألقي الخطام , فألقيته , فأعقله الله بيده.

وبمناسبة التسمية التي نتحدث عنها سواء بالإيجاب أو بالسلب، فعلماء التنمية البشرية قالوا إن هناك شيئًا اسمه: الرابط الذهني، أي أنه لو كرر شخص معك فعلًا معينًا، فإنك تضعه في رأسك وتسجله في ملف معين، هذا الملف مربوط بالشيء الذي فعله معك، فمثلًا لو قلت لك تذكر رجلًا طريفًا سيأتي في ذهنك فلان الذي لا يكف عن المزاح والمرح.

تذكر مثلًا شيئًا كئيبًا ستذكر فلانًا الذي لا يكف عن الشكوى والضجر. فلو ذكرت لك صفة الحنان، ستذكر

النبي ﷺ مثلًا، لو ذكرتُ لك الكرم تذكر الله تعالى وهو الكريم المتعال، ولذلك عندما تذكر السخرية أمام زوجتك هل ستتذكرك، أم ستتذكرك مع صفة الرحمة والحب والحنان؟ هل ستتذكرك في المواقف الصعبة أم ستتذكر أن غيرك هو الذي يقف بجانبها حتى ولو كان أخاها؟ هل شعورها بالأمان معك قليل؟ هل تتوتر بجوارك أم تأمن إلى جانبك؟

هل أنت وزوجتك في البيت قاطر ومقطورة أو أنكما شمس وقمر؟

قاطر ومقطورة؛ يعنى أنك تسير وهي خلفك لا تراها، أو قد تسير هي وأنت خلفها لا تراك، لا تنظران إلى بعضكما البعض، هل تلهيكما الحياة؟ هل تنعدم الألفة بينكما؟ هل تنغمسان في دوامة الحياة تربيان أبناءكما بالكاد، لا تشعران بالحياة ولذتها؟

أو أنكما شمس وقمر؟ إن الشمس هي التي تمد الكون بالضياء، وهي التي تمدنا بالدفء، ولولا الشمس لمات كل من على الأرض ولتحولت الحياة إلى عدم، والقمر يستمد نوره من الشمس وينير، كما قال تعالى: } هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [يونس: 5]. هل أنت في بيتك مثل الشمس تمد أهل بيتك بالضياء والدفء والحنان، لتصبح زوجتك كالقمر، تقبل هذا الضياء منك وتنير ليعود النور إليك وإلى أولادك؟ إذا لم تكن كذلك فأرجوك ألا تحرم نفسك وأهلك من هذا الخير العظيم، إياك أن تكون قاطرًا وزوجتك مقطورة لا يراعي كل منكما الآخر.

ذكرنا من قبل أن المرأة تحتاج من الرجل أن يشعرها بالمحبة والتقدير ولكن هناك موانع تمنعه من أن يكون عند زوجته بتلك المنزلة.

أولًا: المتكبر:

ومشكلة المتكبر أنه يستقبل فقط، يريد من الناس أن يقدروه، أن يحسوه، ويقول دائمًا أنا أريد.... أنا... أنا.... وهي صفة إبليسية والعياذ بالله، فعندما قال الله - عز وجل - للملائكة اسجدوا لآدم، قال إبليس (أنا خير منه) وأخذ يسوق الأدلة على ذلك، } قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } [الأعراف: 12].

ولذا فهذا الرجل يعيش بصفة إبليسية مع زوجته في المنزل مع أن النبي ﷺ يقول: «النساء شقائق الرجال»،

ويقول الله - سبحانه وتعالى -: } لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ { [الشورى: 49]. فقد ذكر الله تعالى الإناث قبل الذكور، ويقول تعالى: { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: 34]. معنى القوامة الخدمة، أي أنت تقيم على زوجتك أي في خدمتها كما ذكر الإمام القرطبي رحمه الله. ولله المثل الأعلى: } اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ { [البقرة: 255]، أي القائم علينا، يكرمنا، يعطينا، هل أخذ منا - عز وجل - شيئًا؟ هل نصنع شيئًا من أجله سبحانه أو نصنع من أجلنا نحن؟ الله جل في علاه يعطي فقط لأنه هو القيوم.

ثانيًا: الكذَّاب:

أما الكذَّاب، فإن زوجته تشعر أنها ليست غالية عنده، وإذا رأيت الرجل يكذب فاعلم أنه جبان، وهذا يعتبر كارثة؛ لأنه نزل من عين زوجته، فحذار حذار الكذب مهما حدث، وأنا أقول لك لا بأس أن تخسر نقطة عند زوجتك، اختلف معها في موقف، واعتذر قل لها أنا آسف، أنا أخطأت لأنني آدمي، لكن لا تكذب حتى لا تخسر كل شيء أمام زوجتك، اخسر موقفًا لكن لا تخسر نفسك أمامها.

ثالثًا: سيئ الظن:

وأما سوء الظن فهو الأخطر وهو الذي يجعلك دائمًا في مشاحنات بينك وبين زوجتك، لأنك تسيء الظن بها.

ومن منطلق سوء الظن سنتحدث عن ثقافة إدارة «الزعل» والخناقات.

فسوء الظن فرع من فروع الكبر، يجعلك تشعر أن الذي أمامك لا يستحق، عندما تغضب زوجتك لا بد أن تعتذر إليها، ليس في هذا شيء، أم أن ثقافة الاعتذار ليست في قاموسك، هل تتذكر الله وقدرته عليك عندما تتشاجر مع زوجتك؟ لقد ورد في الحديث القدسي: «يا بن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب».

هل تتشاجر مع زوجتك وتنتقم منها؟ الله - عز وجل - لا ينتقم ممن يعصيه، بل هو يربي، وأنت رب البيت لا بد أن يكون الله - عز وجل - ورسوله مثلك الأعلى في تعاملك مع زوجتك.

عندما تختلف مع زوجتك لا بد أن توضح لها أنك تريد أن تخرج من هذا الاختلاف حتى توصل لزوجتك معنى التسامح، حتى تقول بعد ذلك عندما تسأل: من علمك هذا التسامح؟ من علمك هذه الرحمة والرأفة؟ فتقول إنه زوجي، قد كنت أغضب كثيرًا، لكنه كان كبيرًا، كان يحلم عليَّ، كان يسامحني، كان مثالًا يحتذى.

عندما تغضب زوجتك ذكرها بأن هناك أطفالًا يسمعون صياحنا ولا ينبغي أن نفعل ذلك حتى لا يتعلموا منا، سنموت نحن ويخرج أطفالنا إلى الحياة عصبيين، بسبب سوء تربيتنا، بسبب عنفنا، بسبب شتائمنا، فلنُدِرِ الدفة معًا، طريقنا واحد، وجهتنا واحدة، هدفنا واحد، وأنا وأنت واحد. وإياك أن تجعل قلبك أرشيفًا يخزن لزوجتك كل كبيرة وصغيرة، اغفر حتى يغفر الله لك خطاياك، سامح حتى يسامحك الله، اعف حتى يعفو الله عنك.

من أفضل الوسائل للتغلب على الغضب، أن تصنع العكس، عكس ما يتوقع منك!

تخيل لو أن لديك اجتماعًا مع مديرك في العمل وذهبت متأخرًا وقد حضر جميع زملائك، ماذا تصنع؟ هل سترجع، أو ستدخل؟ إذا دخلت ستتلقى سيلًا من الاتهامات بأنك مهمل لا تحترم عملك ولا تحترم مديرك، ولكنك قررت أن تدخل، فإذا بالمدير يقول لك: أين أنت أيها الرجل؟ لعل الطريق كان مزدحمًا، كان الله في عونك، لقد كان الاجتماع من غيرك بلا فائدة، نحن ننتظرك منذ الصباح، أقبل، تفضل، فأنت الذي تعطي لاجتماعنا رونقًا، ستذهل بالطبع عندما تسمع هذا الكلام، وتحمد الله أنك لم تتلق النقد اللاذع، فلتفعل هذا مع زوجتك، دعها تخطئ وقل لها لم يحدث شيء، ما الذي جرى؟!

أكاد أجزم أن قلبها سيتأثر أيما تأثر، فبعد أن كانت خائفة من رد فعلك ومنتظرة لأسوأ رد منك، إذا بها تجد منك التسامح واللين وستعرف أنت السعادة في عينيها.

أعط لزوجتك ورقة مسطرة بها أرقام 1- 2- 3- 4- (كرم - حنان- تسامح - مسئولية) وقل لها أعطيني درجات، ولا تبالغي ولا تخافي فلن أغضب منك، قولي لي: كم آخذ في الكرم معك؟ كم آخذ في الحنان؟ وهكذا وانظر ماذا ستعطيك، كم ستقدرك،، اعرف صورتك من عند نصفك الثاني، وعندما تعطيك درجة عالية فى خلق ما، فاحمد

الله، وإذا نبهتك إلى تقصير فى ناحية ما، فلا تقل لها أنت ناكرة للجميل، ولا تستحقين غير ذلك، بل حسِّنْ من نفسك حتى تخبرك من تلقاء نفسها أنك أفضل بكثير، فاعرف عيوبك من حبيبتك، فسيدنا عمر قال من قبل: «رحم الله امرأ أهدى إليَّ عيوبي».

هل تعلم أن الله - سبحانه وتعالى - سمى زوجتك صاحبتك، قال تعالى: } يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) {[عبس:34-36]

وتأخير ذكرها يفيد مكانتها وصعوبة التفريط فيها.

هل تعلم لماذا كان الصحابة يحبون بعضهم إلى هذه الدرجة من الحب؟ لأنهم كانوا يشتركون في عمل كل شيء معًا، يأكلون معًا، يشربون معًا، يصلون معًا، يصومون معًا، يقومون معًا، يجاهدون في سبيل الله معًا، فهذه المشاركة تجعلك تحب من تشاركه، وزوجتك شريكة حياتك، فمتى شعرت بتقديرك إياها شعرت بحبك لدرجة أنك تدخلها في كل كبيرة وصغيرة في حياتك، وعندها ستدرك أنها أنت وأنت هي.

لذا لا تنس أن تنادي زوجتك بأحب الأسماء إليها، بل لا تنس أن تناديها ب «يا أنا» وسجل زوجتك على هاتفك

ب «أنا» لتتذكر أن إحسانك إليها إحسان إلى نفسك، عزها هو عزك وسعادتك هي سعادتها.

يقول المولى عز وجل: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: 228]. هل تعلم ما هذه الدرجة؟ إنها الإحسان، لا بد أن تحسن المرأة إلى زوجها، وأن يحسن هو إليها زيادة على إحسانها، فهذه هي الدرجة وهذه هي القوامة.

وفي النهاية: عامل زوجتك كما تحب أن تُعامل أختُك، بل كما تحب أن يعاملك رب العالمين - سبحانه وتعالى - فهي بابك إلى الله، وهي طريقك إلى الجنة، بل إلى الفردوس الأعلى إن شاء الله ولا تسقط من برجك العالي أمامها، والفارس النبيل يسقط من فوق فرسه لو كذب أمام زوجته.

* * *

خدعوك فقالوا... الأزواج في هذا العصر لا يستحقون حب زوجاتهم

كما تناولت من قبل المفاهيم الخاطئة عند الزوج وتصحيحها، وكما ذكرت له خدعوك فقالوا زوجات هذه الأيام غير جديرات بتضحيات أزواجهن، وإلى متى ستظل تعطي، جاء دور الزوجة الآن، كيف ستتعامل مع زوجها وكيف تشعر به؟ وهل فعلًا يستحق حبها؟ وأقول

لها خدعوك فقالوا الأزواج في هذا العصر لا يستحقون حب زوجاتهم.

وأرى أن الزوجة لو وضعت نفسها مكان الزوج ونظرت لنفسها بعينيه فسيختلف الأمر معها كثيرًا، إذا أردت عمومًا أن تشعر بالذي أمامك فضع نفسك مكانه، واعرف كيف ينظر إليك، وعامله بالطريقة اللائقة به، وكن عند حسن ظنه بل عامله بالطريقة التي تحب أن تتلقاها منه.

وكما طلبنا من قبل من الزوج ألا يقول قد صنعت ما عليَّ، سنطلب من الزوجة ألا تقول هذا أيضًا.

وكما طلبنا من الزوجة ألا تقول للزوج حينما تقرأ النصائح الموجهة إليه، انظر، اقرأ هذا الكلام حتى تتعلم، أرأيت تقصيرك؟ فإننا نطلب من الزوج حين يقرأ هذا الكلام ألا يقول لزوجته اقرئي.. انظري إلى هذا الكلام، أنتِ مقصرة، أرأيت؟ وأطلب إليه أن يكون إيجابيًا لكي ينقل لها هذه الإيجابية.

والآن، ما الصفات التي تحتاج إليها الزوجة حتى تحسن من نفسها وحتى تكسب قلب زوجها، وحتى يصبح البيت جنة بإذن الله رب العالمين؟

تحلم كل فتاة قبل الزواج بأن يدق باب بيتها من يطلب يدها ويكون ذلك اليوم أسعد أيام حياتها، وتكون أسعد لحظة يوم أن تلبس التاج، لا في رأسها ولكن في يدها، وأعني بذلك «دبلة الخطوبة» هذا الارتباط هو أول الطريق لحياة زوجية بين شخصين سيعيشان في حب متواصل في الدنيا وفي الجنة إن شاء الله.

إن الله - عز وجل - خلق الرجال وهم بحاجة إلى النساء في فطرتهم حتى يضمن سعادة بني آدم، كما خلق الرجل نشيطًا حتى يستطيع أن يواجه مطحنة الحياة، وليتعامل مع كثير من البشر في العمل وخارج العمل، وهو بهذا يتشتت ويتبعثر في خضم هذه الحياة الدنيا.

ومع ذلك فإن عنده فراغًا. هذا الفراغ إذا ملئ يلم شتات الرجل المتبعثر، وهذا الفراغ لا يملؤه إلا عطاء المرأة وحبها، لذلك كان طبيعيًا أن ينجذب الرجل إلى المرأة، إلى حنانها وعطائها وحبها.

يقول - سبحانه وتعالى -: } زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ { [آل عمران: 14]، ويقول رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال

من النساء» وليس معنى ذلك أن النساء ضرر للرجال، ولكن نقول إن للرجل شهوة، هذه الشهوة لا بد أن يقضيها في الحلال، وحلال الرجل زوجته، ولكن الفتنة تأتي عند التجاوز والعياذ بالله، وعندئذ يكون الأمر خطيرًا جدًّا.

وكلنا يذكر سيدنا يوسف عليه السلام حينما اختبره الله - تعالى - بامرأة العزيز، ثم مع كل نساء المدينة التي يعيش فيها، إلى أن نادى ربه عز وجل: } قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ { [يوسف: 33]، وكلمة « أصبُ» هنا بمعنى أصبح صبيًّا، أي أن الرجل عندما يضعف أمام المرأة يصبح كالصبي بين يديها، لا إرادة له، وهذا بسبب سيطرة المرأة على الرجل، وتكون هذه السيطرة جميلة وحلوة إذا انجذب إليها في الحلال.

وزوجك إن لم ينجذب إليك فلن يحب مكثه في البيت ولن يسعده بقاؤه معك، وهذا معناه أنكِ لم تنجحي في أن تسعديه وتجعليه يجد نفسه معك، فالرجل محتاج إلى أن يشعر بالسكن، وهذا هو محور كلامنا أن المرأة لا بد أن تكون سكنًا للزوج والسكن يعني البيت أي أنك بيت الرجل، والإنسان لا يستريح إلا في بيته لدرجة أن بعض الناس لا يستطيع أن يأكل أو يشرب إلا عندما يعود إلى

بيته، فيظل خارج المنزل بدون طعام ولا شراب وقد تعود على ذلك، وهذه السكينة التي يجدها الرجل في بيته آية من آيات الله - سبحانه وتعالى -. يقول الله - عز وجل -: } وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ { [الروم: 21].

فالمودة والرحمة يقذفها الله في قلوب الأزواج والزوجات، فقد يتغيران أو يتغير أحدهما بعد فترة، وتلك نعمة من الله - عز وجل - تستوجب الشكر، وذلك يكون بحفظ كل منهما حقوق الآخر، فمتى ضيعها سلبت منه هذه النعمة، فتتبدد المودة والرحمة ويتحول البيت إلى نمطية وبنية مزعجة للزوجين والأبناء جميعًا. والزوج يحتاج أن يشعر بالأمان في بيته، صحيح أنه قد يخطئ لكن بيته سيتحمله ولن يفضحه، ولن يذيعَ سره، وبيته هذا هو أنتِ، فاحفظي سره، وتحمليه إذا أخطأ في حقك، وتحلي بصفات الزوجة الصالحة التي تشعر زوجها بالأمان الحقيقي، وأنه أحسن الناس وأغلاهم لديها.

الطاعة، وكتمان الأسرار، والرعاية والحنان، والصراحة، والتماس العذر، والنظام، وفيما يلي نتحدث عنها بشيء من التفصيل:

إن طاعة الزوجة لزوجها هي مفتاح الرجل، فالرجل يحب المرأة الطائعة، علاوة على أن الطاعة يتخللها شعور بالضعف، وهذا الشعور بالضعف يجعل المرأة رقيقة، فالضعف في المرأة محبوب مطلوب، لكن القوة أو الخشونة غير مرغوب فيها، فهي صفة رجولية تخرج المرأة عن طباعها وتجعل فيها طباع الرجال.

ومن الصفات المهمة التي ينبغي أن تتحلى بها الزوجة ألا تفشي سر زوجها لأي أحد أيًّا كان حتى ولو كان أقرب الأقربين إليها، والدتها، والدها، صديقاتها، فالوفاء للزوج وحفظ أسراره يجنبها مشكلة من أكبر المشكلات التي تعرض البيت كله للانهيار. فالسر إذا خرج من البيت ذاع وانتشر وإذا أرادت أن تعيده إلى ما كان عليه من الكتمان فلن تستطيع أن تفعل.

لا بد أن تحافظ الزوجة على زوجها وعلى بيتها، وأن تحوطه برعايتها وعنايتها، وإن كانت في بيت والدها تجد من يهتم بها ويسهر على راحتها، فتكون هي بعد زواجها بمثابة الوالدة له، تحبه وتحنو عليه وترعاه وتقدم له طعامه وشرابه وملابسه وتسهر على راحته إن كان مريضًا وتقدم له الدواء وتظهر استياءها وحزنها عند مرضه.

لا بد أن تتحلى الزوجة بالصراحة والصدق وألا تخفي شيئًا عن زوجها بحيث تكون كتابًا مفتوحًا أمامه، كأنه يقرؤه.

ومن أهم الأمور التي لا بد أن تراعيها الزوجة معرفة طبيعة عمل زوجها، فذلك يقلل كثيرًا من المشاكل، فلا بد أن تعلم أن زوجها يتعرض لمواقف مختلفة، ومضايقات كثيرة، واحتكاكات كثيرة، في وسائل المواصلات حتى ولو لديه سيارة فسيجد لا محالة من يضايقه في طريقه، وكذلك المضايقات من رؤسائه في العمل أو من بعض زملائه أو حتى مشقة العمل، ويأتي في آخر اليوم وقد تعب تعبًا شديدًا، فلا بد أن تستقبله أحسن استقبال وأن تغسل له همومه كلها، وأن تنسيه متاعب عمله وتنسيه الدنيا كلها ما دام معها، تأخذ الأمور ببساطة، تحترم زوجها حتى يحترمها دائمًا، ولا تضغط على زوجها مهما كان الأمر بل تتركه، وعندما يرجع إلى بيته تستقبله بأفضل الكلمات، كأن تقول حمدًا لله على سلامتك، تكون هادئة جدًّا مع حبيبها لا تتكلم كثيرًا فقد حضر من عمله وقد تشبع بالكلام، فكلامها يكون بحدود، وهذا من الرحمة بالزوج والرأفة به، وإذا رأت منه تقبل الحديث فلتستطرد كما تشاء.

ومن الأمور التي يحبها الزوج أن تكون زوجته منظمة مرتبة، مواعيدها مستقرة تضع مصالحه في اعتبارها الأول وترتب أمورها على هذا الأساس حتى لا تخل بحقوقه، وهذا مما يشعر الزوج بالأمان في بيته فضلًا عن المحبة والتقدير.

أيتها الزوجة المخلصة أنت أهم شيء في حياة الرجل، أنت التي تغيرين مساره, أنتِ التي تجعلينه يخرج إلى عمله وهو سعيد فيكون منتجًا، ولكي تحتوي زوجك لا بد أن ترفعي شعار الشفافية والصراحة والوضوح، لا بد أن تكون كل الأمور بينكما مفتوحة، لا غموض فيها، والزوجة هي العامل الرئيسي في هذا الوضوح، وفي هذه الشفافية, لا بد أن تسأل الزوج: ما الذي يضايقك مني: شكلي، كلامي، تصرفاتي؟ وأذكر قصة جميلة لأحد الصالحين وهو الإمام الشعبي، هذا الإمام الصالح قابل شريحًا القاضي فقال له: «يا شريح كيف حالك وزوجك؟ فقال له شريح: منذ عشرين عامًا ما تخاصمنا إلا مرة واحدة وكنت لها ظالمًا، فقال له الشعبي: ماذا حدث؟ فقال له: يوم أن دخلت بها يوم البناء رأيت جمالًا فتانًا وحُسنًا أخاذًا، فقلت والله لأتطهرن وأصلين لله ركعتين شكرًا على هذه النعمة، فلما سلمت وجدتها تصلي معي،

وسَلمتْ بسلامي فلما مددت يدي تجاهها، قالت على رسلك يا أبا أمية، إن الحمد لله تعالى، أحمده وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله، أما بعد، أما إنه كان من رجال قومي من هو كفء لي عنك، وكان من نساء قومك من هن كفء لك عني، ولكن الله جمعنا تحت سقف واحد فقل لي يا أبا أمية ما تحب لأفعله حتى ترضى، وما لا تحب لأتركه حتى ترضى، ثم سكتت». ماهذا؟ إن المرأة تخطب في ليلة عرسها، إنها تترك أحلى

لحظات حياتها حين يقترب منها زوجها ويلامسها ويداعبها لتخطب خطبة تحدد على أثرها خط الحياة الذي ستسير عليه إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاَ. يقول شريح: «والله لقد أحوجتني الخطبة، فقلت: إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه وأصلي وأسلم على محمد وآله، أما إني لا أحب كذا وأحب كذا»، فقالت له: «كيف زورك لأهلي؟» أي كيف تحب أن تزور أهلي؟ بعد كم يومًا؟ فقال: « إني أكره أن يملني أصهاري»؛ أي لا أحب أن نزورهم كثيرًا فيملونا، ثم قالت: «مَنْ مِنَ الجيران الذي تحبه ومن الذي لا تحبه؟»، فقلت لها: «فلان وفلان، ثم بِثُّ معها بأنعم ليلة».

لذا لا بد أن تسألي زوجك من أول يوم عما يرضيه كما فعلت هذه المرأة الصالحة غفر الله لها.

إن كل رجل له مفتاح، له مدخل يُدخل به إليه، فإذا استطعت أن تعرفي مفتاح زوجك فسيكون بين يديك كالصبي المدلل، الصبي المطيع كأنه ابنك، هل هذا المفتاح هو كلمة مثل كلمة نعم، حاضر؟ هل هذا المفتاح هو معدته؟ يحب الطعام مثلًا، هل هذا المفتاح هو العلاقة الحميمة بينك وبينه؛ علاقة الفراش؟ هل هو النظام؟ هل الترتيب؟ اسأليه إذا لم تكوني تعرفين فحتمًا سيجيبك، لأنه يحتاج إلى هذا الشيء منك إذا أردت أن تبلغي منزلة الصديقين مع أبي بكر والصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - فلتطيعي زوجك، واعلمي أن ذلك شرط من شروط دخول الجنة من أبوابها الثمانية، يقول ﷺ:

« المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت زوجها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»، فيأتي المصلون يدخلون من باب الصلاة، والصائمون يدخلون من باب الصيام، والصابرون يدخلون من باب الصبر، وأنت تدخلين من جميع الأبواب . إن الحياة عبارة عن أشخاص وهم حولنا نحاول إسعادهم لكي يسعدونا، وزوجك هو أقرب الناس إليك، هو

الشخص الذي لا حاجز بينك وبينه، والنبي محمد ﷺ عندما كان يحب أحدًا كان يقول له: «ألا إن الناس دثاري، والأنصار شعاري» والشعار هو الملابس الملتصقة بالجسد، والدثار هو الغطاء، ولا بد أن تكوني بالنسبة لزوجك مثل الشعار.

لا بد أن تجتهدي لأن تحققي كل مرادات زوجك, وهذا هو جهادك في سبيل الله - عز وجل - وعندما يشعر الزوج بأن زوجته تحاول بكل جهدها أن ترضيه فسينجذب لها لا محالة، ويصبح مثل الصبي لأمه محبًّا ومطيعًا .

رتبي أولوياتك أيتها الزوجة الكريمة، لا تقولي إنني مشغولة عن زوجي بالأولاد أو بمتطلبات المنزل، احذري أيتها الزوجة إن لم يجد الزوج راحته في البيت فسيبحث عنها في مكان آخر، إن لم يجد راحته عندك فسيبحث عن غيرك، قد يجد راحته في مقهى، قد يجد راحته عند زملائه، عند أقاربه، جيرانه، لأنه سيعثر بالضرورة على من يبحث عن السعادة مثله، على من فقد هذا الشعورعند زوجته أيضًا في بيته، فلا تشتكي إذا بحثتِ عن زوجك ولم تجديه، فالمشكلة عندك لا عنده، والخلل في منزلك لا في شخصه هو، فغيابك عنه يترك لديه فراغًا كبيرًا فإذا كان الأصدقاء يحققون ذات الرجل

فإن المرأة تحقق ذاته وكيانه وتفكيره، بل تحدد مسار حياته، وإذا كان لديك مشكلة ما فتخيري الوقت الذي تطرحينها فيه، وتجنبي أوقات تعبه خاصة عند عودته إلى البيت، فقد بينت إحصائية حديثة أن معظم حالات الطلاق تحدث في أول ربع ساعة من رجوع الرجل للبيت، لأنه غالبًا ما يعود متعبًا مهمومًا، مشغول البال، يفكر في أحداث اليوم كلها، يحتاج في هذه اللحظة إلى من يخفف عنه لا من يكربه ويكئبه، وهو إن كان يتعرض لتعب فإنما يتعرض له من أجلكِ ومن أجل أبنائكما، فليس مهيأ في هذه اللحظة لأن يستمع إلى مشكلة، فضلًا عن أن يحلها.

أيتها الأخت الفاضلة، لو سألتُ الزوج عنك ماذا يا ترى سيأتي على باله؟ هل سيذكر السكن والاحتواء، والعطف والحنان، والمعاونة والصبر، والتحمل والجلد، والضعف والانكسار، أم سيتذكر الغضب والشدة، النكد والشكوى، الضغط العصبي...؟

انتبهي أيتها الزوجة الصالحة، إن زوجك هو كبيرك.

والنبي ﷺ يقول: «ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا».

فاحذري أيتها الأخت الكريمة أن تلقي المشكلة إلى زوجك بلا حل، وكوني دائمًا إيجابية، لا تقولي: عندي مشكلة، بل عندي فرصة لحل مشكلة، فبدلًا من أن تقولي: سوف يرسب الولد في الامتحان، قولي عندي فرصة لحل مشكلة الولد حتى لا يرسب. واطرحي الحل واستمعي من زوجك وحاولي أن تستخدمي قانون الصمت حتى يظل السكن والاحتواء في ركابك.

لو عاملت المرأة الرجل على أنه أبوها، أعتقد أنه لن تحدث مشكلة بينه وبينها، لأن البنت لا تجادل أباها، بل تستجيب له لأنها تعلم أنه يكبرها وله خبرات بعدد أيام عمرها، وحتى لو علمت وتبينت خطأه فإنها تتحمله لأنه والدها، ولها من ذلك أجر عظيم تحتسبه عند الله تبارك وتعالى، ففي هذا خير عظيم وبر بالزوج، يأخذ بيد الزوجة إلى الجنة . من المشهور بين النساء صفة التعميم خاصة إذا رأت ما لا تحب، وتلك مسألة خطيرة جدًّا، قال رسول ﷺ: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» فقلن: وبم يا رسول الله ؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل

نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها»(1)، فاحذري أن تكوني ممن تعمم فتقع في نكران الجميل، احذري أن تكوني ممن يقلن لأزواجهن: «ما صنعت صنيعًا طيبًا قط»، إنك بهذا أضعت ما كان من كل اللحظات الجميلة بينك وبينه.

لقد أضعت الحنان الذي بذله من أجلك، لقد نسيت الهدايا التي كان يتودد بها إليك، لقد كفرت بالعِشرة التي بينك وبينه.

من الأمور بالغة الأهمية مسألة الشكل، مساكين هم الرجال الذين يتعرضون بالليل وبالنهار لفتنة النساء، والعري والإغراء والاختلاط والفساد الساري في أوصال المجتمع في الشارع والعمل بل في البيت على شاشات التلفاز حتى القنوات الإخبارية يكون بها إغراء من المذيعات وتبرج، وهذا في البلاد العربية، أما في البلاد الأجنبية فالأمر عندهم أخطر من ذلك.

والرجل مسكين يحب بعينيه، وإذا لم تكن زوجته مثل هؤلاء النساء وأجمل وأحلى فإنه ينظر في حسرة إلى الأرض، فاحذري أن تكوني مقصرة أو مهملة في نفسك وشكلك داخل البيت فالله - عز وجل - وهو أحكم

الحاكمين الذي أمرنا بالستر خارج المنزل بألا يظهر منك غير وجهك وكفك، أمر بالعكس تمامًا في بيتك لزوجك، ولا تقولي هذه طبيعتي، هذه عادتي، لقد أخذني من بيت والدي هكذا لا بد أن تجددي من نفسك وتجعليه يشعر كل فترة - لا أقول كل يوم لأن الأمر حتمًا شاق بالنسبة لك - أنك امرأة جديدة، جددي في لبسك، جددي في شكلك، جددي في أسلوبك، بل حتى جددي في طعامك.

إن الرجل قد ينظر إلى الخارج سواء في علاقة محللة له كأن يفكر في زوجة ثانية، أو في علاقة حرام والعياذ بالله كأن يفكر في امرأة غير زوجته يقيم معها علاقة آثمة، وهو حين يفعل ذلك فالسبب هو أنت لأنه يبحث عن شيء لم يجده عندك، لم لا تكونين أنت التي يبحث عنها؟ لم لا تتقمصين دور النساء اللاتي قد يبحث عنهن زوجك؟ هل تذكرين «أمينة» و«سي السيد»؟ كوني له هكذا وأكثر، حتى تكوني الحنونة الطيبة الأميرة في بيتك، وإذا ما غبت قليلًا شعر زوجك أنه ضائع في خضم معارك الحياة. إن المرأة الذكية هي التي إذا قارن زوجها بينها وبين غيرها رجحت كفتها، لا أقول لك اصنعي المستحيل لكن افعلي ما قدرك الله عليه، حسب إمكانياتك وعندما يرى اجتهادك سوف تكبرين في عينيه؛

فالرجل يرى بعينيه، ويشم بأنفه، ويسمع بأذنه، وكل هذا يصب إلى القلب، فيفكر ويشتهي.

كوني له المطربة والمذيعة وغيرهما ممن يهتممن بمسألة الشكل اهتمامًا بالغًا.

ثم ينجذب ويصبو، يصبو إلى المرأة الجميلة، ينجذب إلى المرأة المعطرة، يهفو إلى المرأة التي لا ينطق لسانها إلا بمعسول الكلام، فلتكوني تلك المرأة، وستجدين أثر هذا في الدنيا والآخرة.

إياك والتمنع عن الفراش فالنبي ﷺ يقول: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» والعكس بالعكس نذكر أن المرأة التي ترضي زوجها وتلبي طلبه، تنال رضوان الله - سبحانه وتعالى - بقدر ما تسعد زوجها. وكانت الصحابيات العالمات الفاهمات يجبن أزواجهن حتى ولو كن على سنام جمل، وإذا غضب زوجها تقول له: «لا ينام لي جفن حتى ترضى».

ونعود إلى شيء هام كنا قد حدثنا عنه الزوج من قبل وهو ثقافة «الزعل»، فإذا غضب الزوج وكان عصبيًّا فقد يقبل منه هذا، أما أنت أيتها الزوجة الرقيقة فلا يقبل

منك أن تكوني عصبية، أن تفقدي أنوثتك، أن تترجلي، فهو لا يستطيع أن يتنازل عن رجولته ويقول لك لن أذهب اليوم إلى العمل، لأنك صنعت كذا وكذا، كذلك أنت لا تتخلي عن أنوثتك، لا تتقوي على زوجك، فضعفك هو سر حبه لك.

إن الرجل لا يستطيع أن يترك المرأة حزينة لدقيقة واحدة، هكذا خلقنا الله معشر الرجال، لا نحب أبدًا أن نرى المرأة منكسرة حزينة باكية ولا نحب أيضًا أن ننكسر تحت إرادتها أو رغبتها.

لا تكوني بنكًا يخزن كل المشاكل التي حدثت بينك وبين زوجك، بل أظهري الابتسامة دائمًا، ولا تقطبي جبينك، لأن هذا المظهر يراه الرجل كثيرًا طوال اليوم، يراه في الشارع والعمل ووسائل المواصلات المختلفة، لكن عندما يعود إلى البيت أريه أنت وجهًا آخر غير الوجه الذي اعتاده خارج البيت، كوني ودودًا، فإذا غضب زوجك فلتواسيه. وقولي ما قالته المرأة الصالحة لزوجها: «هذه يدي في يدك والله لا أكتحل بغُمْضٍ ولا أنام حتى ترضى».

واعلمي أن ذلك طريقك إلى الجنة، بل كأنك تجاهدين في سبيل الله، فقد جاءت امرأة إلى الرسول ﷺ وقالت

له: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن أصيبوا أجروا وإن قتلوا فهم أحياء عند ربهم يرزقون ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا؟ فقال النبي ﷺ: «أقرئي النساء مني السلام وقولي لهن: إن طاعة الزوج تعدل ما هنالك، وقليل منكن تفعله».

اسألي زوجك: كيف تقدر أخلاقي؟ كم درجة تعطيني في الاحتمال؟ وكم درجة تعطيني في الصبر؟ وكم درجة تعطيني في الطاعة؟ في التسامح؟ وفي النظام والترتيب؟ واسمعي منه وحسني من نفسك واجعلي الدنيا عنده جنة، واجعلي معه طريقًا موصولًا إلى رب العالمين فهو بابك إلى الله كما أنك بابه إلى الكريم جل في علاه.

من أهم الأمور التي من شأنها المحافظة على علاقتك بزوجك الإحسان إلى أهله فلتعاملي أهل زوجك كما تحبين أن يعامل أهلك، بل عامليهم أفضل مما تعاملين أهلك؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فإن صنعت ذلك فسيصنع هو كما تصنعين، فليس هناك أجمل من أن يعامل كل منكما أهل الآخر أجمل من معاملة أهله.

وأخيرًا أيتها الزوجة المخلصة.. إياك والغيرة المفرطة، فإنها من نفث الشيطان الذي يسعى بكل جوارحه لأن

يفرق بين الزوجة وزوجها، وأن يباعد بينهما، وأن يجعل الحياة بين الرجل والمرأة في الحرام والعياذ بالله؛ لذا فمدخل الغيرة سهل يسير على الزوجة، فإياك والغيرة فإنها تجعل الحياة كئيبة، وتجعل الشخص يشعر بأنه يعيش مع زوجة لا تعترف بالرقة، بل لا تتورع أن تراقب حركاته وسكناته فاتقي الله في زوجك، فإنه جنتك أو نارك. أسأل الله أن يجعل حياة كل زوجين نعيمًا، وأن يهدي لنا أنفسنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

خدعوك فقالوا... الاختلافات بين الزوجين دليل على اقتراب نهاية الحياة الزوجية

لقد تكلمنا فيما مضى عن دور المرأة في استقرار وإسعاد الحياة الزوجية، ثم تكلمنا عن دور الرجل أيضًا، والآن نتكلم عن دورهما معًا من خلال مواقف واقعية، وفي البداية أقرر أنني أتكلم ب«قال الله وقال الرسول ﷺ»،

ومن يرى أن كلام ربنا غير صالح للتطبيق وكلام النبي ﷺ نظري ولا يصلح أن يعيش به، فهذا اتهام للدين، وهو اتهام للّه - سبحانه وتعالى - بأنه ليس حكيمًا في شرعه الذي أنزله على حبيبه ﷺ، الذي علمنا كيف نعيش سعداء، وتعالى ربنا، تبارك وتعالى وتنزه عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأقرر أيضًا أن أنواع المشاكل التي قد تحدث بين الزوجين كثيرة جدًّا، وأسباب المشاكل يمكن أن تكون معدودة، ولكن يجب أن تعلما أن خدعوك فقالوا الاختلافات بين الزوجين دليل على اقتراب نهاية الحياة الزوجية ولكن صور المشاكل كثيرة كما قلت، وقبل أن أتناول تلك المشاكل لا بد أن نظهر طبيعة الزوجين:

الصنف الأول: زوجان يحبان بعضهما، ولدى كل منهما نية التغيير للأحسن، ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[النساء: 35].

والصنف الثاني: زوجان يحبان بعضهما، ويحبان السعادة، ولكن أحدهما لا يريد أن يغير من نفسه أو لا يستطيع أن يغير، وهنا نقول للطرف الأول الذي في استطاعته التغيير: أنت سوف تتعب، ولكن اعلم أن مقامك في البيت هو مقام النبوة؛ لأن النبي ﷺ كان

يبعث إلى قومه من أجل أن يغير، ومن أجل أن يصلح، واعلم أن الله واسع العطاء، وأن الجزاء من جنس العمل، وبقدر ما ستقدم ستجد إن شاء الله.

والصنف الثالث: طرف يحب السعادة، ويرغب في التغيير، والطرف الثاني لا يعرف السعادة وليس لديه رغبة في التغيير، ويرى أن الدنيا شقاء وتعاسة، فأقول للطرف الذي يحب السعادة: اصبر واعلم أنك في اختبار من الله، والحياة كلها قصيرة وهي دار ابتلاء، فالإنسان يعيش بعض الأيام في سعادة وبعضها الآخر في ابتلاء.

لقد خلقنا الله في كبد، واعلم أنه عندما يكون مصدر تعاستك هو حبيبك، فإن هذا لحكمة من اللّه - سبحانه وتعالى - واحذر ألا ترى حكمة ربنا - عز وجل - فلعل الله -سبحانه- أراد أن يعلمك الإخلاص ويجعلك تعطي دون انتظار المقابل، وهذه صفة ربانية، فربنا - تبارك وتعالى - يعطينا ولا ينتظر منا مقابلًا، وستجد أن أخلاقك دائمًا تتحسن، ولو أنك قدمت لنصفك الثاني جرعة كبيرة من الحنان والمعاملة الحسنة لوجدت أن قلبه سيبدأ في التحرك نحوك، وستفاجأ بأن قلبك أصبح مثل قلب الطير وكنتما من «الموطئين أكنافًا»

وأقول لهذا الصنف من الزوجين اصبر فقد قال تعالى: { قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10]، واعلم أن الله لا يؤخر المكافأة، يقول ابن عطاء: «جل ربنا أن يعامله العبد نقدًا فيجازيه نسيئة».والنقد يعني أن تدفع المقابل الآن، والنسيئة تعني التأخير، فلو أن حبيبك «زوجك» أغضبك وأنت سامحته في وقتها فكأنك دفعت في وقتها المطلوب منك، ولا يمكن أن تتعامل وتدفع في وقتها دون تأخر، ثم يتأخر اللّه - سبحانه وتعالى - علا ربنا عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأن ربنا هو الرحيم الواسع الكريم، جل سبحانه عن أن يعامله العبد نقدًا، فيجازيه نسيئة، وسوف ترفع درجتك في الآخرة.

والصنف الرابع: زوجان استحالت الحياة بينهما، فهما لا يحبان بعضهما، وليس لدى أي منهما نية في التغيير، ولا يرغبان في الاستمرار معًا، فعندئذ يأتي شرع ربنا، ويقول لهما: { وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} [النساء: 130].

أيها الزوجان اعلما أن قدركما عند الله كبير، فنحن نعلم أن النبي ﷺ قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع

وعشرين درجة» فصلاة الفرد في المسجد تفوق صلاة الفرد في بيته بسبعة وعشرين ضعفًا، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة في مسجد آخر.

إذن الصلاة في المسجد النبوي تفوق الصلاة في المنزل بسبعة وعشرين ألفًا، ثم يقول النبي ﷺ: «من أكل ثومًا أو بصلًا، فليعتزلنا - أو قال: فليعتزل مسجدنا - وليقعد في بيته»، فالذي يأكل ثومًا أو بصلًا غير مطبوخين قد تخرج من فمه رائحة كريهة تؤذي جاره في الصلاة، انظر كيف أن المسلم يكون غاليًا على الله، لا يريد من المسلم أن يؤذي جاره في الصلاة، وأن ثواب الذي يكف أذاه عن المسلم عند الله أفضل من سبعة وعشرين ألف صلاة، فما بالك بمن يكف أذاه عن جاره وحبيبه «زوجه» فالزوج أو الزوجة لكلٍّ منهما حقٌّ على الآخر أكبر من حق أي مسلم... ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا [النساء: 130]، ثم نتحدث عن الأخلاق الإبليسية وأثرها في تدمير السعادة الزوجية, ومنها الكبر الذي يؤدي إلى الحرص على أخذ أكثر من الحق، ومنها الجهل، وسوء الظن والكذب، وهذه الأخلاق الإبليسية كانت سببًا في طرد إبليس من السعادة، وإنها متى وجدت عند الزوجين كانت سببًا في طردهما من السعادة

الزوجية، فعندما أمر الله - سبحانه وتعالى - إبليس أن يسجد لآدم رفض وعصى أمره، وذلك بسبب جهل إبليس بحق ربنا - عز وجل - عليه، وبسبب جهله بوظيفته، وهي الخضوع لرب العالمين - سبحانه وتعالى - وكذلك أساء الظن بربنا، حيث أساء الظن بحكمة الحكيم، وأساء الظن بآدم ورأى مقامه أقل، وتكبر ثم كذب، وقال من غير دليل: } قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ{ [الأعراف: 12]، وكذب على سيدنا آدم، ، وزوجته، وقال له: } فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } [الأعراف: 20]، ثم حلف لهما يقول تعالى:

} قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ { [الأعراف: 12] فكِبْر إبليس، ورؤيته نفسه أكبر من حجمه كانا بسبب الجهل بمقام نفسه والجهل بحكمة ربنا وبمقام ربنا، فأساء الظن وكذب ثم أخذ يبرر غلطته، فما أخطر هذه الأخلاق الإبليسية على الزوجين وسعادتهما، وعلينا أن نتخذ في حياتنا هذا الشعار: «النقاء سر البقاء» أي «النقاء من الكبر

هو سر البقاء في السعادة الزوجية»، وهذا الكبر أصله الجهل، فإبليس عندما تكبر ورفض أن يسجد لآدم جهل أن الخضوع والسجود لسيدنا آدم هو خضوع للملك - سبحانه - في صورة سجود لآدم، ويمكن أن يكون كل تصرف خاطئ في حياتنا بسبب الجهل والتقصير في تعلم هذه المسألة، فيجب أن تعلم أن خضوع الزوجة لزوجها أو العكس هو صورة من صور الخضوع لله - سبحانه وتعالى - وكما قلت فإن معظم المشاكل الزوجية يرجع إلى الجهل بالحقوق والواجبات.

ومن الأمور التي تصعب المشاكل الزوجية عدم التفاهم وعدم التسامح. والمرأة هي التي بيدها المفتاح السحري لحل المشكلة، ويجب أن يكون بين الزوجين تفاهم وحوار، وكل واحد يضحي من ناحيته قليلًا، وأن يكون بينهما تسامح وأن يرجعا إلى الدين، ويعلم كل منهما أن الذي يؤذي زوجه فإنما يؤذي أقرب جار له،

وقد قال ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قالوا: وما ذاك يا رسول الله ؟ قال: «جار لا يأمن جاره بوائقه» أي أذاه.

ومن أسباب المشاكل الزوجية أيضًا العصبية الزائدة، وهذه العصبية سببها جهل بحق الغير وجهل بمقام

النفس، وعلينا أن نعلم أن هذه العصبية خلق إبليسي، فيجب أن يتحلى الزوج وتتحلى الزوجة بضبط النفس، وأن يعتذرالذي أخطأ؛ لأن النبي ﷺ قال عن المرأة إنها أمانة عند الرجل: «فإنهن عوان عندكم» وقال عن الرجل إنه باب الجنة للمرأة كما أن الله - سبحانه وتعالى - يحب المتواضعين الذين يبادرون بالاعتذار «الموطئين أكنافًا». ولعل من أسباب المشاكل الزوجية الغيرة الزائدة عن الحد، فيجب أن تكون هناك مصارحة ومكاشفة بين الزوجين، وأن يحسن كل منهما الظن بالآخر، ولا نجعل الغيرة تصل بنا إلى أن يحرم أحد الطرفين صاحبه من حريته ومن حقوقه وأن يجعله محبوسًا؛ لأن هذا يدخل تحت دائرة الكبر؛ لأن من تعريفات الكبر أخذ حقوق الآخرين.

وفي النهاية ننصح الزوجين بالحرص على الذكر والاستغفار؛ لأن النبي ﷺ عندما وجد رجلين يتشاجران قال لهما: «استعيذا بالله من الشيطان الرجيم»، فذكر الله - سبحانه وتعالى - يهدي قلبكما ويبعد الشيطان عنكما.

* * *

خدعوك فقالوا.. ما دامت سُنَّة فليست مهمة

سنة النبي ﷺ نور على نور الفريضة، وعمل إضافي يبلغ العبد أعلى المراتب في الجنة، غير أن بعضنا يبني موقفه من السنة على مفهوم خطأ يقول إنها مجرد سنة فيتركها لكونه لن يحاسب على تركها، وقد غفل عن أن معنى أنها سنة أنها من فعل سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ.

لننظر إلى سنة النبي ﷺ وأفعاله وحياته نظرة جديدة تساعدنا على بناء علاقة جديدة بالنبي ﷺ نكون فيها أكثر تمسكًا بهديه الشريف كله دون الاقتصار على الفرائض لكوننا لن نعاقب على ترك السنن، فإن هذا لا يليق بالتعامل مع الله - عز وجل - ورسوله ﷺ.

كما ورد عن رسول الله ﷺ في سؤال المرء في قبره : «.... يا هذا، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟» وفي الحديث: «ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟»(1) فسنسأل إذن عن الله - عز وجل - وعن الإسلام، وعن النبي ﷺ..

فأما الله - عز وجل - فإن له طاعة علينا في كل موقف بل في كل لحظة. وقد أنكر ذلك بعض الناس وزعموا أن الله - عز وجل - لا يسأل إلا عن الكليات فحسب، فأرداهم زعمهم وخرجوا من الدين بالكلية. وحتى ننجو من مثل هذا لا بد أن نعرف حياة النبي ﷺ؛ فتفاصيلها هي تفاصيل عبادة الله - عز وجل - وطاعته - سبحانه وتعالى - وهذا ما قرره القرآن الكريم، فقد قال ربنا عز وعلا: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا

عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{ [الأعراف: 157]، فقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بطاعة رسول الله ﷺ؛ وبين أن الفلاح في اتباع والتزام هديه ﷺ. وأما الإسلام فإنه مجموعة الفرائض التي فرضها الله - عز وجل - ومجموعة المستحبات التي أحبها - سبحانه وتعالى -.

وإذا نظرنا إلى حياة النبي ﷺ وجدناها هي الإسلام، فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» وبالتالي فإن طاعة الرسول ﷺ هي طاعة الله - عز وجل - وعباداته وحياته وتصرفاته وكلامه هي الإسلام. ما في الأمر أن الله - تبارك وتعالى - عندما فرض التوحيد على عباده ورضي لهم الإسلام دينًا أراد برحمته أن ييسر عليهم، فهو القائل عز وجل: } وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ { [الأعلى: 8]، وقال - سبحانه وتعالى -: } شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ

أيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ{ [البقرة: 185]. واقتضى ذلك التيسير تقسيم الأعمال إلى فرض يثاب فاعله ويأثم تاركه. وسنة يثاب فاعلها ولا يأثم تاركها. ومباح وهو ما يتساوى فيه الفعل والترك إلا أن يقترن بنية خالصة لله - عز وجل -. ومكروه وهو قسمان: مكروه كراهة تنزيه وهو أقل إثمًا، ومكروه كراهة تحريم وهو أشد إثمًا. ومحرم وهو ما يأثم فاعله ويثاب تاركه.

فهذا التيسير الذي جعل ترك السنة لا إثم فيه إنما هو رحمة من الله - عز وجل - وتخفيف منه على عباده، وليس معنى ذلك أنه لا يحب تلك الأفعال، خاصة إذا علمنا أن السنة ذكر موحًى من الله - عز وجل - كالقرآن الكريم، فإن الله - عز وجل - قد قال: } إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ{ [الحجر: 9]، والذكر هنا هو القرآن الكريم الذي يحتاج إلى بيان، فقال في موضع آخر: } بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ{ [النحل: 44]. فالقرآن ذكر بألفاظ رب العالمين عز وجل، والسنة ذكرت بألفاظ سيد المرسلين وأفعاله ﷺ.

وتأكيدًا لمبدأ التيسير فقد كان رسول الله ﷺ يناوب في فعل السنن حتى لا تفرض فكان - مثلًا - يصلي التراويح في المسجد ثم يخالف فيصليها في بيته، فلما سئل عن ذلك قال ﷺ: «خشيت أن تفرض عليكم». فإذا فعلت السنن كنت عابدًا لله - عز وجل - وملتزمًا بإسلامه ومتبعًا للرجل الذي بعث فيك أفضل اتباع.

إنك متى فعلت السنن كنت مقتديًا بخير البشر وأفضلهم وأرقاهم فيما يفعل وما يقول ﷺ وهذا معناه أنك ستصبح من خير الناس وأفضلهم وأرقاهم.

ومن نعمة الله علينا أن وصّل إلينا تفاصيل حياة النبي ﷺ، حتى نستطيع أن نعبد الله - عز وجل - على النحو الذي يحبه وبأعلى المقامات، فإن عبادة الله تبارك وتعالى درجات، فمتى اقتصرنا على الفرائض وتركنا السنن كنا في درجات عادية ومقام عادي، أما السنن فإنها ترفعنا إلى أعلى الدرجات وأسمى المقامات، وهذا ما فهمه الأقدمون، حتى صنف ابن القيم رحمه الله كتابًا سمّاه: «مدارج السالكين» والمدارج هي السلالم أو الدرجات أي درجات السالكين طريق رب العالمين.

إن عبادة الله - عز وجل - ليست بفعل تلك الفرائض المعروفة فحسب، بل إن لله - عز وجل - علينا طاعة

وعبادة في كل أحوالنا، ولا نستطيع وفاءها إلا باتباع سنة النبي ﷺ فإذا كانت الفرائض مشهورة فإن لها أوقاتًا محددة، سواء الصلاة والصيام والزكاة، أما السنن فهى منتشرة على مدار اليوم في كل موقف نمر به، بل في كل لحظة، فإذا اتبعنا النبي ﷺ في أفعاله وأقواله قمنا بكل ما يحبه ربنا - عز وجل - على الوجه الصحيح في الوقت المناسب، لأننا لا نعرف أنسب الأفعال إلا من خير البشر ﷺ، فقد تلقى تلك الأفعال وحيًا من الله - عز وجل - فقد قال تبارك وتعالى في حقه ﷺ: } وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5){ [النجم: 3-5]، فأفضل تصرف في كل موقف هو تصرفه ﷺ؛ فالتبسم في وجوه الناس مثلًا هو أفضل تصرف عند مقابلتهم، والعفو عن المسيء أفضل خلق عند تلقي إساءة، وحسن الظن أفضل ما يكون عند حدوث أمر يحتمل وجهين.... وهكذا..

ينبغي أن نتعامل مع الله - عز وجل - من منطلق العبد المحب الذي يتحرى ما يرضى حبيبه عز وعلا فيفعله، لا من منطلق من يتعامل بالحد الأدنى الذي لا يسأل بعده عن شيء، فيلتزم بالفروض ويتكاسل عن السنن التي هي طريق النبي ﷺ أكثر الناس حبًا لله - عز وجل - وعبادةً

له، فما أفضل أن نتبع هديه بمنهجه المتميز في حب الله - عز وجل - الذي جعله يصلي من الليل إلى أن تفطرت قدماه الشريفتان، مع أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، حتى سألته السيدة عائشة رضي الله عنها في ذلك فأجابها: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!».

إن مَثَل التزامك بالسنة المطهرة إلى جانب الفريضة كمثل التزامك بالأخلاقيات العالية إلى جانب الضرورية، وكمثل مجاملاتك التي ليست مفروضة عليك، فأن تدعو زميلك مثلًا إلى حفل زفافك أمر غير واجب عليك، لكن حبك إياه جعلك حريصًا على دعوته والتأكيد على ضرورة حضوره. وربما كان غير واجب عليك زيارة مريض بعيد عنك، لكن ما تكنه له من محبة يدفعك إلى التغلب على كل ما يشغلك حتى تتمكن من زيارته والاطمئنان عليه، مع أن بوسعك أن تتصل به تليفونيًّا مثلًا أو أن ترسل إليه رسالة ولو إلكترونية (إيميل).

هكذا الأمر في تعاملنا مع الله - عز وجل - ولله المثل الأعلى، فإذا تمسكت بالفريضة فحسب فكأنك قمت بالواجب الذي لا تعاقب معه ولا تسأل عن شيء بعده، كما يتعامل بعض الناس مع من لا يخصهم معاملة تسقط اللوم والعتاب. ولا يليق ذلك بالله ربنا الرحمن الرحيم

الذي خلقنا من عدم ورزقنا وهيأ لنا أسباب الحياة في هذا الكون، وأحبنا قبل أن نعرفه، بل قبل أن يخلقنا فجعلنا في أفضل مقام.. مقام العباد، واختارنا في خير أمة أخرجت للناس أمة سيدنا محمد ﷺ.

من كرم الله - عز وجل - أننا إذا فعلنا سنة يظنها بعضنا شيئًا قليلًا (مجرد سنة) فإنه يجزل لنا العطاء، ولا يعاملنا على أنها قليلة، فهو يقبل الصدقة (وهي سنة)، ولو كانت نصف تمرة، وينميها لنا حتى تصير مثل الجبل كما يقول رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل» الفلو: الحصان الصغير.

فالله - عز وجل - هو أكرم الأكرمين يعطيك الكثير مقابل شيء قليل دفعته على سبيل الصدقة، بل مقابل قول بسيط جدًّا، كأن تقول: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» فتغرس لك نخلة في الجنة. ويقول العلماء: من كان له شيء في الجنة دخلها. صحيح أنك لا تأثم إذا لم تسبح الله وتحمده، لكنك ستضيع ثوابًا عظيمًا من رب كريم يعطي الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف لمن

يشاء، وتكون قد فقدت فرصة كبيرة لدخول الجنة، فما دام لك بها نخلة فإنك داخلها بإذن الله لتنعم بما لك فيها.

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم يتوقفون عند مسألة السنة والفريضة، بل كانوا يفعلون ما يفعله رسول الله ﷺ، يحبون ما يحب ويتركون ما يترك؛ فأبو أيوب الأنصاري وهو أول من نزل عنده النبي ﷺ - عندما هاجر إلى المدينة - كان قد قدم إلى النبي ﷺ طعامًا ومعه بصل نيئ، فأكل ﷺ الطعام وترك البصل، فظن أبو أيوب أن البصل محرَّم، فسأل رسول الله ﷺ في ذلك، فأجابه: «إني أناجي من لا تناجي» يعني أنه يحدث الملائكة ولا يليق به أن يأكل البصل، فقد كان لا يأكله إلا مطبوخًا. فقال أبو أيوب : «لاجرم أني أكره الذي تكره» أي لا شك أني أكره البصل نيئًا كما تكره. فها هو قد تبع النبي ﷺ لمجرد أنه ترك، ولم يركن إلى فرض أو سنة؛ إنه منهج الحب الذي تعلمه من سيدنا محمد ﷺ.

إذا أردت أن تعرف سبب اتباع الصحابة رضي الله عنهم نهج النبي ﷺ فلتنظر في معاملتهم إياه وحبهم له، فإن حبهم يدعوهم إلى إحسان أعمالهم وتحري ما يرضيه ﷺ، وفيما يلي بعض مواقف نتعلم منها الحب.

كان رسول الله ﷺ قد نزل ببيت أبي أيوب الأنصاري بالمدينة فخيّره بين الطابق الأرضي والعلوي فاختار ﷺ الطابق الأرضي حتى يتسنى له مقابلة ضيوفه ووفوده دون إزعاج لأبي أيوب وأهله.وذات يوم كان لدى أبي أيوب زير بالطابق العلوي فانكسر فخشي أن يصيب رسول الله ﷺ، يقول أبو أيوب: «فجففته بلحافي، ووالله لا أملك أنا وزوجتي إلا هو».

إنه يرضى أن يتبلل لحافه ولا يصاب مكان النبي ﷺ بشيء من الماء! إنه حب يقوده إلى اتباع النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة.

روي أن النبي ﷺ قد أهدى غلامًا إلى أبي ذر وقال له: «استوص به خيرًا»، فقبله أبو ذر ومضى، ثم قابله النبي ﷺ فسأله عن حال الغلام، فقال: لقد أعتقته يا رسول الله؛ فقد أوصيتني أن أحسن إليه، ولم أجد في الإحسان أعلى من أن أعتقه، فأعتقته..

لقد دعاه الحب إلى أن يعتق غلامًا كان يمثل جزءًا من المال في هذه الأيام، فقد كان بإمكانه أن يبيعه، أو يكلفه بعمل تعود إليه فائدته، أو يكاتبه بمعنى أن يتيح له أن يشتري نفسه من سيده، لكنه أعتقه لوجه الله - عز وجل - ومرضاة لرسوله ﷺ.

كان عروة بن مسعود من مشركي مكة فدخل على النبي ﷺ في صلح الحديبية وقد نوى أن يسيء إليه، فوجد من التوقير والتعظيم للنبي ﷺ ما رده عن ذلك، فعاد إلى قومه فقال لهم: لا بد أن تصالحوا هذا الرجل، فَواللَّه لقد رأيت من تعظيم أصحابه إياه ما لم أره عند قيصر الروم ولا كسرى الفرس، ولا النجاشي في الحبشة، فما رأيت أصحابًا يعظمون ملكهم كما يعظم أصحاب محمد محمدًا،

واللّٰه لقد توضأ فما سقطت قطرة منه على الأرض. وكانوا يبتدرون أمره، ويجلسون وكأن على رءوسهم الطير.

ثمة عائقان أمام اتباعنا سنة النبي ﷺ:

الأول: أن ثقافتنا في التعامل مع اللّٰه - عز وجل - هي ثقافة المصلحة، أي أننا نعبده طمعًا في جنته وخوفًا من عذابه، وهذه ثقافة غير مقبولة من البشر في حق بعضهم، فأنت لا ترضى أن أحسن معاملتك لمصلحة لي عندك، أو أسمعك ما تحب لأجل مالك أو جاهك فحسب، دون اعتبار لشخصيتك ومشاعرك، ودون أن أكون محبًّا لك حبًّا حقيقيًّا، فكذلك التعامل مع اللّٰه - عز وجل - ولله المثل الأعلى، فكيف نعامله - عز وجل - من منطلق

المصلحة وقد أعطانا كل شيء وهو لا يحتاج منا أي شيء، فلنرتق عن درجة المصلحيِّين إلى درجة المحبين، بأن نتبع أفعال سيد المحبين محمد ﷺ.

الثاني: نقص المعلومات عن النبي ﷺ، فكيف نحبه ونحن نجهل الكثير عنه وعن شخصيته وحياته ومواقفه اليومية التي تفيض نورًا ومحبة؟! فلنحاول أن نستزيد علمًا به ﷺ، ولنستمع إلى البرامج الدينية التي تتناول السيرة العطرة، ونحضر دروس العلم قدر استطاعتنا، ولنستمع إلى أشرطة العلماء عن السيرة النبوية المطهرة، ولنقرأ كتبًا حول ذلك، من قبيل «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي، و«الرحيق المختوم» للمباركفوري، و«سيرة الرسول ﷺ» للشيخ محمود المصري، و«السيرة النبوية» للإمام محمد الصلابي، وغيرها كثير.

أولًا: سُنة التفاؤل:

كان ﷺ متفائلًا في أموره كلها يحب الاستبشار، فمن ذلك ما حدث في صلح الحديبية عندما اشترط المشركون أن يرجع النبي ﷺ
ومعه المسلمون دون أن يعتمروا، فقبل ﷺ، فقال له عمر: يا رسول الله، ألسنا على الحق؟ أليسوا على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ فلم نعطي

الدنية في ديننا؟! يريد أن يحاربهم فقال له النبي ﷺ: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟»، قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به»، وكان ما قاله ﷺ، واعتمروا في العام التالي بفضل الله ورحمته.

بل تفاءل ﷺ لمجرد أن أحد المفاوضين في صلح الحديبية اسمه «سهل» فقال النبي ﷺ: «سهل سهل أمركم»، فقد تفاءل لمجرد الاسم، فما أحلى خلقه ﷺ.

ثانيًا: سُنة جبر الخواطر:

كان أنس خادمًا للنبي ﷺ، وذات يوم دعت جدة أنس النبي ﷺ إلى الطعام فلبى ﷺ، ثم صلى في بيتها تكريمًا لها، فلا شك أن موطئ رجله وموضع سجوده ﷺ بركة عظيمة وشرف ما بعده شرف، وذلك من تواضعه وجبره خاطر خادمه أنس وجدته.

ولما كان النبي ﷺ في غزوة خيبر في قتال بلغ أكثر من شهر، رُوي عن أنس ، أن رجلًا أسود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رجل أسود منتن الريح، قبيح

الوجه، لا مال لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل، فأين أنا ؟ قال: «في الجنة» فقاتل حتى قتل.

فأتاه النبي ﷺ فقال: «قد بيض الله وجهك، وطيب ريحك، وأكثر مالك»

وقال لهذا أو لغيره: «لقد رأيت زوجته من الحور العين، نازعته جبة له من صوف، تدخل بينه وبين جبته». فما أعظم مراعاته خواطر الآخرين ﷺ.

ثالثًا: سُنة البساطة:

من السنن التي غابت عنا سنة البساطة مع الناس، فقد كان النبي ﷺ يتبسط مع صحابته، يقول جابر بن سمرة: جالست النبي ﷺ مائة مرة والصحابة حوله يتناشدون الشعر ويتذكرون أمر الجاهلية.

فلم يكن لديه مانع ﷺ من أن يجلس مع أصحابه ويسمع شعرًا ما دام لا إثم فيه، فذلك التبسيط يسهل مهمة نشر الدعوة ويجعل قبولها أمرًا سهلًا يسيرًا، فيا لها من حكمة منه ﷺ. وقال أحد الصحابة: كنا مع النبي ﷺ إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا.

رابعًا: سُنة تعظيم النعمة:

كان ﷺ لا يعيب طعامًا قط، فقد قدِّم له ضب مشوي، فأهوى إليه ليأكل، فقيل له: إنه ضب، فأمسك يده، فقال خالد: أحرام هو ؟ قال: «لا، ولكنه لا يكون بأرض قومي، فأجدني أعافه» فأكل خالد ورسول الله ﷺ ينظر. ولم يلمهم ﷺ على أنهم قدموا إليه شيئًا كالضب، أو شيئًا لا يأكله.

خامسًا: سُنة النظافة:

كان ﷺ نظيفًا يحب النظافة، ويحب الطيب (العطر) تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد، حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته» , ويذكر أن علي بن أبى طالب قد دفع أربعمائة وثمانين درهمًا مهرًا لفاطمة بنت النبي ﷺ، فاشترى النبي بنصفها عطرًا لفاطمة.

وقد أوصى النبي ﷺ بتنظيف الأسنان خمس مرات يوميًا لا ثلاثًا كما يفعلون الآن، فقد قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي (أو على الناس) لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة».

أولًا: الشرب جالسًا:

كان النبي ﷺ يشرب جالسًا، صحيح قد نكون في موقف لا بد أن نشرب فيه وقوفًا، لا بأس، ولكن متى استطعنا فلنفعل ولا نقل إنها مجرد سنة.

ثانيًا: النوم على الجانب الأيمن متوضئًا:

ومن السنن كذلك النوم على الجانب الأيمن مع الوضوء، فإن الله - عز وجل - يقيض لنا ملكًا يذكر الله - عز وجل - حتى نستيقظ، فإن انقطع نومنا فقمنا من الليل استغفر لنا.

ثالثًا: التيمن:

«كان النبي ﷺ يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله، في طهوره وترجله وتنعله», فكان يتيمن في الدخول والسلام ويستخدم الشمال في الخروج والاستنجاء، أما الخلاء فكان يدخل إليه بالشمال ويخرج باليمين، ولا يقل أحدكم: لا نزال نتحدث في اليمين والشمال والعالم من حولنا متقدم. فإن تلك سنة وهي أفضل ما يحبه الله عند الدخول والخروج، ويثيب عليها ثوابًا جزيلًا.

رابعًا: صلاة الضحى:

كان ﷺ يصلي الضحى، ووقته من بعد الشروق بثلث ساعة تقريبًا حتى قبيل الظهر بنصف ساعة أو ساعة إلا

الربع تقريبًا، فذلك صدقة على الجسد كله، قال ﷺ: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى».

خامسًا: الذكر عند دخول البيت:

كان رسول الله ﷺ يذكر ربه إذا دخل بيته، ويقول: «بسم الله» ولهذا فائدة عظيمة بينها ﷺ بقوله: «إذا دخل أحدكم بيته، فذكر الله - عز وجل - عند دخوله، وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء هاهنا، وإذا دخل، ولم يذكر الله - عز وجل - قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإن لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء».

سادسًا: مقاومة التثاؤب:

أمر النبي ﷺ بأن نقاوم التثاؤب فقال: «التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان».

وبعد: فما أجمل أن نلتزم بسنة النبي ﷺ، فإنه قد تلقاها وحيًا من الله - عز وجل - الذي قال له: } وَاصْبِرْ

لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور: 48]، فهو أغلى مخلوق عند الله - عز وجل - وأفعاله أغلى الأفعال وأفضلها وأحسنها وأكثرها رضًا للَّه - عز وجل -. فلنتبعه في الدنيا لننعم بجائزة ذلك، فقد قال ﷺ رواية عن رب العزة: «إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

ولندخل الجنة في الآخرة ونشرب من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين وصلاة وسلام على المرسلين..

حاشية

[1] رواه مسلم 1723 .

[2] السنن الكبرى للبيهقي 17000.

[3] المعجم الأوسط للطبراني 101.